

د. د. نعمان عبد الرزاق السامرائي

تصوير ابو عبد الرحمن الكردي

أمريكا والعراق

عشق دائم أم طلاق بائن



العبيكان
Abekkan

أمريكا والعراق

عشق دائم أم طلاق بائن

أمريكا والعراق

عشق دائم أم طلاق بائن

أ.د. نعمان عبدالرزاق السامرائي

العبيكان
Obekian

ج مكتبة الميكان، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السامرائي، نعمان عبدالرزاق

أمريكا والعراق عشق دائم أم طلاق باتن / نعمان عبدالرزاق

السامرائي، - الرياض، ١٤٢٧هـ

٢٠٤ ص: ١٦.٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٩٩٦-٥٤-١٣٦-٣

١- حرب العراق ٢٠٠٣ م ٢- العراق - تاريخ - الاحتلال الأمريكي

أ- العنوان

١٤٢٧/ ٦٧٦٤

ديوي ٩٥٦.٧٠٩

رقم الإيداع: ١٤٢٧/ ٦٧٦٤

ردمك: ٩٩٦-٥٤-١٣٦-٣

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

امتياز التوزيع

شركة مكتبة الميكان

الرياض - العليا تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٥٦٠١٢٩

ص.ب.٧٦٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

الناشر

شركة الميكان للأبحاث والتطوير

الرياض شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص.ب.٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ، فوتوكوبي، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

لوحات

لوحة (١)

يقول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. (سورة الممتحنة: الآيتين ٨، ٩).

لوحة (٢)

يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾. (سورة البقرة: الآية ١٧٧).

لوحة (٣)

قال رسولنا ﷺ: «ينادي يوم القيامة: أين الظلعة وأعوان الظلعة، فيجمعون كلهم، حتى من برى لهم قلماً، أو لاق لهم دواة، فيجمعون ويلقون في النار».

(أخرجه أبو يعلى)

لوحة (٤)

قال رسول الله ﷺ: «الخلق كلهم عيال الله فأحب الخلق إلى الله أنفعهم

لعياله». رواه أنس كما رواه عبدالله بن مسعود في المعجم الكبير، كما ورد في مسند الحارث.

لوحة (٥)

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «منعت العراق درهمها وقميصها، ومنعت الشام مدها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأت، وعدتم من حيث بدأت، وعدتم من حيث بدأت، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه». البداية والنهاية لابن كثير ٢٢٢/٦. والحديث أخرجه الإمام مسلم.

لوحة (٦)

التقى السياسي السوري «إحسان الجابري» مع بن غوريون عام ١٩٢٢م وجرى بينهما حوار... فكان مما قال بن غوريون: اليهود مصممون على انتزاع فلسطين، مهما كانت كلفة ذلك، وسيلبغ اليهود هدفهم لا محالة... قال الجابري: أنتم تحلمون، فلدى العرب (٨٠) مليوناً مستعدون أن يفدوا فلسطين بأرواحهم، قال بن غوريون: لدينا سلاح سيتغلب على هذه الكثرة، قال الجابري: تقصد إنكلترا وأمريكا؟ قال بن غوريون: لا، بل أعني تفرق العرب. صحيفة الحابد. السنة الأولى. العدد (٣٥).

لوحة (٧)

يرى الفيلسوف «ميشيل فوكو»: أن السمة الجوهرية المميزة للمجتمع الغربي ليست «العقلانية»، أو تحققها فيه، بل إنكاره لكل ما لا يخضع له، أو يخرج عن نظامه الخاص . صحيفة الحياة في ١١/١٢/١٩٩٤م، من مقال لعلاء طاهر، كاتب عراقي .

لوحة (٨)

المستشرق الفرنسي جاك بيرك، عضو المجمع العلمي المصري، وصاحب المؤلفات الكثيرة يتحدث عن الإسلام فيقول: يمتلك الإسلام حضوراً متجديداً داخل الإنسان، وعلى الأرض وبشكل ديناميكي، وهو مثل الجواد الأصل الذي لا تقف أمامه الأسوار العالية، ولم يكن الإسلام في أي يوم عدواً للديانات الأخرى، بل هو الديانة الوحيدة التي حافظت على حقوق أبناء الديانات، وقلما شاهدنا في تاريخ الديانات هذا المستوى من السحر، الذي نشاهده في الإسلام.

مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٣٥١) في ١٠/١١/١٤١٥هـ.

لوحة (٩)

يقول «وليام كوانت»:.... أما الخطأ الخامس الذي مورس في أوقات متعددة فهو افتراض أن التعاون العربي هو بالضرورة شيء خطير على إسرائيل، ومن ثم على الولايات المتحدة، ويشعر البعض أن عالماً عربياً «مبعثراً» يقف فيه كل نظام على

طرفي تقيض مع الآخرين، هو وحده الذي يمكن أن تتاسس بطريقة ثلاثم إسرائيل، ولذا فهم يبحثون عن استراتيجية هدفها تفريق النظم.

أمريكا والعرب وإسرائيل، ترجمة: عبدالعظيم حماد، عام ١٩٦٧ - ١٩٧٦م، ص (٤١٤)

لوحة (١٠)

لكل شيء فلسفته، ومن ذلك النهب الذي يقوم به القوي الفني، من الضعيف الضعيف وفق قانون جديد: لا رأسمالية دون أسواق خارجية، ولا أسواق خارجية دون الوصول إلى مرحلة معينة من تطور الإنتاج، ولا أسواق خارجية دون سيطرة سياسية واقتصادية للدولة الرأسمالية على هذه الأسواق وحمايتها.

التعدي العالمي، جان جاك سرفان، ترجمة: إبراهيم العريس، طبعة أولى، ص (٣٦)

لوحة (١١)

سفيان الثوري -رحمه الله- يرسم قوانين اجتماعية فيقول: العالم إذا لم يكن له معيشة -أي ما يمتاش به- صار وكيلاً للظلمة، والمابد إذا لم تكن له معيشة، أكل بدينه، والجاهل إذا لم تكن له معيشة، صار سفيراً للفساق.

(وازيد: إن المتقف إن لم تكن لديه عفة باع الأمة بقرش)

مناهج العلماء، د. هاروق السامرائي، الطبعة الأولى، ص (١٤٢)

لوحة (١٢)

دعاء لأبي حيان التوحيدي - رحمه الله - : «اللهم إنا نعوذ بك من سلطان جائر،
ونديم فاجر، وصديق غادر، وغريم ماكر، وقريب ماكر، وشريك خائن، وحليف مائن،
وولد جاف، وخادم هاف، وحاسد ملاحظ، وجار ملافظ، ورهيق كسلان، و خليل
وسنان، ومناصر ضعيف، وزوجة مبذرة، ودار ضيقة». الإمتاع والمؤانسة، ٦٨/٢ .

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	لوحات
٢٣	وثائق
٢٩	المقدمة
٢٩	الفصل الأول: أساطير وهلوسات
٤٤	رؤيا يوحنا اللاهوتي
٤٩	كتاب يد الله لغريس هانسل
٤٩	المحافظون الجدد وهلوسة الحرب
٥٤	مستوطنون أمريكيان: لتكن الحرب الكبرى
٥٤	نزيريد الحرب ونزيريد طرد العرب
٥٥	لنمجد الرب ونرسل السلاح لإسرائيل
٥٥	إسرائيل ليست في خطر، فلماذا المسكرة
٥٦	ضرب السفينة ليبرتي
٥٧	أكبر مؤتمر للمناققين في العالم
٥٧	مؤتمر آخر للمناققين يخص القدس
٥٨	المالية الأمريكية تدفع لبناء مستوطنات
٥٩	نداء للرئيس بوش

٥٩	التحالف المسيحي ضد الإسلام
٦٠	الفضل في حماية إسرائيل
٦٠	إسرائيل مطلوبة لينزل السيد المسيح
٦٢	شياطين الأمس واليوم
٦٣	قيادة العالم والحمار بوريدان
٦٣	جنون الحرب ودمار العالم
٦٤	أمريكا وهوس الحرب
٦٥	من هو عدو السيد المسيح
٦٧	جنرال مخرف: عدونا الشيطان
٦٨	كارتر وقتل السيد المسيح
٦٩	طبول الحرب تقرع
٦٩	دعم إسرائيل رسالة ربانية
٧١	روبرتسون: الرب مع إسرائيل ضد العرب
٧٢	من الهلوسة: الظهور المجيد للسيد المسيح
٧٤	الفرح بالكوارث
٧٥	كتاب البعد الديني في السياسة الأمريكية
٧٧	الفصل الثاني: الحرب العراقية من أجل ماذا؟
٨٠	أساتذة من جامعة هارفرد: اللوبي اليهودي وراء الحرب
٨١	كرستوفرلين: الحرب على العراق هدفها الهيمنة الأمريكية .
٨١	هآرتس: اليهود خططوا للحرب

الصفحة**الموضوع**

٨٣ مستشارون يهود ببغداد
٨٤ بوش: المطلوب طريقة لفضو العراق
٨٥ حرب العراق غير شرعية
٨٦ إنجازات حضارية عظيمة
٨٨ الحرب على العراق وقتيلة جهنم
٨٩ العراق بين أمس واليوم
٨٩ الانتخابات بين أمس واليوم
٩٠ ابحث عن النفط والنفطيين
٩١ بين النفط والموز والحرب
٩٢ قائمة النفطيين الأمريكان اليوم وغداً
٩٤ دفاع عن النفس على الطريقة الإسرائيلية
٩٥ نحن السادة وعليكم مسح الأحذية
٩٦ الوضع في العراق صار مزرياً
٩٨ ما مهمة السياسة الأمريكية؟
٩٩ لماذا التركيز على الإسلام وأهله؟
١٠١ أفنيري وأستلة كثيرة
١٠٣ لا يجوز التمييز ثم ماذا؟
١٠٥ إسرائيل مشكلة أمريكية
١٠٦ بن غوريون يحلم أو يتنبأ
١٠٧ إلى أحلام هرتزل

١٠٩ المستشار بريجنسكي يدق ناقوس خطر
١١٠ سفريد وحضارة الغرب
١١٣ من العداة الشديدة إلى الولاء الشديد
١١٥ الاغتتيال بأوامر من مسؤولين
١١٦ نحن وحقل التجارب
١١٧ لماذا يفقد الغرب الثقة؟
١١٨ الخوف من الإسلام والشك بالمقدسات
١٢٣ لماذا يحتقر اليهود غيرهم: محاولة فهم
١٣٦ لماذا لا يفهمنا الغرب؟
١٣٧ اليهود: الشك والشكوى
١٣٨ إعجاب هيفل بالإسلام
١٣١ الخوف من اجتماع المظلومين
١٣٣ نخرج من حفرة لنسقط في بئر
١٣٩ حين يصير العلم نقلاً والعالم مترجماً
١٤١ الموقف من الغرب وثقافته
١٤٣ معارك الغرب ليست معاركنا
١٤٤ هل وصلنا الشك الغربي؟
١٤٦ حرب بلا نهاية
١٤٨ الجنرال زيني وشجاعة كبيرة
١٤٩ باتريك سيل: للأمريكان والبريطانيين اتركوا العراق

الصفحة

الموضوع

١٥٠ هاربون صغار ولكن
١٥٢ جار ومجرور
١٥٤ الإرهاب واتحاد البربريات
١٥٥ العالم والبربرية
١٥٧ المسافة بين الشعارات والواقع
١٥٩ آلهة الكره والمحبة
١٦٠ لماذا التخوف من الإسلام: محاولة فهم
١٦١ الاكونوميست: المسلمون طيبون
١٦١ ممنوع التعاطف مع العرب
١٦٢ عقلانية الإسلاميين
١٦٥ تقرير هيئة الأمم عن العراق
١٦٦ ممثل حقوق الإنسان: في العراق اعتقالات وتمذيب
١٦٧ الانحياز الأمريكي والمصلحة
١٦٩ لماذا التركيز على العالم الإسلامي وضده
١٧٠ ضرب الضعفاء ليخاف الأقياء
١٧٢ من يطبق القرارات ومن يحتقرها
١٧٣ قوات خاصة لنشر الموت والذعر
١٧٤ نعم تشومسكي: أمريكا واسرائيل إرهابيتان
١٧٧ بوش وصدام الخطر على العالم
١٧٨ الإرهاب وأهله

المصحة**الموضوع**

١٧٩ لماذا يكرهوننا؟
١٨٢ عندما يستقيل ممثل حقوق الإنسان
١٨٣ وشاهد شاهد من أهلها
١٨٥ شاهد غريب
١٨٦ د. رفيق حبيب يشخص الوضع
١٨٦ المشروع الإسرائيلي ٢٠٢٠ م
١٨٧ مسارات التخطيط الإسلامية
١٨٧ المجلد الخفي والظاهر
١٨٨ المترجم والناشر
١٨٨ السكان والأرض
١٨٩ الأرض الأرض
١٨٩ الأماكن الإسلامية المقدسة وغيرها
١٩٠ تدمير المدن والقرى
١٩١ الهجرة الهجرة
١٩٢ المهاجرون لإسرائيل
١٩٢ سلام أم استسلام
١٩٤ كيان فلسطيني وليس دولة
١٩٤ ثمن السلام
١٩٥ جرد الفنائم
١٩٦ إذا لم يتحقق السلام الكسبح

الصفحة**الموضوع**

١٩٨ حائز على جائزة نوبل يتهم
١٩٩ وشهد شاهد
١٩٩ الحب أنواع والعداوة كذلك
٢٠٣ من عبادة الأصنام لعبادة الدولة
٢٠٥ إفرازات الدولة العلمانية
٢٠٨ من يدلنا: أين الخلل؟
٢٠٩ عندما يتلمذ الأمريكيون على إسرائيل
٢١٠ تنميق الأكاذيب من مود لبوش
٢١٣ وكلاء عميان يروجون بضاعة فاسدة
٢١٤ ما أسباب الكره؟
٢١٥ عندما صار الإرهاب نظاماً دولياً
٢١٩ المستشار بريجنسكي ينتقد سياسة بلاده
٢٢٠ هل صحيح؟
٢٢٠ محاولة للفهم
٢٢٢ الإرهاب الدولي
٢٢٣ أمريكا وإسرائيل من الجار ومن المجرور
٢٢٥ أمريكا وموجة الجنون
٢٢٧ الإرهاب داء أم دواء
٢٢٩ قس أعمى
٢٣٠ ولي أمر المراق يبيعه بسوق النخاسة

الصفحة

الموضوع

٢٣١ عندما فتحت نافذة على جهنم
٢٣٢ عقدة العراق اليوم والحل
٢٣٥ من ابحت عن المرأة إلى ابحت عن النفط
٢٣٧ الفصل الثالث: الشحن والتحريض
٢٤١ الصحافة البريطانية تشمل الإسلاموفيا
٢٤٢ من العدو: الإسلام أم الإرهاب؟
٢٤٥ صورة رائعة للمسلمين
٢٤٦ القرآن سلاح للعدوانية
٢٤٧ عنصر يفتخر بعنصره
٢٤٨ اقتلوا رعاة الإبل وجامعي التمر
٢٤٩ خطر التعاطف مع العرب
٢٥٠ من دزرائيلي إلى بوش
٢٥١ يجب إلغاء مادة الدين
٢٥٢ المسلمون قتلوا المسيح
٢٥٢ غيروا المناهج وإلا
٢٥٦ شهادة لنيكسون
٢٥٦ من يناهض اسرائيل: عدو الله تعالى
٢٥٨ تحفظات وتحفظات
٢٦١ انطوني برجس وحيوية الإسلام
٢٦٢ حاد من بعيد

الصفحة**الموضوع**

٢٦٢ د . نعموم تشومسكي يتحدث عن التهيج
٢٦٥ د . نعموم تشومسكي يرصد بدقة
٢٦٦ رسالة غربية: قتال إسرائيل قتالنا
٢٦٨ فريد هاليداي: المسلمون يحتجون على السياسة
٢٧١ الإسلام السياسي والإسلام الأمريكي
٢٧٢ من باتريك سيل إلى بوش
٢٧٤ حل رائع لمشاكل العالم
٢٧٥ خطر الإسلام على العالم
٢٧٧ أمراضنا والطب البيطري
٢٧٩ قراءتنا للغرب فيها حول
٢٨١ د . غليون وقوانين عامة
٢٨٢ قوانين أخرى
٢٨٤ المناهقون وعبادة الذات
٢٨٥ مؤتمر (بال) للفترة من ٢٧-٢٩ آب ١٩٨٥م
٢٨٧ الخاتمة
٢٩٧ بريمر وعام في العراق (مذكرات بريمر)
٢٩٨ نحن قوة احتلال
٢٩٨ حل الجيش العراقي ومحاربة إعادته
٢٩٩ بريمر يمتن بوقاحة
٢٩٩ مأساة الوضع في العراق

الموضوع	الصفحة
من مآسي العراق	٢٩٩
البحث عن أسلحة لا وجود لها	٣٠٠
ستعيشون بكرامة	٣٠٠
الائتلاف هو السلطة هنا	٣٠١
الطائفة السنية وقياداتها	٣٠١
البحث عن مفقود غير موجود	٣٠٢
النفط النفط	٣٠٣
خطأ حل الجيش العراقي	٣٠٣
ود مفقود: دعوة الكل وحضور خمسة	٣٠٤
جثنا من أجل الحرية وليس النفط	٣٠٤

وثائق

الوثيقة الأولى: الخطر الأخضر^(١)

في العصر الحديث أصيبت أوروبا بنوع من «المس» فانطلقت دولها الصغيرة والكبيرة تبحث عن مستعمرات، بحيث سقطت كافة القارات فريسة لهذا الجنوب الأسود، حيث راح الإنسان يستعبد أخاه، يسومه سوء العذاب، ينهب خيراته ويعامله كما يعامل الحيوان أخاه في الغابة... وقد سجل شيخ الوجودية «سارتر» تلك الظاهرة حتى قال: إن الغرب بنى مدنه ومؤسساته من هذه السرقات، فتشارك الحاكم والمحكوم بالجريمة: لأنه يعلم أن استعباد الإنسان للإنسان لا يمكن أن يستمر طويلاً، وأن العالم عرف إمبراطوريات قديمة مارست هذا العمل الحقير ثم سقطت وبادت: لذا قام (هاجس) مفاده: كيف نطيل عمر هذا الوضع الشاذ، وكيف يمكن تدارك تداعياته؟

رئيس وزراء بريطانيا في مطلع القرن العشرين (١٩٠٧م) كان على معرفة في «فلسفة التاريخ: لذا كان يؤرقه مصير الاستعمار ودوله، ولما كان لبريطانيا نصيب الأسد، وهي إحدى دول أوروبا: لذا توجه للجامعات البريطانية والفرنسية يسألها عما يمكن أن تتصح به حكومته باعتبارها مكونة من مكونات الحضارة الغربية المسيحية، فماذا تستطيع فعله لمد أجل الحضارة الغربية، وديمومة سيطرتها على

(١) الفكر الاستراتيجي، د. جاسم سلطان، ص: (٧٧).

العالم كله، بحيث يستمر هذا الدور بشكل أو بآخر، وكيف يمكن ضمان سيادة الحضارة الغربية لأطول مدة؟ وجاءت الأجوبة مطولة مفصلة، وجمعت تحت اسم «وثيقة كامبل» وهو رئيس الوزراء البريطاني آنذاك.

الوثيقة بقيت «سرية» ثم أفرج عنها مدة أسبوعين، ثم عادت لسريتها، خوفاً من الآثار السيئة التي يمكن أن تترتب على إعلانها.

الوثيقة تغطي ثلاثة مسارات مختلفة:

١- **المساحة الأولى**، تتكون من الوحدات الأوروبية التي ينبغي حصر «السيادة» في إطارها؛ ليظل زمام الأمور بأيديها، بحيث يرث بعضها بعضاً.

٢- **المساحة الثانية**، وتشمل الحضارة «الصفراء»، وهذه لا تتناقض قيمها مع حضارة الغرب، لكنها قد تختلف معها في المصالح؛ لذا ينبغي التعامل معها تجارياً واقتصادياً، كما يمكن غزوها «ثقافياً»: لأن منظومتها القيمية هشة؛ لذا من السهولة أن تتعامل معها الكتلة المسيحية الغربية (وهذا الطرح جدده فكيواما في صراع الحضارات).

٣- **المساحة الثالثة**، وتشمل الحضارة «الخضراء»، وهذه لها منظومة قيمية منافسة، وسبق أن صارعنا وأخرجتنا من مناطق كثيرة، وعلى الحضارة الغربية المسيحية أخذ الحيطة لمنع (أي تقدم) لهذه المنظومة الحضارية أو إحدى دولها؛ لأنها مهددة للنظام القيمي للغرب... أهـ.

من يعمن النظر في الوثيقة يجد أن المقصود بها (العالم الإسلامي) الذي دخل مع الغرب المسيحي في معارك أوصلها بعضهم إلى (٢٥٠٠) معركة، انتهت بتراجع الغرب ليعتمى بالبر الأوروبي، ثم غزاهم العرب وأخذوا منهم إسبانيا وجنوب فرنسا وكل شرق أوروبا، وحاصروا «هينا».

ثم جاء دور الحروب الصليبية البربرية، التي فشلت، ثم ليعود الغرب في العصر الحديث ويحتاج كل القارات، وليسقط العالم الإسلامي، ثم ليوقف عسكري متفطرس عند قبر «صلاح الدين» ليقول: ها قد عدنا يا صلاح الدين !!

الإجراءات المطلوبة تجاه كافة الأطراف:

رسمت الوثيقة ما على الغرب أن يفعله، وبهنا الموقف تجاهنا:

١- حرمان دول المساحة «الخضراء» من المعرفة والتقنية، أو على الأقل ضبط حدود تلك المعرفة.

٢- إيجاد مشكلات حدودية متصلة بهذه الدول، وتعزيز وتقوية الموجود منها.

٣- تكوين أقلية ودعم الموجود منها، بحيث لا يستقيم الأمر بالنمسيح الاجتماعي، وليظل مرهوناً ومرتبلاً بالمحيط الخارجي.

هذه الأقلية العرقية والدينية يجري تحريكها ودعمها، حتى تصبح شوكة في هذه الدول، وتشجيعها على الانفصال، أو المطالبة بحكم ذاتي.

الوثيقة من حيث الأهداف والوسائل معمول بها منذ وضعت وحتى يومنا هذا، ويمكن القول بأنها تدعم بوسائل جديدة.

الوثيقة الثانية^(١)

رئيس الحكومة البريطانية «بيرمان» يؤلف لجنة عام (١٩٠٧م) هدفها دراسة الأسباب التي تسهم في سقوط الإمبراطوريات الكبرى، كي تتجنبها الحكومة البريطانية، صاحبة المستعمرات الكثيرة، تشكلت اللجنة من خبراء في العلوم السياسية والتاريخ والاقتصاد وغيرهم، وأهم ما أوصت به: إن أخطر المناطق على النفوذ البريطاني تلك المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي: لأنها مسكونة من شعب تتوفر لديه كل خصائص الأمة الواحدة، والخطر كل الخطر أن يدرك أهل المنطقة هذه «الحقيقة»، وأن يسعوا لإقامة دولة متحدة في هذه المنطقة الحيوية... ومن أجل منع قيام ذلك اقترحت اللجنة ما يلي:

- ١- تقسيم المنطقة إلى دول صغيرة، تقوم على أسس قبلية أو عرقية أو طائفية.
 - ٢- جعل الخلافات بينها مستمرة قدر الإمكان، وأن تفصل بينها وبين الشعب الزنجي والبربري.
 - ٣- تعميق التجزئة بينها جغرافياً وروحياً وسياسياً واقتصادياً، بحيث تصبح هذه الأمور وكأنها شيء طبيعي.
 - ٤- إقامة حاجز بشري «غريب» يكون «شرق السويس»، ليفصل شرق المنطقة عن غربها، ثم تستنزف ثرواتها... أهـ.
- هذه الوثيقة مع سابقتها عمرها (٩٠) عاماً، وهي تفنذ خطوة خطوة، وآخرها وأكبرها ضرراً إقامة «إسرائيل» هذا السرطان المدمر.

(١) صحيفة الخليج في ٢/٣/١٩٩٧م، العدد (٦٤٩٧).

حين قامت الحرب العالمية الأولى وتحالف المئمانيون مع ألمانيا ضد الغرب، تحالفنا مع الغرب وقاتلنا إخواننا في العقيدة، وكان الثمن غريباً، نحن نقاتل والغرب يكتب معاهدة (سايكس بيكو) فيقسم بلادنا ويستعمرها، فكان ثمن التحالف هو الأغرأ في العالم.

ويعود التحالف مرة ثانية وثالثة، ويكون الجزاء الجزاء نفسه فهل من يتعضد؟

ومن حقنا أن نتساءل: أين تقع الحرب على العراق وأفغانستان وغيرها من هذا التخطيط من الأصدقاء الحلفاء، والذين لا يكل بعضنا من تدبيج قصائد «الغزل» في هؤلاء الأبطال الذين يتقربون إلى الله بإيذاننا والوقوف إلى جانب أعدائنا، وتأييدهم ضدنا بكل السبل والوسائل؟

وأخيراً: هل يمكن أن نقف ساعة فنحدد من هو صديقنا؟ ومن هو عدونا؟ وما علينا تجاه الصديق والعدو؟

أنا أعتقد أن أكبر العجز أن تحار دولة في تشخيص عدوها من صديقها، وصدق ذلك الرئيس الألماني الذي جعل سياسة الدولة الأولى تقوم على تحديد من هو العدو ومن هو الصديق؟

ومن يعجز عن ذلك لأي سبب- فانصحته بفتح مكتب لدفن الموتى، فليس أهلاً لقيادة شعب أو سياسة حكومة أو رئاسة بلدية.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

- في جلسة مع ناشر كبير قال: القضية العراقية اليوم هي أسخن القضايا، يخوض فيها متحدثون وكتّاب من تجار الطائفية ومن مروجي العشائرية ومن لديه معرفة ومن ليس لديه، نسمع جمجمة ولكن لا نرى «طخناً»، فلماذا لا ينبري من أبناء البلد ممن يثق بهم الناس، ويقبلون على ما يقولون ويكتبون ؟
- فكرت أياماً بهذا الطرح، واستعنت بالله، ورحت أراجع ما تجمع لدي في القضية، فوجدت الكثير مما ينفع ذكره، وجُله من القرب.
- ومنذ أكثر من أربعة عقود وأنا أجمع «نصوصاً» مما أقرأ من الكتب والصحف والدوريات، وقد تجمع لدي الكثير، فاضطرت لعمل فهرسة لكل كراسة، كي أصل إلى ما أريد ببسر وسهولة.
- اشتغلت أياماً بمراجعة هذه المنسوخات، بهدف أن أقدم شيئاً جيداً نافعاً، وأعزو كل نص إلى مرجعه وصاحبه.
- خلال التدريس الجامعي اشتغلت بتدريس الثقافة والحضارة وتفسير التاريخ والفقه وتاريخ العلوم وتاريخ الأديان، وألقت في جل هذه المعارف.
- ومن متابعة السياسة أشعر أن «الولايات المتحدة الأمريكية» تطرح نفسها بقوة كقيادة وحيدة للعالم، وأنظر لما حولي فأجد من أبنائنا وساستنا من يعيش «أمريكا» ويتصورها «قدر العالم»، الذي لا مهرب منه فهو «كالموت الذي هو

مدركي...» وهناك من أبنائنا وإخواننا من ينظر لأمريكا «كمستعمر» جديد، يحمل كافة أوزار الاستعمار القديم ويضيف عليه وفوقه سيئات وأخطاء كبرى وخطايا فادحة.

● يحلو لي دوماً أن أشبه أمريكا بـ «سوبر ماركت» فيه كل شيء، وأزعم أنه ما من فكرة تروج في العالم إلا ولها في أمريكا أنصار وانصار، ولو كانت ضرباً من «الجنون».

● في أمريكا جامعات ومراكز بحث معلومة ومجهولة، نظيفة ووسخة، هناك لوبيات عدد الرمل والحصى والتراب... هناك شركات لا تحصى، بعضها يمتلك المليارات، وميزانياتها تفوق ميزانيات دول، مثل شركات صنع الأسلحة، والطيران وشركات النفط والسيارات والأدوية وصنع السجائر والمشروبات وغيرها كثير.

● في أمريكا جماعات صاحبة أفكار ومشاريع، بعضها معقول مقبول، وبعضها «أسطوري خرافي»، وبعضها الآخر عنصري استعماري، وبينها صراع وتسابق تطمع أن تصل إلى البيت «الأبيض» لتطبق ما تريد «وتطبقه» على من تستطيع تحقيقاً لمصالحها المشروعة وغير المشروعة، ومطامحها المحدودة وغير المحدودة.

● هناك مخططات من كل لون، وتناقش محموم لا يرحم أحداً، ونظراً لعدم وجود قوة «مكافئة» في العالم، فالكل يجدها فرصة لينطلق نحو ما يريد.

● هناك من له أحلام «إمبراطورية» وتطلعات استعمارية، ومن جعل هدفه محاربة «الضدالية»، ومن ينتظر عودة السيد المسيح غداً، ومن يؤمن بعزلة أمريكا، والتفوق داخل حدودها، وليذهب العالم إلى الجحيم، هؤلاء وغيرهم يتصارعون ويتهاشرون، والعالم يتفرج مشدوهاً، والكل يدعو (اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم سلّم سلّم).

- سأبدأ «بحثي» بما أود أن أطلق عليه «التفسير الأسطوري للتاريخ» وعودة السيد المسيح، والحروب التي تسبق هذه العودة، وقتل ثلث سكان الأراضي، مروراً ببعض النبوءات مثل «رؤيا يوحنا» وتفسيرات «الألفيين» لها.
- بعد ذلك سأبحث في غزو العراق والتهديد بتوسيعه، والمشاريع المعلنه والخفية، والواقع على الأرض.
- سأكثر هنا من النقل -مما جمعت ومازلت أجمع- أسوق النص أولاً موثقاً ثم أعلق عليه، وقد أقوم بتقديم يسبق النص لتوضيح بعض ما يرد فيه أو ما يحيط به.
- واضعاً نصب عيني أن أمريكا «سوبر ماركت كبير» وهو مخيف؛ لأن أصحابه يحاولون قيادة العالم، والويل لمن يناكس أو يشاكس، أو يحاول الهروب من «بيت الطاعة»، وكذلك الويل لمن يشجعه أو يناصره.
- الكثير مما يحدث في أمريكا لا يهمني، ولكن السياسة الخارجية تهمني كما تهتم غيرنا من شعوب ودول العالم، والخلل والخطأ فيها بالنسبة لنا «قاتل مدمر» إذ يمكن أن يحولنا إلى «هنود حمر أو صفر أو سود».
- أنا - ومثلي ألوف - نعتبر سياسة أمريكا الخارجية «إعصار مدمر»، وهي محطمة لنا كشعوب ودول، فنحن نذبح يومياً بالسلح الأمريكي، بالفتائل الذكية والغبية معاً، كما تقتل بالدولار الذي ينزل كزخات المطر على عدونا، نصاب بالفتشل والإحباط كلما استعمل «الفتيتو الأمريكي» ضدنا ولنصرة عدونا.
- أما السياسة الأمريكية الداخلية فقد صارت كارثية على مسلمي أمريكا، فقد وضعتهم في قفص الاتهام، واعتبرتهم مذنبين حتى يثبت العكس.
- أما السياسة الخارجية لأمريكا فقد انحازت لإسرائيل، وهي معلومة بالروح الاستعمارية، التي تسبب لنا اختناقاً، لم يعرف له العالم مثيلاً، ومن هنا كان

الاهتمام والحديث عن أمريكا وسياستها المفجعة لنا ولأماننا ومستقبلنا. بل ومستقبل العالم من حولنا.

● كنا حتى أمس القريب ننظر إلى أمريكا كدولة تحتل قارة غنية بمواردها وثروتها، ولشعبها قدرات حضارية كبيرة؛ لذا لم يكن لها تطلعات استعمارية. مثل بريطانيا وفرنسا، لكنها ومنذ اشتراكها في الحرب العالمية الثانية، تفتحت شهيتها للاستعمار، وراحت تعمل بجهد للحلول محل الدول الاستعمارية، وكان بالإمكان أن يكون «الاستعمار الجديد» بعيداً عن خطايا «الاستعمار القديم»، لكنه ورث الخطايا، وزاد عليها، وقد وجدنا «تطلعاته» لقيادة العالم أكبر وأكبر. وعجرفته أشنع وأقبح، وأنكى وأشنع.

● العالم تطور. ولو جاء الاستعمار الجديد بمشروع فيه الكثير من «العدل» والقليل من العنصرية والقوة لهان الأمر، لكنه جاء بجرعة عالية جداً من «القوة» ورفع شعار: (أنا قوي فالحق معي، وأنت ضعيف فلا حق لك).

● الاستعمار الجديد يستعمل لغة «رسالية»! الله امرنا، نحن دولة خيرة فلماذا لا يحبنا الناس؟ وتقسيم العالم إلى دول خيرة وأخرى شريرة والكل يتساءل: ما المرجع في هذا؟

● إن العالم نسي هذه اللغة «الرسالية»، بل لم يعد قادراً على فهمها، ومن يتطلع لقيادة العالم، فهذه اللغة لا تساعده، وستخلق له متاعب ومصاعب أكثر مما يتصور ويمتقد.

● وإذا كان بعض تجار «النفاق» يزينون له ذلك، فالعالم يرفض هذه اللغة، واستطلاعات الرأي تكشف عن ذلك يومياً.

● على من يتطلع لقيادة العالم أن يترك لغة: (الله أمرني، الله اختارني) فهذه اللغة غريبة عن «علمانية الدولة» وقرينة جداً من «بابوية جديدة».

- قبل سنوات قام مجنون إسرائيلي اسمه «عتسيو» بزرع قنابل في سيارات لرؤساء بلديه عرب، مات بعضهم، وقطعت أطراف بعضهم، وحين سيق إلى المحكمة كان دفاعه: الله تعالى كلنه شخصياً بذلك، فهل كلف الله رئيس المحكمة بممله؟
- فإذا انتقل هذا الجنون إلى رؤساء دول كبيرة مثل: الصين أو الهند واليابان أو أمريكا أو روسيا فما مصير العالم؟
- أمريكا تعلن الحرب على الإرهاب، وتخطف أناساً ولا يعرف أحد أين تذهب بهم، وتنتشر سجوناً سرية في العالم، وتمارس التعذيب وترفض أن يزور أي ممثل للمنظمات الدولية مثل هذه السجون، وتعترف على استحياء - بعد نشر الصور - بأنها تمارس التعذيب، فهل من هذه سياسته يصلح لإدارة العالم وقيادته؟
- وإذا كان رب البيت بالدف ناقرأ... فماذا يفعل أهل البيت؟
- أمريكا تشر جيوشها في (٥٨) بلداً في العالم، تحاول أحياناً قلب هذا النظام أو ذلك، ليس لأنه مستبد فاسد، بل لكونه متمرداً على سياستها، وقد تطيح به ثم تأتي بأسوأ منه، والعالم يتفرج، لكن أمريكا تفقد مصداقيتها، ويصبح حديثها عن الفساد والاستبداد ودعوتها للديمقراطية نكتة سمجة.
- الملاحظ أن أمريكا «تتشطر وتتمرجل» على حكام «غلابة» ضعاف، لا حول لهم ولا قوة، فإذا كان الحاكم قوياً مستبداً فاسداً تذكرت القول المنسوب للسيد المسيح عليه السلام: «من لطمك على خدك الأيمن، فأدر له خدك الأيسر...».
- أمريكا الدولة الفنية لا تجد عيباً أن تهب خيرات شعوب فقيرة، بل تفرض عليها «الأتوات» وأن لا تشتري إلا البضاعة الأمريكية، فإن تملل الحاكم المسكين هيجت عليه المعارضة والأقليات، كي يسلم المسكين ويرضى بما تفرضه أمريكا.

● لا يوجد اليوم من يشكل خطراً حقيقياً على أمريكا، لكن القوة الأمريكية، والتطلعات الاستعمارية تشكل أكبر خطر على أمن العالم وسلامه، ولا يوجد في الأرض عاقل يصدق أن حاكماً مثل: طالبان أو صدام حسين أو السودان يمكن أن يشكل خطراً على أمريكا وأمنها، ولنقل مثل ذلك عن سوريا وإيران وكوريا الشمالية كل هؤلاء مجتمعين لا يشكلون خطراً، ولا يستطيعون أن يتحدوا الآلة الحربية الأمريكية، ولا الأحلام الاستعمارية، ولكن أمريكا «تخترع» أعداء تخوف بهم الشعب الأمريكي، كي يوافق على مسلسل الحروب، والحروب على الإرهاب، والحروب الاستباقية، وكي تحصل الحكومة الأمريكية على ما تريد من مليارات الدولارات، لتنفقها هنا أو هناك، ولتكسب شركات صناعة السلاح ما تشاء، لقد جمع الرئيس (كلينتون) المليارات، فأنفقت كلها على الحروب، حتى صارت الخزانة الأمريكية أكبر مدين في العالم... فكيف ولماذا ؟ ومصصلحة من؟

● إن حفنة كان يطلق عليهم حتى أمس «مجانين» استولوا على الحكم في أمريكا، وجلهم بين مهووس دينياً أو منضوط سياسياً، أو إسراتيلي عشقاً. فهل قدر الشعب الأمريكي أن يحكمه مجانين ومهووسون وإسرائيليون يحملون الجنسية الأمريكية «بالغلط»؟

● هل من مصلحة الشعب الأمريكي أن يحكمه مخزفون وعشاق أساطير، يلوكون ليل نهار حديثاً عن يأجوج ومأجوج، ومعارك هرمجيدون الكبرى، حيث يقتل ثلث البشرية، ليعود السيد المسيح ويحكم العالم ألف عام؟

● هل قدر العالم -والمراق منه- أن تتحكم به عصابة مخزفة تعتقد بوجود تقسيم العراق؛ لأنه ورد في (رؤيا يوحنا) أن بابل تقسم ثلاثة أقسام؟

● إن هذه العصابة المجنونة ستدفع العالم نحو حرب كونية جديدة، لا تبقي ولا تذر، كي يعود السيد المسيح مجدداً، إن الحق جل جلاله يقول: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ

قَرِيَّةٌ أَمْرًا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

(الإسراء: ١٦)

القرية -حسب المصطلح القرآني- تطلق على المدينة، وهناك قراءة «أمرنا» فهل أن أو ان التدمير الكبير؟

● هناك جماعة أطلق عليهم د. رفيق حبيب وصف «وكلاء الغرب» يشتغلون في حقلين: حقل يدبجون فيه قصائد «غزل» يخصون بها الغرب عموماً، وأمريكا على وجه الخصوص. وقصائد «هجاء» مقذعة لكل ما تملكه أمتهن من عقيدة وشريعة وحضارة وتاريخ ولفة. مع تخويف من قوة أمريكا. وأن كل من ينازع أمريكا فلا مستقبل له، إلا كمثل مستقبل الاتحاد السوفياتي وطالبان وصادام، وما ينتظر سوريا وإيران... إلخ.

● وأجد من المفيد النافع أن أذكر «الوكلاء» وفيهم كبار وصفار، بأنه توجد دولة صغيرة وفقيرة على (مرمى حجر) من أمريكا، على رأسها رجل شجاع لا يخاف، تحاصره أمريكا وتتأمر عليه وتحرض على قتله، وقد غزت بلاده ففشلت وهو يقول قصائد هجاء يومية في أمريكا وحكامها، وينشد بعضها في هيئة الأمم، دون خوف ولا وجل؛ لذا أرجو أن يكف «الوكلاء» عن التخويف، فأمريكا لم تستطع أن تفعل شيئاً (لكويا وكاسترو) أكثر من الحصار، كما عجزت جيوشها الجرارة، وقنابلها الذكية والغبية حقاً أن تصطاد الملا عمر وابن لادن ورفاقهم، وهي تعجز أن تقبض عليه أو على أمثاله من المطلوبين، والسؤال: هل سيكف الوكلاء عن الغزل والهجاء والتخويف أم أن القوم لا يجدون بضاعة يتاجرون بها سوى هذه البضاعة النتنة؟

الخلاصة

أتطلع ليشمل «البحث» جملة قضايا منها:

أ- البحث عن الأساطير والهلوسات التي تنتشر في أمريكا كما ينتشر «الإيدز» في العالم.

ب- إبراز الأطماع الاستعمارية الأمريكية في العراق والمنطقة.

ج- الكشف عن أطماع الشركات الكبرى، ابتداء من شركات النفط إلى شركات صنع الأسلحة.

د- الشغن الصهيوني والتحريض المستمر ضد العرب ومنطقتنا.

سأدعم كل ذلك بنصوص من مؤلفات أمريكية وغربية، مع الكثير مما تتناقله الصحف، وأرجو أن لا يضيق صدر القارئ بذلك، فالقضية جد، والعالم قد يتعرض لحرب أو حروب طاحنة سببها؛ هذا «المزيج» من الأساطير والهلوسات والأطماع والشغن المتواصل، والتحريض الذي لم يعرف له العالم مثيلاً.

ولدي قضيتان أود توضيحهما:

● القضية الأولى: وهرة النصوص وطولها أحياناً، بإمكانني أن أختصرها، لكنني أخشى أن يتصور القارئ أنني غيرت في النص أو اكتفيت بجزء وأهملت أجزاء؛ لذا أميل لكتابة النص بالرغم من طوله.

● القضية الثانية: أنا مشترك في صحيفة (الحياة) منذ سنوات، وأبدأ يومي بقراءتها ونسخ ما أجده مفيداً؛ لذا أود أن يفهم القارئ سر كثرة النقل عن هذه الصحيفة دون سواها.

والله الموفق والممين، وهو حسبنا ونعم الوكيل...

نعمان الساهراتي

- الرياض -

الفصل الأول

أساطير وهلوسات

أساطير وهلوسات

الأفكار كثيرة، بعضها يموت؛ لأن المؤمنين بها لا يستطيعون تطبيقها، وفي المقابل قد تكون الأفكار والمنتقدات عقيمة فاسدة، لكن وصول المؤمنين بها إلى سدة الحكم يمنحها فرصة التطبيق، والشيعوية خير مثال، فلو لم يصل المؤمنون بها إلى الحكم في روسيا والصين، لظلت كأى «يوتوبيا» حبيسة الورق.

المحافظون الجدد أو الألفيون ظلوا السنوات بوصفون بالمجانين، فلما احتلوا «البيت الأبيض» راحوا يطبقون ما يحلمون به من أساطير وخرافات، وسيظلون ينفذون ما يرون حتى يُطاح بهم ويُبعدون.

د. جعفر هادي، أكاديمي عراقي له أكثر من كتاب حول اليهود وعقائدهم، يعرف العبرية وتخصصه أديان قديمة، تحدث عن احتلال العراق كقضية دينية، فهناك «مسيحيون صهيونيون»^(١) يعتمدون تفسيراً جديداً لنبوءات في التوراة مبهمة غامضة ومثلها في الأناجيل مثل: «رؤيا يوحنا».

تعود نشأة هؤلاء إلى القرن (١٩)، وملخص ما يؤمنون به:

(١) صحيفة الحياة في ٢٨/٨/١٤٢٤هـ الموافق ٢٤/١٠/٢٠٠٢م.

- ١- إن تاريخ العالم سيمر بسبعة أطوار هي:
 - أ- قيام إسرائيل.
 - ب- هجوم العرب عليها.
 - ج- وقوع معركة هرمجيدون الكبرى.
 - د- انتشار الخراب في العالم.
 - هـ- حدوث الكثير من الكوارث.
 - و - ظهور السيد المسيح وعودته.
 - ز- انتصاره بعد أن يقتل ثلث العالم.
- ٢- يبدأ حكمه العادل ومدته ألف عام؛ لذا سماوا بالألفيين.
- ٣- يعتقد أن الرئيس بوش -الابن- منهم، فقد كان ممن يحضر دروسهم.
- ٤- أن الكثير من معاوني الرئيس بوش ورجاله منهم، أمثال: وزير التجارة «دون إيفانز» والواعظ الموهوس «بيلي غراهام».
- ٥- يعتقد هؤلاء أن احتلال العراق يمهد لظهور السيد المسيح.
- ٦- كما يعتقدون أن العراق سيقسم إلى ثلاثة أقسام بناء على ما ورد في رؤيا يوحنا -سأتحدث عنها لاحقاً-.
- ٧- من اعتقاداتهم العظيمة: أن بابل أم الأديان الكاذبة، وأورشليم -القدس- هي أم العقيدة الحقّة، ويتجاهلون كل ما أورده النبي (إرميا) من كلام مقذع في أورشليم وما فعلت، وما فعله الله بها بسبب ذلك.

٨- يعتقد الألفيون أن حصول معارك في العراق قرب الفرات -خلال الحرب الأمريكية- يؤكد صحة نبوءات (يوحنا) ويتعمون عن كون الفرات شهد عشرات المعارك.

٩- يعتبرون الاحتلال الأمريكي للعراق يرتبط بعودة السيد المسيح؛ لذا قدموا الألوف من المبشرين للعراق ليخبروا أهله بذلك.

١٠- فالاحتلال «تدبير إلهي» على العراقيين أن يقبلوه.

١١- مهووس من هؤلاء اسمه «فرانكين غراهام» يصرخ: لقد حضرنا للعراق لنمبر لأهله عن حبنا، وأنا كمسيحي أقوم بذلك باسم المسيح.

١٢- مهووس آخر اسمه «روبرتسون» يقول: إن الأمور في المجتمع يجب أن تسير إلى الأسوأ وليس للأحسن، وعلى المسيحيين أن يعملوا على عدم تأخير رجوع المسيح، وأن الحروب ستقود إلى ظهوره؛ لذا عليهم أن لا يحاولوا تشجيع الناس على السلام؛ لأنه لا يتحقق قبل عودة المسيح... وإن كل دعوة إلى السلام قبل عودته فهي هرطقة - أي كفر- ومخالفة لكلمة الله، وهي ضد المسيح...أ هـ.

الحرب المراقية حول الفرات وقعت عشرات المرات، والأمور ساءت أكبر من التصور، والناس قتلوا ويقتلون؛ والسؤال: أين صارت: من لطمك على خدك الأيمن فآدر له خدك الأيسر... وأين صارت أحب عدوك، وأين وأين؟

بالأمس القريب قلتم لنا: إن «ياجوج ومأجوج» روسيا، فهل سنسمع منكم إنها الصين مثلاً أو الهند أو إيران؟

رؤيا يوحنا اللاهوتي

- ١- في رؤيا يوحنا اللاهوتي تختتم الأناجيل، وهي تحوي من الإصحاحات - مثل السور- (٢٢) إصحاحاً... الإصحاح الأول يبدأ بالحديث عن إعلان يسوع المسيح الذي أعطاه الله إياه يرى عبده ما لا بد أن يكون عن قريب، ويختتم بالحديث عن سر الكواكب السبعة.
- ٢- في الإصحاح الثاني يبدأ: (أكتب إلى ملاك كنيسة أفسس...) وينتهي: (وأعطيه كوكب الصبح، من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنايس).
- ٣- الإصحاح الثالث يبدأ: (أكتب إلى ملاك الكنيسة التي في ساردس...) وينتهي كسابقه: (... من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنايس).
- ٤- الإصحاح الرابع يبدأ: (بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح في السماء...) وينتهي: (أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة...).
- ٥- الإصحاح الخامس يبدأ: (ورأيت على يمين الجالس على العرش سفراً مكتوباً ومن وراء مختوماً بسبعة ختوم...) وينتهي الإصحاح: (وكانت الحيوانات الأربعة تقول آمين، والشيوخ الأربعة والمشرون خروا وسجدوا للحي إلى أبد الأبدين).
- ٦- الإصحاح السادس يبدأ: (ونظرت لما فتح الخروف واحداً من الختوم السبعة...) وانتهى: (وهم يقولون للجبال والصخور اسقطي علينا..... لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم، ومن يستطيع الوقوف).
- ٧- الإصحاح السابع يبدأ: (وبعد هذا رأيت أربعة من ملائكة واقفين على أربع زوايا الأرض....) وينتهي: (لأن الخروف الذي وسط العرش يرعاهم ويمتادهم إلى ينباع ماء حبه ويمسح الله كل دمة من عيونهم).

٨- الإصحاح الثامن يبدأ: (ولما فتح الختم السابع حدث سكوت في السماء نحو نصف ساعة، ورأيت السبعة الملائكة الذين يقفون أمام الله وقد أعطوا سبعة أبواق) وينتهي: (ثم نظرت وسمعت ملاكاً طائراً في وسط السماء قائلاً بصوت عظيم: ويل ويل للساكين على الأرض...).

٩- الإصحاح التاسع يبدأ: (ثم بوق الملاك الخامس فرأيت كوكباً قد سقط من السماء إلى الأرض...). في هذا الإصحاح وصف أسطوري لحيوانات مثل: حيوانات لها شكل الجراد لكنها تشبه الخيل مهيأة للحرب وعلى روسها أكاليل شبه الذهب ووجوه كوجوه الناس، ولها شعر كشعر النساء، أما أسنانها فهي كأسنان الأسود، ولها دروع كدروع الحديد... ولها أذنان تشبه العقارب... (ثم بوق الملاك السادس، فسمعت صوتاً واحداً من أربعة قرون مذبذب الذهب الذي أمام الله، قائلاً للملاك السادس الذي معه البوق فُك الأربعة الملائكة المقيدين عند النهر العظيم الفرات فانفك الأربعة الملائكة المعدون للساعة واليوم والشهر والسنة لكي يقتلوا ثلث الناس، وعدد جيوش الفرسان مئتا ألف ألف وأنا سمعت عددهم....) رؤيا يوحنا ١٢-١٦، وينتهي الإصحاح: (... ولا تابوا عن قتلهم ولا عن سحرهم ولا عن زناهم ولا عن سرقتهم).

١٠- الإصحاح العاشر يبدأ: (ثم رأيت ملاكاً آخر قوياً نازلاً من السماء) وينتهي: (فقال لي يجب أنك تتبأ أيضاً على شعوب وأمم والسنة وملوك كثيرين).

١١- الإصحاح الحادي عشر يبدأ: (ثم أعطيت قصبية شبه عصا ووقف الملاك قائلاً لي قم وقس هيكل الله والذبيح والساجد فيه) وينتهي: (وانفتح هيكل الله في السماء وظهر تابوت عهده في هيكله وحدثت بروق ورعود وزلزلة وبرد عظيم).

١٢- الإصحاح الثاني عشر يبدأ: (وظهرت آية عظيمة في السماء، امرأة متمريلة بالشمس والقمر، تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكبا وهي حبلى تصرخ...) وينتهي: (... ففضب التين على المرأة وذهب ليصنع حرباً مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله، وعندهم شهادة يسوع المسيح).

١٣- الإصحاح الثالث عشر يبدأ: (ثم وقفتُ على رمل البحر فرأيت وحشاً طالماً من البحر له سبعة رؤوس وعشرة قرون، وعلى قرونيه عشرة تيجان وعلى رؤوسهم اسم تجديد...) وينتهي: (... من له فهم فليحسب عدد الوحوش فإنه عدد إنسان وعدده ست مئة وستة وستون).

١٤- الإصحاح الرابع عشر يبدأ: (ثم نظرت وإذا خروف واقف على جبل صهيون...) وفيه ذكر لسقوط بابل: (ثم تبعه ملاك آخر قائلاً سقطت بابل المدينة العظيمة، لأنها سقت جميع الأمم من خمر غضب زناها) (٩:١٤) وانتهى الإصحاح: (وديست المعصرة خارج المدينة فخرج دم من المعصرة حتى إلى جم الخيل مسافة ألف وست مئة غلوة).

١٥- الإصحاح الخامس عشر يبدأ: (ثم رأيت آية أخرى في السماء عظيمة وعجيبة، سبعة ملائكة معهم السبع ضربات الأخيرة، لأن بها كل غضب الله) وانتهى (ولم يكن أحد يقدر أن يدخل الهيكل، حتى كملت سبع ضربات السبعة الملائكة) (يلاحظ ركافة الترجمة).

١٦- الإصحاح السادس عشر يبدأ: (وسمعت صوتاً عظيماً من الهيكل قائلاً للسبعة الملائكة امضوا واسكبوا جامات غضب الله على الأرض...) وبعد حدوث زلزلة عظيمة قسمت بابل لثلاثة أقسام (وصارت المدينة العظيمة ثلاثة أقسام، ومدن الأمم سقطت، وبابل العظيمة ذكرت أمام الله ليعطيها كأس خمر سخط

غضبه... (١٦:١٩) وانتهى الإصحاح: (... فجندف الناس على الله من ضربه البرد لأن ضربه عظيمة).

١٧- الإصحاح السابع عشر يبدأ (ثم جاء واحد من السبعة الملائكة الذين معهم السبعة الجمامات، وتكلم معي قائلاً لي هلم فأريك دينونة الزانية العظيمة الجالسة على المياه الكثيرة، التي زنى معها ملوك الأرض وسكر سكان الأرض من خمر زناها) يتحدث الإصحاح عن امرأة متسريلة بالزينة تحمل كأساً من ذهب مملوءة نجاسات (وعلى جبهتها اسم مكتوب سر بابل العظيمة أم الزواني ورجاسات الأرض، ورأيت المرأة سكرى من دم القديسين ومن دماء شهداء يسوع...).

١٨- الإصحاح الثامن عشر يبدأ: (ثم بعد هذا رأيت ملاكاً آخر نازلاً من السماء...) ثم يأتي ذكر المدينة العظيمة: (... واقفين من بعيد لأجل خوف عذابها قائلين: ويل ويل المدينة العظيمة بابل المدينة القوية، لأنه في ساعة واحدة جاءت دينونتك) (١٨: ١١) يتكرر ذكر البكاء والنواح على المدينة العظيمة، دون جديد يذكر. ينتهي الإصحاح هكذا: (لأن تجارك كانوا عظماء الأرض، إذ بسحرك ضلت جميع الأمم، وفيه وجد دم أنبياء وقديسين وجميع من قتل على الأرض) مبالغات تكشف نوعاً من الحقد الغريب على بابل وأهلها حتى حملت: (دماء الأنبياء والقديسين وجميع من قتل على الأرض) كل هؤلاء تتحملهم بابل والسؤال: أين صارت عدالة الله، وكون الجريمة شخصية، حيث لا يحمل الابن جريمة والده وال العكس؟

١٩- الإصحاح التاسع عشر يبدأ: (وبعد هذا سمعت صوتاً عظيماً من جمع كثير في السماء قائلاً هللويا، الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا، لأن أحكامه حق وعادلة إذ قد دان الزانية العظيمة التي أفسدت الأرض بزناها، وانتقم لدم عبيده من يدها) (١٩: ١-٣) وينتهي الإصحاح: (والباقون قتلوا بسيف الجالس على العرش الخارج من فمه وجميع الطيور شبعت من لحومهم). والسؤال: هل

صحيح أن بابل أفسدت الأرض بزناها فانتقم الله لدم عبيده؟ من يقرأ ما جاء على لسان النبي (إرميا الكاهن) يجد مثل هذا جاء بحق أورشليم، فما الذي جعل النقمة تحولت من أورشليم (القدس) إلى بابل؟

٢٠- الإصحاح العشرون يبدأ: (ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية...) وانتهى: (... وكل من لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة طرح في بحيرة النار).

٢١- الإصحاح الحادي والعشرون يبدأ: (ثم رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة...) يتحدث الإصحاح عن مدينة وملاك يحمل قسبة من ذهب يقيس بها المدينة وأبوابها وسورها، وأحجار المدينة من ياقوت أزرق وعقيق أبيض وزمرد ذبابي، أما سوق المدينة فمن ذهب نقي كزجاج شفاف، وهذه المدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر: لأن حجد الله قد أثارها والخروف سراجها، فتمشي شعوب المخلصين بنورها... ولن يدخلها شيء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً إلا المكتوبين في سفر حياة الخروف... وهكذا ينتهي الإصحاح.

وإذا أخبرتنا أسفار (يوحنا) بأن بابل مدينة الشر والقتل والزنى، المسؤولة عن كل دماء القتلى من النبيين والقديسين، فلماذا جاء الحديث مبهماً غامضاً عن مدينة الرب التي لا تحتاج إلى الشمس ولا للقمر، ولا يدخلها الدنس؛ لأن مجد الله أثارها والخروف سراجها، فمن يكون هذا «الخروف» الذي يتكرر ذكره في كل أسفار (يوحنا)؟

٢٢- الإصحاح الثاني والعشرون يبدأ (وأراني نهراً صافياً من ماء حياة لامعاً كبلور خارجاً من عرش الله والخروف...) والإصحاح يتحدث عن نبوءة (يوحنا) وعن يسوع (أنا يسوع أرسلت ملاكي لأشهد لكم بهذه الأمور عن الكنائس، أنا أصل وذرية داود..... إن كان أحد يزيد على هذا، يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب، وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوءة يحذف الله نصيبه

من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب في هذا الكتاب... وهكذا تنتهي (رؤيا يوحنا)، حاولت استعراض الإصحاحات لأعطي صورة واضحة عما حوته (الرؤيا)، ولأن بعض القابضين اليوم على البيت الأبيض قد جعلوا من هذه الرؤيا «دستوراً» لهم يريدون تطبيقه اليوم منطلقين من تفسيرات متمسفة، وإسقاطات يريدون ترجمتها ولو دفعوا العالم كله إلى حرب كونية لا تبيح ولا تذر.

كتاب يد الله لغريس هالسل

من يجب أن يتابع الموضوع بتفصيل أكثر أنصح به بدراسة كتاب «يد الله» للكاتبة «غريس هالسل» ترجمة «محمد السماك» والناشر دار الشروق، ففيه الكثير من التفاصيل التي يؤمن بها الأنفيون (المحافظون الجدد) والذين يعملون لجعل هذه الأساطير حقائق سياسية.

لقد سمعت دمالك دوهان الحسن -الوزير العراقي السابق للعدل- يقول في إحدى الفضائيات إنه كان في زيارة لأمريكا - قبل سقوط بغداد - فاطلع على ثلاث خرائط، فلما سأل عنها قيل له الأولى لدولة كردية في العراق، والثانية لدولة سنية في غريه، والثالثة لدولة شيعية في جنوبه، وسوف أذكر القليل مما ذكرته «غريس هالسل» عن تصور وفهم النصوص الواردة في (رؤيا يوحنا).

المحافظون الجدد وهلوسة الحرب

قرأ المحافظون الجدد (الأنفيون) رؤيا يوحنا . التي تقدمت . واستنتجوا منها: أنه قد حان موعد عودة السيد المسيح، فأهلاً وسهلاً بهذه العودة، لكنهم ربطوها

بكوارث وحروب ومنازعات بحيث يذهب «ثلث» العالم أي (ملياران وثلث) ولو كان «الجماعة» ممن يتسكع في شوارع واشنطن أو يتناول المخدرات في نيويورك، أو يشرب الخمر في بارات لوس أنجلوس لهان الأمر، وأصبح الاهتمام بما يقولون ضريباً من السخف وعبثاً ليس بعده عبث.

لكن «الجماعة» يتربعون بالبيت الأبيض، ويحكمون أمريكا، ويريدون فرض ما يؤمنون به على أمريكا والعالم بكليته، ومن هنا جاء الحظر. هناك مثل إيراني يقول: معجون يرمي حجراً في بئر فيجتمع مئة عاقل كي يخرجوه.

بضعة مهووسين يقرؤون أساطير غامضة، ثم يفسرونها تفسيرات خطيرة قد تجر العالم إلى حروب وويلات هو في غنى عنها، ومن هنا جاءت الإشكالية.

يقف على رأس الهرم في دولتهم رجل يقول: الله قال لي، الله كلفني، وأقسم بالله سأفعل ذلك.

بالأمس وقف إسرائيلي في محكمة ليقول: إن الله أمره بقتل رؤساء بلديات في فلسطين، وسأل الحاكم هل نصبك الله حاكماً؟

لنتصور (جداً) أن عشرة من حكام الدول الكبرى مثل: الصين والهند وروسيا وإنكلترا وفرنسا... صاروا يهلوسون بأن الله أمرهم بكذا وكذا من الحروب إلى استعمال القنابل النووية وقنابل جهنم والقنابل الذكية والغبية، فماذا سيكون حال سكان الأرض؟

لا يكفي أن يقال الجنون فنون، وهؤلاء مجانين، فالمجانين لهم مستشفيات وأماكن تحجزهم، لتقي البشرية من شرورهم، وليس من المقبول أن «يتسلطوا» على أكبر دولة، وأقوى البلدان، ثم يجربون جنونهم وهلوساتهم، القضية خطيرة، واللمب

بهذه الصورة قد يكلف العالم حرباً كونية تحرق القريب والبعيد، من يؤمن بهذه الهلوسة ومن لا يؤمن.

أرجو أن لا يتهمني أحد بكرة هؤلاء والصاق تهم بهم وبيئتهم؛ لذا سأذكر ما عندي معزواً لقائله، وعلمائنا يقولون: ناقل الكفر ليس بكاثر!!

سأكثر النقل عن «غريس هالسل» وبالمناسبة فهي لست أصولية ولا مسلمة ولا ممن يعشق الإرهاب وأهله وغير متهمه؛ لذا أرجو أن يصبر عليّ القراء وتتسع صدورهم. أريد قراءة ما كتبت هذه المرأة أولاً ثم الحكم بعد ذلك.

أنا لا أنقل عن وثائق سرية، بل عن كتاب أصله بالإنكليزية وترجم للمربية وطبع طبيعتين، وهو موجود في الأسواق، والكاتبه تذكر كل قول منسوباً لصاحبه و«الجماعة» أعلام يصولون ويجولون، وهم بين وزير يحكم أو واعظ تحت تصرفه المئات من المحطات الإذاعية والتلفزيونية، وضباط كبار في الخدمة الفعلية أو قد تقاعدوا قريباً، وكلهم من الأحياء - لا أطلال الله حياتهم، ولا متع البشرية بهم ولا يهلوستهم.

علمتنا التجارب: أن الحرب يمكن أن يشعلها مجنون مثل: هتلر أو موسليني أو ستالين، لكن السلام يحتاج إلى الوفاء العضاء كي يستقر.

وقديماً قال شاعر عاقل:

خلق الله للحروب رجلاً

ورجلاً لقصصه وشريد

وخلق الله شعوباً وزعماء للحرب والضرب، وخلق شعوباً للمسلم والأمن، ولكن ما الحيلة مع بعض الذين قال فيهم شاعر:

كلمة أنبت الزمان قناة

ركب الناس في القناة سنانا

في العالم وسائل كالتائرات والبوراج والسفن، بعضها ينقل الناس والدواء والحاجيات النافعة، وبعضها يزرع الموت والخوف في العالم... إنها وسائل محايدة، ولكن الإنسان يحسن استعمالها أو يفسد.

أعود بعد هذا «الاستطراد» لأنقل بعض ما يلوكة هؤلاء المهوسون:

١- القس «كين بوغ» إنه يحذر من انفجار حروب . قبل هرمجيدون . ويحدد أن واحداً من كل اثنين من البشر سيقتل... خبر مفزع أليس كذلك؟

٢- الواعظ الإنجيلي «فولويل» والنجم التلفزيوني المشهور يرى أن معركة هرمجيدون حقيقة مرعبة، ويزيد عن جزء من جيل النهاية، وإنني أعتقد أن أولادي سيميشون كامل حياتهم... وأن الله سيتخلص من العالم ومن الكون، وسيدمر الأرض والسموات، وأخيراً المليارات من البشر ستموت محرقه هرمجيدون...^(١) وكل هذه المعلومات مستتجة من (رؤيا يوحنا السابقة).

٣- الكاتبه غريس تقول: إن شهرة عقيدة هرمجيدون قد تجاوزت «المتهوين» ووصلت إلى أرفع مستوى في السلطة الحكومية^(٢).

٤- العميد الدكتور «جون فالوورد» ناداني (تقول غريس) حيث كنت أتسلق مدرج كلية اللاهوت في «دالس» وطلب مني مقابله، قال لي وهو يحمل كتاباً مقدساً كبيراً: إن الله لا ينظر إلى جميع أبنائه بنفس الطريقة.

(١) يد الله، غريس هاسل، الطبعة الثانية، عام ٢٠٠٢م، ص (١٤).

(٢) يد الله، غريس هاسل، الطبعة الثانية، عام ٢٠٠٢م، ص (١٨).

سألته: ماذا عن المليار مسلم في العالم؟

أجاب الدكتور جون: أخبرني الرب أن له مخططاته، لليهود وللمسيحيين، وليس لغيرهم، حتى يصبحوا مسيحيين، لقد أعد الله خطماً سماوياً للمسيحيين وخطماً أرضياً لليهود.

فسألته: أي خطط أرضية لليهود؟ فأجاب: إعادة إقامة إسرائيل عام ١٩٤٨ كان تحقيقاً لنبوأة توراتيه، وهي إشارة مؤكدة أن ساعة النبوءات التوراتية تدق، وإنما تقترب بسرعة من الأحداث الأخيرة التي تقود إلى «عودة السيد المسيح»^(١)... اهـ
معلومة جديدة الله تعالى فتح «مكتب خدمات» لليهود والنصارى، أما ما سواهم من الشعوب تعيسة الحظ فقد نسيها بالرغم من عدالته المطلقة.

هذا ما يقوله أستاذ أكاديمي وعميد كلية، فماذا يقول «حمال» في نيويورك؟

٥- أمريكيون من «دنفر» رحلوا للقدس كي يهدموا المسجد الأقصى، وليقيموا الهيكل مكانه.

تقول غريس: في مطلع عام ١٩٩٩ اعتقلت الشرطة الإسرائيلية مجموعة من «القدسيين الأمريكيين»، قدموا من «دنفر» يطلقون على أنفسهم المسيحيين المهتمين، اعتقلتهم الشرطة وأبعدتهم إلى أمريكا، واتهمتهم بالتخطيط «بنهاية دموية» هدفها تسريع عودة المسيح... وقيل: إنهم خططوا لتدمير الصرح الإسلامي الأكثر قداسة في القدس.

إن جماعة «دنفر» في اندفاعهم لاستبدال المسجد بمعبد يهودي لا يختلفون عن غيرهم من «القدسيين» الذين يؤمنون بأن الله يريد ذلك^(٢).

(١) يد الله، ص (٥٠).

(٢) يد الله ص (٦٤).

وإذا كان القديرون الأمريكيان يريدون عملياً هدم الأقصى وبناء الهيكل مكانه، فإن الأغنياء يجمعون المال ويقدمونه لتنفيذ هذا المخطط^(١). ومع ذلك فنحن وحدنا عنصريون إرهابيون متعصبون!!

مستوطنون أمريكيان، لتكن الحرب الكبرى

تقول غريس: إن المستوطنين الأمريكيان يشكلون ثلث المستوطنين، ومعظمهم جاؤوا من نيويورك. قابلت غريس واحداً منهم اسمه «بوبي براون» من بروكلي. قال لها هذا البطل: إذا كان تدمير المسجد الأقصى من أجل بناء الهيكل سيتسبب في نشوب حرب كبرى فلتكن!!

تقول غريس: إنه مثل آخرين يمتشق رشاشات الجيش الإسرائيلي، وينادي: إن وجود مسجد «قابع» في وسطنا يشعرنا بوجود وصمة عار في جبيننا^(٢).

ومع ذلك فـ«حماس» وحدها هي الإرهابية في نظر أمريكا وأوروبا، إنها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور.

نريد الحرب ونريد طرد العرب

تقول غريس: إنها أقامت في منزل ليندا وبوبي براون، وذات مساء قلت لهما: إن بناء الهيكل عن طريق تدمير المسجد الأقصى يمكن أن يشعل حرباً كارثية. فرد براون: تماماً، إننا نريد هذا النوع من الحرب وسنربحها، عندئذ سنطرد كل العرب من أرض إسرائيل، وسنعيد بناء الهيكل^(٣).

(١) المرجع السابق، (٦٧، ٦٥).

(٢) المرجع السابق، ص (٧٢).

(٣) يد الله، ص (٧٢).

ومع ذلك نحن من يريد الحرب ومن يرفض الآخر، اليس كذلك؟ ترى لو صدر مثل هذا الحديث عن شخصيه مثل الشيخ يوسف القرضاوي أو مثل الشيخ سلمان العودة أو الشيخ ناصر العمر، أو الشيخ عبدالمجيد الزنداني، ماذا ستقول أمريكا وهيئة الأمم؟

لنمجد الرب ولنرسل السلاح لإسرائيل

لا أحد على وجه الأرض يهدد إسرائيل، بل هي تهدد كل جيرانها، ووصل التهديد إلى إيران وباكستان، ومع ذلك فالأصوليون الإنجيليون يتلاعبون بالنصوص الدينية ويفسرون «تعمسفاً»: لذا رأينا الكاتبة «غريس» تحاور بعضهم مثل «بيرعوتر» حول معركة هرمجيدون وموقف النصارى من اليهود ووجوب إيمانهم وإلا قتلوا، يتهرب الكل من هذا في حركة «نفاق» واضحة، فيقولون: علينا دعم إسرائيل حالياً، فإذا جاء المسيح عندهما نفكر، أما الآن فلنمجد الرب، ولنرسل السلاح لإسرائيل^(١).

إسرائيل ليست في خطر، فلماذا العسكرية

لا أحد في العالم يعتقد أن أمريكا مهددة من قبل السودان أو أفغانستان أو العراق أو كوريا، ومثل ذلك لا أحد يعتقد أن إسرائيل في خطر، بل هي تملك ترسانة فيها كل السلاح الأمريكي، بما في ذلك السلاح النووي، وإذن فلماذا الحماس الكبير لعسكرة إسرائيل؟

عودة لبعض القادة الإنجيليين أمثال «دوجلاس كريك» في «دنفر» فهو يقول: يستطيع اليمين الديني أن «يسوق» للأمريكيين الفكرة: بأن الله يريد أن تكون إسرائيل عسكرية ومعسكرة، وكلما كانت معسكرة كان اليمين في أمريكا أكثر دعماً لها، بل أشد انجذاباً إليها^(٢).

(١) يد الله، ص (٨٢).

(٢) يد الله، ص (٨٤).

والسؤال الذي يفرض نفسه بقوة: هل هذا «الفرام» مبعثه الخوف على إسرائيل، أم الحقد على العرب والمسلمين؟ أم هي طموحات «تغلف» بفلاف ديني؟

ضرب السفينة ليبرتي

في حرب عام ١٩٦٧، ومع الانحياز الكامل من أمريكا لإسرائيل، ومع ذلك ما إن اقتربت السفينة الأمريكية «ليبرتي» من الأراضي المصرية والفلسطينية حتى أطلقت عليها القوات الإسرائيلية النار؛ فقتلوا (٣٤) بحاراً وجرح (١٧١)، وكانت «غريس» آنذاك في مكتب الرئيس الأمريكي «جونسن»، وكتم الحدث عن الشعب الأمريكي ولم ينتقد أحد إسرائيل، بل تواطأ الكل على السكوت - كما تقول غريس-، وبالتالي لم تكن إسرائيل بحاجة للاعتذار... وقد احتلت إسرائيل سيناء وبعض المدن المصرية وأغلقت قناة السويس واحتلت الضفة الغربية كلها وكذا القدس والجولان.

ومع أن القانون الدولي يمنع كل ذلك وكذا ميثاق الأمم المتحدة، فإن اليمين الأمريكي وبعض قاداته أمثال «جيري هولويل» راحوا يدعون إسرائيل إلى عدم الخضوع للقانون الدولي^(١).

والسؤال ماذا سيكون الحال لو ضرب العرب «ليبرتي» واستكفوا عن الاعتذار؟ العرب يُضربون ويقتلون يومياً، وتطالب «حماس» والعرب بالاعتراف بإسرائيل، والرسالة: عليكم تلقي الضربات حتى تعترفوا، ولا مفر أمامكم من ذلك.

(١) يد الله، ص (٨٧).

أكبر مؤتمر للمناققين في العالم

الخوف من إسرائيل صار طاعوناً يطحن الكبار، الكل خائف، فإسرائيل تملك أسلحة «دمار شامل» على رأسها البلايين من الدولارات ووسائل الإعلام، وأخيراً «ملفات الفساد» وما حدث للرئيس «كلينتون» خوفاً الكل، بل أصابهم بالذعر، ونسمع أن الرئيس الفرنسي المشاكس، فإن «ملفه» قيد التجميع وينتظر أن يفادر الرئاسة لتبدأ الفضيحة والباقي في الطريق. والأيدي على القلب، والكل يدعو: اللهم سلم سلم، اللهم حوالينا ولا علينا!!

مؤتمر المناققين الأكبر عقد عام (١٩٨٥م) حضره (٦٠٠) مناقق يمثلون (٢٧) دولة، أما المكان فكان في «بال» بسويسرا، وفي القاعة التي شهدت المؤتمر الصهيوني برئاسة «هرتزل»... كان كبار المناققين يعملون (١٢) ساعة يومياً، جمع المؤتمر قادة إسرائيل، وكبار المناققين من المسيحيين الغربيين، الغريب لم يتذكر «الأبطال» السيد المسيح ولا ياجوج وماجوج ولا هرمجيدون ولا سواها، مؤتمر سياسي مئة بالمئة... أهم وأكبر اهتمام كان للقديسين الأمريكان (كيف يستطيعون دعم الروزنامة السياسي لإسرائيل)^(١).

لو كان بالإمكان عرض الأبطال على جهاز الكذب فهل سينجح أحد؟

مؤتمر آخر للمناققين يخص القدس

في ١٠/٤/١٩٩٧م نشر القديرون إعلاناً في نيويورك تايمز استخدموا فيه عبارات دينية للتأكيد على أن القدس هي العاصمة الروحية والسياسية للشعب

(١) يد الله، ص (٨٨).

اليهودي وحده، طوال ثلاثة آلاف عام، ووقعه رموز القدرية الأمريكية من أمثال فولويل ويات وروبرتسون وريد وحاكثير وأمثالهم^(١).

لقد تناسى زعماء النفاق موقع القدس بالنسبة للمسلمين والنصارى معاً، ولما كان عدد اليهود في إسرائيل في حدود (٤) ملايين وعددهم في نيويورك أكثر من ذلك بكثير، فلماذا لا يتبرع الأبطال بمدينة نيويورك لتكون عاصمة إسرائيل، ولتكون إسرائيل ولاية تضاف للولايات المتحدة، وينتهي العالم كله من هذا الصداع؟ وأين كان الشعب اليهودي خلال ثلاثة آلاف عام...؟ وإذا لم تستح فاصنع ما شئت!!

المالية الأمريكية تدفع لبقاء مستوطنات

أمريكا تتبرع لبعض الدول بمعونات بعضها أسلحة وبعضها مواد عينية وأقلها نقود، وكل العالم يقبض النصف والنصف الثاني يذهب لإسرائيل، هذا غير السلاح والمواد العينية، أما النقود فتستلمها كاملة ثم تودعها في البنوك الأمريكية وتقبض عنها فوائد. كل هذا معلوم معروف، وإن كان المخفي أكبر وأعظم، الكاتبة «غريس» تقول: إن وزارة المالية الأمريكية هي المصدر الأكبر لتمويل جماعة «غوش إيمونيم» الأصولية اليهودية لتستعملها في بناء مستوطنات «غير شرعية» في شرق القدس والضفة الغربية، وهذه الملايين من دولارات الضرائب تضخ لبناء مستوطنات غير شرعية^(٢).

كان لأمريكا قرض (٥٠) مليون دولار، فلما نجحت (حماس) في الانتخابات طلبتها أمريكا على وجه السرعة وقبضتها، وقد تكون وصلت إلى إسرائيل لبناء

(١) يد الله، ص (٨٩).

(٢) يد الله، ص (٧٣).

سجون أو لإقامة الجدار العنصري أو لشراء بلدوزرات لتجريف الأراضي الفلسطينية وهدم البيوت الفلسطينية!!

ويتساءل بعض العميان من أبناء (علمان) لماذا لا نعشق أمريكا ووجهها المشرق وكرمها الحاتمي، وإنجازاتها الحضارية في غوانتنامو والعراق وأفغانستان؟

نداء للرئيس بوش

لدينا فائض بشري عاشق لكم، ولطلمتكم البهية، ولديمقراطيتكم السرمدية وإنجازاتكم الحضارية، فهل تفضلون بمنح «بني علمان» جنسيات كي يتحولوا إلى بلدكم، فقد استبدهم الشوق حتى صاروا كأبي نواسن الذي تدرج من أسفل إلى فوق، هؤلاء عشاق متيمون نخشى أن يموتوا حسرة وكمدأ، فهل تجودون عليهم بالجنسية أو «الكرين كارت» قبل أن يفارقوا الحياة؟

التحالف المسيحي ضد السلام

الحرب يشعلها مجنون، أما السلام فيحتاج إلى فريق مخلص، د. نوم تشومسكي يقول في أكثر كتبه: إن أمريكا وإسرائيل لا تريدان السلام، الجديد أن (غريس) تسجل هذه الحقيقة فتقول: عام ١٩٩٨م ألغت إسرائيل التزاماتها باحترام اتفاق سلام (واي زهر) مع الفلسطينيين، وعلى الفور أشاد «التحالف المسيحي» بإسرائيل لتشددها^(١).

والسؤال: هل السر في ذلك بقاء إمكانية التوسع الإسرائيلي في فتوحه، أم ميلان الميزان ضدنا، وبالتالي فلا ضرورة للسلام، بل هو مضر؟

(١) يد الله، ص (٩٠).

وهل الأمران معاً ما يجعلان أمريكا تقبض على القضية الفلسطينية وتمنع أي طرف مهما كان أن تكون له حُلمة فيها؟

الفشل في حماية إسرائيل

جيرري فولويل من أكبر رموز النفوق المسيحي الأمريكي يطرح دينياً وجهة نظر قائلًا: على كل مسيحي أن يدعم إسرائيل، وإذا فشلنا في حماية إسرائيل فلن نبقى مهمين في نظر الله^(١).

وأسارع للقول: إن هذه الفتوى ادعاء بلا سند، وإن اليهود أو بعضهم لم يصل إلى هذا الفهم الجديد، فما الدليل الشرعي على ذلك؟

بالمناسبة ترى (غريس) أن القدرين الأمريكان يحبون إسرائيل أكثر من الإسرائيليين.

إسرائيل مطلوبة لينزل السيد المسيح

عمر إسرائيل نصف قرن، وعمر المسيحية جاوز الألفي عام، فكيف ظهر هذا الفسق وأين كان قبل قيام إسرائيل؟

غريس تدرس ظاهرة «القدرين» وهذا المشق القاتل فتقول: اتسمت شهرة القدرين في السنوات الأخيرة ومن صفاتهم:

١- يبشرون بعقيدة هرمجيدون، وهم لا ساميون (جيرري فولويل) وأمثاله يحيون إسرائيل أكثر حتى من الإسرائيليين... ويريدون أن تقوم إسرائيل، لتكون محطة لنزول المسيح، لكنهم يتحدثون باحتقار عن اليهود.

(١) يد الله. ص (٩٢).

٢- لهم نظرة ضيقة لله وللبشر، إذ يعبدون إلهاً قبلياً، لا يهتم إلا باليهود والمسيحيين، وكل ما مهم لديهم يدور حول إسرائيل.

٣- إن الله - في نظرهم - وضع لليهود وعددهم (١٤) مليوناً على مسار أرضي، بينما وضع ملياراً من المسيحيين على مسار سماوي، وباقي البشر لم تسجل شاشات «الردار» لهم وجوداً، حتى يدعوهم الله للتقدم لمحرقه هرمجيدون.

٤- يزعمون أنهم يفهمون عقل الله .

٥- إن العالم يزداد سوءاً، لكنهم لا يبذلون جهداً للتغيير، وكهنتهم يؤمنون بإله الفضب والانتقام والحرب، ويعلمون أن الله لا يريدنا أن نعمل من أجل السلام بل أن نشن حرباً نووية، تدمر الأرض.

٦- ولقد سمعتُ «هولويل» يصرخ: لم يكن المسيح جباناً ولا مخنثاً، بل يتصوره وأمثاله على صورة «جنرال بخمس نجوم» يمتطي جواداً، ويقود جيوش العالم كلها، متسلحاً برووس نووية، ليقتل المليارات من الناس^(١) من حق كل إنسان أن «يحلم» في المنام واليقظة، لكن أن يحول أحلامه إلى دين، فذلك مما لا يقبله أحد.

صورة السيد المسيح عمرها أكثر من ألفي عام، مسالم يدعو للمحبة يقول ويكرر: من لطفك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر... ينادي بضرورة أن يحب الإنسان عدوه، هذه الصورة لا علاقة لها مطلقاً بالصورة الجديدة «المحرفة» فهل هي النية إصدار صورة جديدة للسيد المسيح وربما طبعة جديدة مزورة من الأنجيل، عليها ختم «وزارة الدفاع الأمريكية»؟

إن عدالة الله المطلقة توزع على عباده، من آمن وأحسن فله أجره، ومن كفر وأساء فله عذابه، أما أن يصور الله تعالى متحازباً لبعض عباده، هذا له مسار

(١) يد الله، ص (١٠٩).

أرضي، وأولئك لهم مسار سماوي، والبقية إلى جهنم ذبحاً وحرقاً، فهذا بيان من وزارة «دفاع»، وليس مما يفعله الله رب العالمين الرحمن الرحيم.

يقول رسولنا عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: (يا عبادي، إني حرمت الظلم وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا).

فمن يتهم الله تعالى بالانحياز والظلم لبعض عبادہ فقد افتري إثماً عظيماً!!

شياطين الأوس واليوم

جمل كثير من البشر «الشياطين» سلة مهملات، يرمي فيها كل أمر سيئ لا يعجبه، يشتغل الإنسان، فإذا نجح قال: خططت واشتغلت فنجحت، فإذا فشل رمى فشله على الشيطان.

وأخيراً سمعنا رئيس أكبر دولة علمانية يقسم الدول إلى رحمانية وشيطانية، دول خيرة وأخرى مارقة، وغداً ربما سمعنا تقسيماً جديداً، فهذا الزعيم صادق أمين وذلك كذاب دجال.

(بيتر سكاون) ذلك الشجاع الذي لا يخاف يتحدث في كتابه «الكتاب الأسود» عن بلده أمريكا الذي كان يتبنى المذلة، والبعد عن الحروب، وظل كذلك حتى الحرب العالمية الأولى، حين توصل الرئيس «ويلسون» إلى فكرة أن أمن أمريكا جزء لا يتجزأ من أمن العالم، ثم راح يثقف شعبه بثقافة جديدة خلاصتها أن الإمبراطورية الألمانية قد تحولت إلى شيطان، وأن السلام لن يأتي إلا من فوز ساحق.

منذ ذلك الوقت كثر الحديث عن منهج الخير مقابل الشر، حتى صار - الحديث - الخاصة البلاغية الأساسية للسياسة الخارجية الأمريكية^(١).

(١) أمريكا: الكتاب الأسود، طبعة ٢٠٠٢، ص (٢٨٠).

وإذا كان الرئيس ويلسون راح يتقف شعبه مستعيناً ببلاغته، فحكاه أمريكا اليوم يريدون ليس إقناع شعبهم بل إقناع العالم بأنهم رسل الله الجدد، والناطقون الرسميون باسم الله تعالى، والمنفذون لما يريد!!

قيادة العالم والحمارة بوريدان

من الأساطير الفلسفية أن حمارة اسمه «بوريدان» تعلم الفلسفة . لكنه لم يشتغل بالسياسة . جاع يوماً وعطش، وجاء من يقدم له الطعام والماء، لكنه أدركته «حرفة الفلسفة» فجلس يفكر: يأكل أولاً ثم يشرب أم يشرب ثم يأكل بعد ذلك، وطال تفكيره وطال، ثم مات قبل أن يحسم المسألة. ذكرت «النكتة» أمام بعضهم فتحسر على «بوريدان» وقال لو عاش حتى اليوم ربما كان زعيماً كبيراً لدولة كبيرة، فهو صاحب مؤهلات عظيمة!!

جنون الحرب ودمار العالم

العالم تضربه المجاعات والجفاف والأعاصير، لكن هناك من لا يشغله ذلك، بل يعلم بدمار أكبر وأكبر، والسؤال: ما سر هذا الهذيان والهلوسة؟

وقبل الإجابة فهذه عينة لفصيلة «بوريدانيه»، من الحمير المهتمة بالسياسة والحرب وليس بالفلسفة والموت جوعاً وعطشاً.

كتبت «غريس هائل» تقول: إن موجة من جنون الحرب تجتاح أمريكا، العالم سيدمر كله. يقول الكاتب «هول ليندسي»: فكروا في الأمر (٢٠٠) مليون جندي . على الأقل . من المشرق . أي مشرق . مع ملايين أخرى من قوات الغرب،

سيضرب المسيح أولئك الذين اجتاحتها مدينة «القدس». ثم سيضرب الجيوش المتكدسة في وادي «مجييدون»، فلا عجب أن يسيل الدم ليصل إلى «جمعة الخيل على طول مسافة (٢٠٠) ميل من القدس^(١)... إن كل مدينة في العالم ستدمر: لندن، باريس، طوكيو، نيويورك، لوس أنجلس، شيكاغو، ستمحق كلها تماماً^(٢).

ولدي جملة أسئلة ساذجة:

١- كيف يتصور عقل حشد (٢٠٠) مليون من جنود المشرق مع ملايين من المغرب يجتاحون مدينة صغيرة مثل القدس؟ أين الأرض التي تتسع لهم ولمدعاتهم؟

٢- ستتكدس هذه الملايين في وادي صغير (مجييدو) فكيف يتسع لهم؟

٣- سيضرب السيد المسيح هؤلاء فتسيل الدماء حتى تصل رؤوس الخيل، فهل المتكلم ممن يتعامل مع (الحشيشة والمخدرات)؟

٤- معركة في القدس أو حولها، جيوش تتقاتل حتى تفنى. لنسلم بذلك، فما علاقة لندن وطوكيو ونيويورك، وكيف تخرب؟

بالله عليكم اليس هذا من فضيلة العزيز «بوريدان» أو من خيال محمش؟

أمريكا وهوس الحرب

هل تنتاب أمريكا - شعباً وحكومة - هوس الحرب؟ أترك الجواب (لبيتتر سكاون) الشجاع، ولينقل لنا صورة مرعبة مخيفة عن عشق للحرب. وكأنها الخيار الذي لا خيار فوقه ولا بعده.

(١) الوصف مأخوذ من (رؤيا يوحنا المتقدمة).

(٢) يد الله. ص (٢٣).

يقول (سكاون): كتب «تشارلز جونسن» لدى أمريكا وسيلة وحيدة، لكنها غير ملائمة لتحقيق أهدافها الخارجية، وهي «القوة العسكرية»، فقد فقدت أمريكا مهاراتها الأخرى كافة، والتي تشمل التحرك الثقافي والدبلوماسي واللغوي والمؤسسات الدولية، تلك التي يدعمها الشعب الأمريكي سياسياً ومالياً، والتي يمكنها إضفاء الشرعية على الجهود الأمريكية - الخارجية والسياسات الاقتصادية - التي تميز قوة السوق الأمريكي الهائلة، لتحويلها إلى ردود أفعال أجنبية مرغوبة، أو حتى قادرة على التعبير عن القيم الأمريكية، دون اتهامها بالنفاق الميؤوس منه^(١)... أهـ

إن العشق للحرب له أسبابه منها: فقدان القوة المكافئة لأمريكا، وتسلط المسكر وشركات صنع السلاح، ووجود دول «رخوة» تفري أمريكا بفزوها، ووجود «لوبيات» متنفذة كاللوبي الصهيوني واليمين الإنجيلي اللذين يريدان تحقيق نبوءات عمرها ألف سنين مثل: (رؤيا يوحنا) وحرب يأجوج ومأجوج وهرمجيديون، مع قيادة ضعيفه، كلها تجمعت فصارت «لعنة»!!

من هو عدو السيد المسيح

مضى على بعثة السيد المسيح -عليه السلام- أكثر من ألفي عام، اخترع النصراري له العديد من الأعداء ابتداءً باليهود الذين رفضوه وحاولوا تأليب الحكم الروماني ضده، مع اتهامات باطلة كتعامله بالسحر والشعوذة، إلى القول بأنه يسكن في قعر جهنم . كما نقل ذلك . د . إسرائيل شاحاك في (كتابه اليهود وتاريخ اليهودية) وأخيراً جاء دور المسلمين والعرب وهنتر وستالين وموسوليني، وأخيراً صدام . الكاتبة «غريس هالسل» درست هذه «العداوة» على مر التاريخ وسجلت^(٢) .

(١) أمريكا: الكتاب الأسود. ص (٩٢).

(٢) يد الله، ص (٢٤).

١- عام ١٥٢٠م وصف مارتن لوتر - مؤسس الكنيسة الإنجيلية - (البابا) بأنه عدو السيد المسيح.

٢- كذلك فعل كالفن . مؤسس الكاثيكية الكالفينية ..

٣- في العصور الوسطى كان اليهودي هو عدو السيد المسيح، جاء بعده المسلم واليوم يعتبر العرب هم الأعداء.

٤- في الأربعينيات . من القرن العشرين . وصف هتلر بأنه عدو السيد المسيح، وأن ألمانيا هي «غومر» في سفر حزقيال (٣٨).

٥- كما وصف الزعيم الإيطالي موسوليني كذلك حين حاول إحياء الإمبراطورية الرومانية.

٦- اعتبر ستالين كذلك كما اعتبرت روسيا هي أجوج وأجوج.

٧- اعتبر «صدام» عدو السيد المسيح، وأنه مثل نبوخذ نصر البابلي.

٨- عدو السيد المسيح رجل يهودي.

٩- يرى «هيلتون سانون» . تفلزيوني إنجيلي . أن عدو السيد المسيح سيمعلن عن مصيره من خلال مؤتمر صحفي عالمي متلفز، تنقله الأقمار الصناعية.

١٠- يرى كلايد . عسكري أمريكي متقاعد . أن العدو للسيد المسيح سيخرج من رومانيا وله شخصية شيطانية، وهو خطيب مفوه وذكي جداً ويقود جيوش العالم، ويقتل الملايين، ثم يقتله السيد المسيح.

وإذا كانت كل الطرق تؤدي إلى روما، فكل شيء هي أمريكا ينتهي بالقتل والحرب والذبح}}

جنرال مخرف: عدونا الشيطان

موجة عاتية من الهلوسة والتخريف تجتاح أمريكا، من أكبر رأس إلى أصغره، وحتى لا أتهم بالتحامل وتسويد سمعة أمريكا، فأنا أنقل حرفياً عن صحيفة «لوس أنجلوس تايمز»^(١) فقد ذكرت أن النائب الجديد لوكيل وزير الدفاع الأمريكي لشؤون الاستخبارات «اللفتنانت جنرال وليام ج. بويكن» يضع الحرب على الإرهاب في إطار مفهوم ديني جديد، فهي صراع بين القيم المسيحية اليهودية والشيطان.

والجنرال يتحدث في تجمع لمنظمة دينية - وهذه ظاهرة جديدة - فأين صارت علمانية أمريكا؟ وفي (أوريغون) يصرح الجنرال: إن المتطرفين المسلمين يكرهون أمريكا: لأننا أمة مسيحية، أسسنا وجذورنا مسيحية يهودية، أما عدونا فهو شخص يدعى «الشيطان».

وفي برنامج «نايتلي نيوز» الإخباري من محطة N.B.C نيوز، ظهر الجنرال أمام منظمات دينية يشرح معركة للجيش الأمريكي اسمها «بويكن»، المعركة ضد زعيم حرب مسلم في الصومال عام ١٩٩٢م، ويعلق الجنرال: عرفت أن إلهي أكبر من إلهه، عرفت أن إلهي حقيقي وإلهه صنم... أهـ

والسؤال: هذا حديث جنرال بجيش دولة علمانية، أم خرافات مهووس؟

والسؤال الثاني: ألم يجد الجنرال العظيم زعيماً مسلماً خارج الصومال؟

والسؤال الثالث: هل سمع العالم مناقشاً لودعياً مثل الجنرال، يفاخر بأن ربه أكبر من رب وإله خصمه؟

أنا أنصح الجيش الأمريكي أن ينقلوا الجنرال العظيم إلى مصلحة دفن الموتى، أو تنظيف حمامات نيويورك العامة، فذلك مما يناسب عبقريته!!

(١) صحيفة الحياة، ١٧/١٠/٢٠٠٢م.

كارتر وقتل السيد المسيح

من المعروف عن الرئيس كارتر تدينه، وكان يريد أن يكون «قساً» فدخل السياسة بالغلط، ويمد أن صار رئيساً لأمريكا أعلن أنه «ولد ثانية». وقد جاء في بيانه الانتخابي: إن تأسيس إسرائيل هو تحقيق للنبوذة التوراتية، وإنه يدين كل من يتهم اليهود بقتل المسيح ويصفه بأنه: لا سامي... أهـ

وبالنسبة للسيد المسيح توجد ثلاث روايات عن قتله:

١- النصرى . بحسب الأنجيل . يرون أن اليهود شكوه للحاكم الروماني. لكنه اعتبر القضية دينية بين اليهود ولا علاقة له بذلك.

لكن اليهود ظلوا يلحون وقدموا شاهد زور من الحواريين، وحكم على السيد المسيح بالقتل مصلوباً، وكل رجل دين مسيحي يحمل الصليب في رقبتة، وصارت قضية الصلب من أكبر قضايا المسيحية وفلسفت وكتب فيها مجلدات.

٢- اليهود يقولون بأن السيد المسيح عرض على محكمة دينية خاصة فحكمت عليه بالموت؛ لأنه يتعاطى السحر والشعوذة ويظعن في الدين؛ ولذا قتل.

٣- في القرآن: وهو يتحدث عن أقوال وادعاءات لليهود: «وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا»^(١).

فالأناجيل تتهم اليهود بقتله. بل وقولهم: دمه في رقابهم ورقاب ذرياتهم. وبحسب المصادر اليهودية حوكم وقتل، والقرآن ينفي كل ذلك، فأين يقف السيد كارتر وبماذا يؤمن؟

(١) النساء، آية (١٥٧).

إن المسؤولين في الغرب لم يعودوا يخافون من أحد كما يخافون من اليهود
عموماً ومن إسرائيل بوجه خاص، وكل ما يقال محكوم بهذه الخلفية.

طبول الحرب تفرع

شيء ملفت للنظر، حيث تفرع طبول الحرب في أمريكا، وخلفها جماعات دينية
كلها تريد الحرب... الكاتبة «غريس هالسل» متابعة لهذه الظاهرة، كتبت كتابين
الأول: «النبوة والسياسة»، والثاني «يد الله» وكان الثاني يشرح الأول، في الكتاب
تقول: ^(١) «إن اليمين المسيحي راغب بكل قواه في إشعال حرب «نووية» بشأن
إسرائيل، تحقيقاً لنبوات مقدسة حيث تعمل (٢٥٠) منظمة في أمريكا للأصوليين
(الايفانجيليين) تعمل كلها محالفة لإسرائيل، ولها عدة أنشطة، كلها تصب في صالح
إسرائيل، وعلى رأسها القيام برحلات «سياسية» لإسرائيل... أهـ

والسؤال: هل إسرائيل بحاجة ماسة لكل ذلك؟

إن هذا الفرام أو الشطح «الصوفي» يبدو غير مبرر، إسرائيل قامت، والكل يعلم
كيف قامت، وهي تهدد وتخوف الجيران الأقارب والأباعد، فإذا قدر الله للسيد
المسيح أن يعود فأهلاً ومرحباً، أما هذا القرع للطبول فلم تعد له حاجة، القدس
بأيدي إسرائيل، والسيد المسيح قد مهدت له الطريق، وإذن فهذا القرع الشديد
لطبول الحرب لا بد له من أسباب أخرى، ومهمات خفية، فإما أن يكف عن القرع
وإما يصرح عن الأسباب الحقيقية له.

دعم إسرائيل رسالة ربانية

إسرائيل دولة معتدية لا يمر يوم إلا فيه قتل وهدم بيوت واعتقال وتجريف
أرض، أما حصار الشعب الفلسطيني فقد تجاوز كل الحدود، وكان الأجدر بعشاق

(١) الامبراطورية الأمريكية، ٢٠٧/٢.

إسرائيل أن ينصحوها بالكف عن هذا الظلم، فكل يوم نسمع من داخل إسرائيل من يستكر ما تفعل، نقرأ لضابط يقول نحن متوحشون، نقرأ لرئيس سابق (للكنيست) نقداً قوياً شجاعاً، ومن أمريكا نقرأ ونسمع العجب العجائب، نقرأ تفسيراً ما سمع العالم مثله قط.

باحث أمريكي شجاع اسمه «أدوارد تفنان»^(١) يقول: ملايين البروتستانت من الأمريكيين يدعمون إسرائيل، عن إيمان كامل بأن هذا الدعم هو السبيل الأساسي لبقاء أمريكا «السياسي والروحي»، وإن التزام أمريكا هذا مبني على نبوءات توراتية، مع الإيمان بأن اليهود شعب الله المختار.

نجم التلفزة «جيرري فالويل» مؤسس منظمة (الأغلبية الأخلاقية) يقول: إن الرب يعامل الشعوب حسب تعاملها مع إسرائيل. وإنه يؤمن بأن الرب بارك وبيارك أمريكا؛ لأن إبراهيم باركها، واليهود باركوها، فإذا انقلبت أمريكا على إسرائيل، فإن الرب لن يقيم لها وزناً. وإن أهمية الأمريكيين مرتبطة في نظر الرب بتنفيذ إرادته في دعم إسرائيل... أهـ

والسؤال: هل هذا منشور سياسي أم أحكام شرعية دينية؟

٢- حين اكتشفت أمريكا عام ١٤٩٢م قال اليهود بعدم وجود قارة أمريكا: لأن التوراة لم تذكرها.

٣- الربط بين بقاء أمريكا السياسي والروحي وبين التزام أمريكا لإسرائيل لا أساس له، فعممر إسرائيل نصف قرن، وأمريكا قامت وصارت دولة كبيرة قبل إسرائيل بقرون.

٤- قول فالويل بأن الله يعامل الشعوب حسب تعاملها مع إسرائيل كذبة لا سند لها.

(١) المرجع السابق، ٢٠٧/٢.

وإسرائيل دولة معتدية وخطر على العالم والسلم العالمي باعتراف ٥٨٪ من سكان أوروبا، أما في آسيا وإفريقية فقد تتجاوز النسبة ٧٠٪. فما الدليل على صحة ما يقول؟

٥- أما أن الرب يبارك أمريكا لأن إبراهيم باركها فأين النص على ذلك؟

٦- وأين الدليل على أن أهمية أمريكا مرتبطة بتنفيذ إرادته بدعم إسرائيل، أين الدليل على ذلك؟

٧- لقد قال وكيل وزارة للخارجية حين قدّم (روجر) مشروعاً لحل القضية الفلسطينية واعترض (رابين) ويومها كان سفيراً في واشنطن، فقال له الوكيل: ما جدوى وفائدة أن نكسب صداقة إسرائيل ونخسر صداقة كافة العرب والمسلمين ومع ذلك لم يمسخ الله أمريكا، ولا ضربها بإعصار كما يضربها الله اليوم فلم كل هذا الدجل والنفاق والتلاعب بالدين، وجعله في خدمة العدوان والعهر الإسرائيلي؟

روبرتسون، الرب مع إسرائيل ضد العرب

روبرتسون ممن رشح عام ١٩٨٨م لرئاسة الجمهورية الأمريكية وفشل، يستجدي من اليهود أصواتهم، لكن بتسخير الدين والرب في ذلك.... فيقول: (١) نحن المسيحيين نعتقد في صميم قلوبنا أن الرب يقف بجانب إسرائيل، وليس بجانب العرب الإرهابيين.

هذا «البطل» أيد كل الحروب ضد العرب من لبنان إلى العراق... وأسأل البطل: كل النصارى الشرقيين ضد إسرائيل، وبعض الطوائف اليهودية فما رأيك؟

(١) الإمبراطورية الأمريكية. ٢٠٩/٢ .

من الهلوسة! الظهور المجيد للسيد المسيح

في أمريكا مصانع من كل نوع، ومنها مصانع جديدة «للهلوسة». كتب تطبيع وقصص تنشر عن عودة السيد المسيح... قد يقول إنسان: ما الجديد في ذلك، فهناك من ينتظر المهدي ومن ينتظر السيد المسيح، ومن ينتظر المخلص ومن ومن.. فما الجديد في القضية؟

الجديد أنه كان للسيد المسيح شخصية مسالمة تنشر السلم والمحبة، ودون مقدمات تحول السيد إلى جنرال «بخمس نجوم» أو أكثر، مهمته قتل البشر - غير المسيحيين - هم وخيولهم، ودفنهم بقبر جماعي، هذا هو الشيء الجديد.

والأمر ليس من اختراع أعداء أمريكا، بل من المهوسيين والمجانين الجدد. أترك للكاتب الأمريكي «نيكولا كريستوفر» أن يصور هذا «الطاعون»، فقد كتب «نيكولا» في صحيفة نيويورك تايمز قائلاً^(١) إذا صدقت آخر قصص «الإثارة الإنجيلية» من سلسلة الذين تخلفوا عن الركب، فإن يسوع المسيح سيعود للأرض، ويجمع غير المسيحيين إلى «يساره» ويلقي بهم في النار الأبدية، السيد المسيح لن يتكلف كثيراً، فما إن يرفع يده قليلاً حتى يحدث شق عظيم في الأرض، يمتد بطول وعمق يكفي لابتلاع هؤلاء جميعاً، إذ يهوون - في هذه الحفرة - وهم يتصارخون وينوحون. وسرعان ما تختفي أصواتهم، حين ينفلق الشق والحفرة مجدداً.

هذه الرواية بيع منها (٦٠) مليون نسخة، وهي تتحدث عن عودة السيد المسيح للأرض، للقضاء على غير المسيحيين وإبادتهم... وهكذا يحتفل بتطهير «عرقى» وكأنه قمة الإيمان.

ولو كتب «المسلمون» نموذجاً مشابهاً ونشروه في «السعودية» مثلاً، وجرى وصف

(١) صحيفة الدستور الأردنية، ٢١/٤/٢٠٠٤م.

لذبح ملايين البشر بفعل إلهي، إذن لعلا صراخنا، ومع ذلك فقد اتبعنا خطى أكثر الناس تطرفاً من المسلمين، والذين يوصفون بعدم التسامح، لقد حان الوقت لنزيل الفشاوة عن عيوننا.

رواية «الظهور المجيد» ترسم كيف ينطلق المسيح وكيف تتمزق أجساد الأعداء لدرجة يتوجب على المسيحيين أن يسيروا بحذر، ليتجنبوا الاصطدام بأشلاء الناس والخييل معاً.

أما الخيالة الذين لم يسقطوا، منهم يقفزون عن خيلهم، مع محاولة السيطرة عليها، وفيما هم يحاولون ذلك، تتساقط لحومهم، وتذوب أعينهم، وتسقط أسننتهم، وبعدها يكون الدور على خيولهم، حيث تذوب لحومها وأعينها وأسننتها، ثم تتحول إلى هياكل عظمية، تسقط بعدها على الأرض.

هذه الصورة «الدامية» تعكس تغيراً في صورة وشخصية السيد المسيح، من شخصية رقيقة رحيمة، إلى مسيح محارب يحكم فوق «بحر من الدماء».. فهل ظهر التعصب المسيحي لمواجهة التشدد الإسلامي؟

في الماضي يقرأ الأمريكيون (الكتاب المقدس) ليفهموا أن «السود» من الأمريكيين «ملمونون» من نسل «حام بن نوح»، والله خلقهم هكذا كي يتم استبعادهم، وفي القرن التاسع عشر، قبل ملايين الأمريكيين بصدق هذا التبرير التوراتي للعبودية، على أنه «كلمة الله»، لكن من المؤكد أن من الخطأ التذرع بهذه السخافات العنصرية لمجرد أن الاعتراض عليها قد يصور على أنه تشويه للإيمان الديني.

إن من حق الناس أن يؤمنوا بآله «عنصري» أو إله يلقي بالملايين - من غير الإنجليين - في النار... لكن يجب أن تتابنا «الدهشة» حين تمجد - أكثر الكتب مبيعاً عندنا - حين تمجد عدم التسامح الديني والعنف ضد «الكفار»، فهذا ليس مما يدافع عنه الأمريكان، وأشك أن هذا ما يريد الله... أم

الذي اعتقده أن هذه «الهلوسة» مطلوبة لتبرير الحروب المشتعلة هنا وهناك وتحويلها إلى مبشرات بعودة السيد المسيح وحكمه الذي يمتد (ألف) عام، ويقضي على الكفار الأشقياء، هم وحيواناتهم.

لا أحد مستعد للقول بأن البشر وهم اليوم يزيدون على سبعة مليارات، سيقتل من كل سبعة أشخاص (سنة) فأي حفرة تتسع لدفن ستة مليارات؟
القضية الثانية . التي يتهرب الكل من ذكرها . وهي ما مصير اليهود؟

الفرح بالكوارث

الهوس بعودة السيد المسيح يبلغ مداه الأعظم حيث يفرح مجانين بإعصار مدمر يضرب الفقراء في شرق آسيا وإفريقية، لكن «المجانين الجدد» فرحوا باعتبار ذلك مؤشراً لقرب عودة السيد المسيح.

الكاتب الأمريكي «بل بركوفيتش» قام بمسح على أهم مواقع الانترنت للمنظمات «المسيحية الصهيونية» فانتقد أصحاب هذه المواقع لتجاهلهم الكارثة تجاهلاً تاماً، إذ لم يطلب أي موقع المساعدة، ولم يطلب ذكراً للقتلى أو الجرحى أو المفقودين. وقد اعتبر الكاتب هذه المنظمات تناقض نفسها، كما تناقض الادعاء بالدفاع عن القضايا الأخلاقية، واتهما بعدم الرحمة وبالبعد عن القيم.

إن هؤلاء يمتقدون أن الكوارث والحروب تعجل بعودة السيد المسيح، ويستشهدون بما جاء في إنجيل «لوقا» السفر (٢١: ٢٥ - ٢٢) فقد جاء: (ستظهر علامات في الشمس والقمر والنجوم، وينال الأمم كرب في الأرض ورهبة من عجيبي البحر وأمواجه، وستزهق نفوس الناس من الخوف ومن توقع ما ينزل في العالم: لأن أجرام السماء تنزعزع، وحينئذ يرى الناس ابن الإنسان آتياً في الغمام، في تمام

العزة والجلال، فإذا أخذت هذه الأمور تحدث فانتصبوا قائمين، وارفعوا رؤوسكم، لأن افتداءكم قد قرب).... أهـ

يمكن القول: إن عشرات المثات من الأعاصير مثل (تسونامي) قد ضربت الأرض قديماً وحديثاً، ولم يظهر السيد المسيح ولا غيره من المنتظرين.

أما العلامات في الشمس والنجوم والقمر فلم ير الناس شيئاً سوى هياج البحر، أما أجرام السماء فلم تتزعزع، إنما الذي يتزعزع هي عقول بعض الناس، ويبدو أنها متزعزعة أصلاً والشكوى لله تعالى.

والمشكلة تتمثل بوجود هذا النموذج في أعلى سلطة في أقوى حكومة، وإلا ففي المستشفيات العقلية في العالم الكثير من هؤلاء، ومن على شاكلتهم، لكنهم لا يحكمون، ولا أحد في العالم يستمع لهم إلا في الولايات المتحدة، وهنا تسكن العبرات.

العالم بحاجة إلى عقلاء يقودونه وليس إلى مجانين أو مهلوسين، نسأله تعالى أن يحفظ العالم كله من شرور هلوستهم، وأن يبعدم عن مراكز القرار إنه سميع مجيب.

كتاب البعد الديني في السياسة الأمريكية

(د. يوسف الحسن) حصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة القاهرة عن رسالته (البعد الديني في السياسة الأمريكية، تجاه الصراع العربي الصهيوني) وقد قام مركز دراسات الوحدة العربية بنشر «الرسالة»، وطبع الكتاب خمس طبعات آخرها عام ٢٠٠٥م.

الكتاب يدرس بعمق البعد الديني في أمريكا والتأثير على المجتمع والدولة بكل مفاصلها مع الانحياز الشديد - بل المطلق لإسرائيل - بحجة أن قيام إسرائيل يسهل ويمهد الطريق لعودة السيد المسيح.

مما يلفت نظر الدارس للكتاب وجود «انتهازية» لا مثيل لها لدى يهود الولايات المتحدة - بشكل عام -، فبينما يحتج يهود أمريكا بشدة لأن الحكومة تزين بعض الحدائق بمناسبة عيد «الميلاد» بحجة أن نظام الحكم علماني، وهذا العمل يستفز اليهود، في الوقت نفسه تبارك كل أنواع التعصب لإسرائيل والحديث عن نصوص توراتية وإنجيلية تبارك قيام إسرائيل وأن الله يباركها، ويبارك حروبها ضد العرب، ومع منع إسرائيل لكل دعوة لليهود بتغيير دينهم، والحكم بالسجن لعدة سنوات على من يفعل ذلك، والحكم على اليهودي المغير لدينه بأقل من نصف المدّة بالسجن، ومع ذلك يسكت اليهود عن نشاط البروتستانت في فلسطين وكسبهم لألوف اليهود: لأن هؤلاء يخدمون إسرائيل ويتبرعون لها.

من المفارقات أن بعض الناشطين اليهود يريد السلام مع العرب، ويرى أن ثلث الشعب في إسرائيل يرغب في التنازل عن الأرض مقابل السلام مدعياً أن استطلاعات الرأي تشير لذلك، فيأتي الرد القاطع من صهيوني مسيحي هولندي (لا يهمننا تصويت الإسرائيليين، بل ما يقوله الله، الله أعطى هذه الأرض لليهود) (البعد الديني ص ١٩٦) وأنصح بقراءة (الخاتمة) وقد بلغت (٢٠) صفحة كانت خير تلخيص لما في الكتاب.

والكتاب ككل يجلي الأصولية المسيحية الصهيونية ونشاطها في كل شأن: مما يجعل الحكومة الأمريكية والكونجرس والإعلام كلها تدور في خدمة الدولة العبرية. وتسكت عن كل ما تقترفه من جرائم ضد الفلسطينيين أولاً وضد العرب عموماً. ولعل خير من أوضح «الصورة» بجلاء أخيراً الأكاديميان (جون ماشماير وستيفن والت) في تقريرهما الشجاع (اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية).

الفصل الثاني

**الحرب العراقية
من أجل ماذا؟**

الحرب العراقية من أجل ماذا؟

غزت أمريكا العراق بعد حصار قاتل، حتى إذا وصل الضعف في الحكم مداه غزته بقوات ومعدات وتعاون من بعض أبناء البلد ومن بعض جيران العراق، ولكن السؤال الكبير ما زال يتردد، لمصلحة من كان هذا الغزو، ولمصلحة من فككت دولته وأحرقت (١٤) وزارة وبعض المكتبات، ونهب متحفه وسرح جيشه وشرطته، ونهبت -وما تزال- ثروته، ويقتل يومياً أبناؤه، لماذا ولمصلحة من كل هذا الهدم المبرمج أو غير المبرمج؟

«باتريك بوكانن»^(١) المرشح لرئاسة الجمهورية الأمريكية يقول بلسان واضح مبين لا لبس فيه: إن الحرب على العراق جاءت لخدمة دولة واحدة هي إسرائيل، ومن أجل خدمة مصالح حزب واحد هو «الليكون»، ومن أجل رغبة شخص واحد هو شارون... أهـ

وكما يقول الشاعر (تعددت الأسباب والموت واحد) فهل توجد دولة في العالم صغيرة أم كبيرة، تغزو دولة وتفككها من أجل عيون دولة صديقة أم أن الأمر أكبر من ذلك؟

(١) صحيفة الحياة، ١١/١٢/٢٠٠٢ م .

أساتذة من جامعة هارفرد:

اللوبي اليهودي وراء الحرب

أعد أكاديميان من جامعة هارفرد هما^(١) (جون ماشماير وستيفن والت) وهما أستاذان في العلوم السياسية في (هارفرد)، وقد وجها لوماً شديداً إلى دور اللوبي الصهيوني الأمريكي (إيباك)، فهو يرسم بشكل أساسي السياسة الأمريكية الخارجية، والتي تعادي المصالح الأمريكية، كما تؤكد الدراسة الاتهامات الموجهة إلى المحافظين الجدد ودورهم في القرار على حرب العراق.

إن اللوبي الصهيوني يضمن استمرار أمريكا في اتباع سياسة موالية لإسرائيل مستخدمة تهمة «اللاسامية» لإسكات كل الأصوات المنتقدة لها.. علماً بأن دعم إسرائيل ليس في مصلحة أمريكا، بل يسهم هذا الدعم في زيادة الصعوبات في الحرب ضد الإرهاب، وأن إسرائيل تشكل عقبة في ذلك وغيره.

إن مشكلة السياسة الأمريكية ضد الإرهاب تعود لتحالفها الوثيق مع إسرائيل وليس العكس، وأما المزاعم الأمريكية بأن إسرائيل تستحق العلاقة الوثيقة معها باعتبارها دولة ديمقراطية فتلك لا أساس لها، فإسرائيل تستخدم التعذيب بحق الفلسطينيين، وهي وسائل لا تتفق مع القيم الأمريكية... أهـ.

الوثيقة صدرت باسم جامعة هارفرد، فقامت القيامة، وأول شيء حصل سحبت الجامعة اسمها، وطرد العميد المشارك، وياشرت التهديدات من كل جهة.. والباقي في الطريق.

المطلوب من الجميع عدم نقد إسرائيل، فذلك غير مسموح به في أي مكان، وعاش النفاق وعاش المنافقون الصغار والكبار، والعار والموت لكل شجاع يجراً على نقد إسرائيل ولوبيها وعملائها الأحياء والأموات.

(١) صحيفة الحياة، ٢٢/٣/٢٠٠٦م .

كرستوفرلين: الحرب على العراق هدفها الهيمنة الامريكية

(كرستوفر) عضو في التحالف من أجل سياسة خارجية واقعية، كتب في مجلة «أمريكان كنسير فايتف» قائلاً: ^(١) السبب الحقيقي للحرب العراقية لا علاقة له بالإرهاب، والعديد من مهندسي «الوهم» في الإدارة الأمريكية أمثال: بول وولفويتز ودجلاس هيت وريتشارد بيرك وأمثالهم قد وضعوا العراق على الصعيد «الجيوستراسي» نصب أعينهم حينما كانوا خارج السلطة في التسعينيات، ولقد ذهبت الإدارة الأمريكية للحرب كي تعزز من هيمنة أمريكا على العالم، ولكي تسيطر على الشرق الأوسط؛ وذلك بإنشاء «قلعة عسكرية» دائمة في العراق. لفرض التحكم بمنطقة النفط، فتعطي واشنطن نفسها نفوذاً هائلاً في علاقتها مع أوروبا والصين... أهـ.

القضية من الواضح والمنطقية بحيث لا يصعب إدراكها والتسليم بها، أما أسلحة الدمار الشامل فقد تبخرت، وأما الاتصال مع ابن لادن فنسي، وأما الديمقراطية فقد تحولت إلى طائفية والقادم أكبر وأعظم.

وعودة لأصل القضية من خطط لحرب العراق، وماذا يريد منها؟

هأرتس، اليهود خططوا لحرب العراق

من المعروف عن الرئيسين بوش الأب وكلينتون عدم حماسهما للحرب ضد العراق، وقد يكون من أسباب ذلك أن الأول قاد حرباً ضد العراق، وفرض الثاني حصاراً قاتلاً، فلم يبق من النظام العراقي سوى هيكل عظمي، يستطيع أن يفتك بشعبه، لكنه لم يعد يشكل خطراً على أحد من جيرانه أو غيرهم، وعجز عجزاً تاماً

(١) صحيفة الحياة، ٢٣/١٠/٢٠٠٢ م .

عن الحركة: ولذا لا حاجة لحرب جديدة إلا إذا كان الهدف كسر هذا الهيكل العظمي وقد حصل.

صحيفة «هآرس» الإسرائيلية كتبت ونشرت مقالاً لمراسلها في واشنطن عنوانه (تقرير هآرس من واشنطن) جاء فيه:^(١) ولدت فكرة الحرب على العراق في رأس (٢٥) مفكراً أمريكياً، من المحافظين الجدد «جميعهم تقريباً من اليهود» الذين يدفعون الرئيس الأمريكي إلى تغيير التاريخ، وإلى حرب كبرى، من أجل هيكله شرق أوسط جديد، حرب أريد لها أن تغير الثقافة السياسية للمنطقة كلها.

وهذه المجموعة تبنت قبل سنة مشروع حرب على العراق، لاعتقاد أفرادها بأن أفكاراً سياسية يمكن أن تشكل قوة دفع مركزية في التاريخ، على أن يدمج الفكر السياسي الصحيح بين الأخلاقيات والقوة.

والمجموعة تضم يهوداً كثيراً في الإدارة الأمريكية أمثال: ريتشارد بيرل، وبول ولفوفتيز، وداغ فات، والوت إيراهامز، مع صحافيين، وكتاب أعمدة بارزين يهود، أمثال: بيل كريستول وتشارلز كراو تاير... أهـ.

التقرير لمراسل الصحيفة الإسرائيلية في واشنطن وهو يذكر المشاركين فرداً فرداً وهو موجود على الإنترنت، لذا لا إشكال، والصحيفة غير مهتمة وهي تذكر يهودية المشاركين وما يريدون من الحرب. بقي أن بعضهم يريد النفط، وآخرون يريدون الحرب ليعود السيد المسيح وجهات تريد أن تباع السلاح وهكذا تعددت الأسباب والقاسم المشترك قيام الحرب، ولكل سببه وهدفه إن كل تدمير لبلد عربي أو مسلم يخلق مصلحة لهذا الطرف أو ذلك، لكن السؤال: ما مصلحة بعض أبنائنا للمساهمة في هذا الدمار؟

وما مصلحة بعض (جيران) العراق في المعاونة على ذلك؟

(١) صحيفة الحياة، ٢٧/٨/١٤٢٤ هـ.

مستشارون يهود ببغداد

من محرضين يهود على الحرب إلى مستثمرين لنتائجها، فقد نشرت «بثينة الناصري» على موقع «مفكرة الإسلام» أسماء مستشارين يهود تعتقد أنهم من الموساد^(١) يعملون ببغداد:

- ١- ديفيد تومي مستشار وزارة المالية.
- ٢- ديفيد لينش مستشار وزارة النقل.
- ٣- روبي رافيل مستشار وزارة التجارة.
- ٤- هولي شاتز مستشار وزارة الزراعة.
- ٥- تسموثي كارني مستشار وزارة الصناعة.
- ٦- دون إيبيرلي مستشار وزارة الرياضة.
- ٧- دور ابردمان مستشار وزارة التعليم العالي.

يضاف لما تقدم ستة مستشارين لوزارة التربية... وكلهم -بحمد الله- من مؤسسة «راند» الأمريكية.... و«فوق هؤلاء جميعاً أستاذ مساعد له في الخدمة الجامعية أقل من سنتين، ورأس حاله أنه يهودي ويحسن العبرية واسمه «نوح»، هو مستشار لوضع «الدستور»!!

وللحقيقة فالعراق اليوم بحاجة لمستشارين للتعذيب الجيد وللمقابر الجماعية، ومثلهم خبراء في معرفة السجون السرية، لتكتمل الخدمات الحضارية العظيمة، كما

(١) صحيفة البصائر العراقية، العدد (١٢)، ٢٩/١٠/٢٠٠٢ م.

يحتاج العراق اليوم لحفاري قبور فردية وجماعية فعمسى أن لا يبخل علينا أحد بهذه الخدمات، نظراً لحاجتنا الشديدة وهرب من كانوا يتعاملونها إلى خارج العراق!!

بوش، المطلوب طريقة لغزو العراق

بوش الأب غزا العراق وجيش خلفه دولاً عربية وغيرها، وفرض حصاراً أكمله الرئيس كلينتون، ثم جاء بوش الابن مدفوعاً من أساتذته من اليمين الصهيوني، فقرر الغزو بأي ثمن وبأي حجة، وهذا ليس تخميناً ولا استنتاجاً ولكنه ما قاله وسطره رجل شريف.

كتب وزير الخزانة السابق في حكومة بوش «بول أونيل»^(١) كتاباً عنوانه (ثمن الولاء) ذكر فيه أن «بوش» عقد جلسة للأمن القومي في ٢٠/١٢/٢٠٠١م. أي بعد عشرة أيام من انتخابه وتوليته الرئاسة. أبلغ فيه فريقه بقرارين:

الأول: يتعلق بتتحية قضية السلام بفلسطين جانباً.

والثاني: التركيز على العراق وضرورة غزوه عسكرياً، وقال: اذهبوا واعثروا لي على طريقة لتففيذ ذلك... وكان هذا قبل (١١ سبتمبر) بتسعة أشهر.

فالرئيس جاء وفي رأسه قرار يبحث له عن مبررات، إنه مثل كثير من المستشرقين عنده حكم مسبق، يبحث له عن دليل، فإن عجز تلاعب وحذف وبدل واخترع وكذب.

وهناك من يقول: بأن في أمريكا «مطابخ» تطبخ الأدلة والبراهين وتخترعها اختراعاً، ومع ذلك فلدينا عميان من «بني علمان» لا يعجبهم العجب ولا الصيام في

(١) الحياة، ٤/٢/٢٠٠٤م، من مقال لمحمود عوض (ثمن الشياطين).

شعبان أو رجب، الشيء الوحيد ما يجري في أمريكا ومطابخ أمريكا ولو كان ضرب بلادهم بالقنابل الذكية والغبية، وقنبلة جهنم التي تحرق الأوكسجين، فتقتل كل حي من إنسان وحيوان ونبات، ومع كل ذلك فلأمريكا عشاق من أبنائنا (ومن الحب ما قتل)!!

حرب العراق غير شرعية

أكثر من جهة ومنها هيئة الأمم وأمينها العام وأساتذة في جامعات وساسة كلهم يقولون: إن حرب العراق غير شرعية، فالعراق لم يكن يهدد أمن أمريكا ولا غيرها، وليس فيه أسلحة دمار شامل ولا صلة له بالإرهابيين، ومع ذلك قامت الحرب وما زالت، والعالم يتفرج، ويعجز عن فعل شيء.

أستاذ في القانون الدولي أمريكي اسمه «أدفيرماج»^(١) يقول: يقود الرئيس بوش بلاده إلى حرب غير دستورية، وتنتهك القانون الدولي، وتتعدى على حقوقنا المدنية الخاصة، وهي تهدد أمننا القومي، بسبب انتهاكها معايير المنطق السليم وذلك بكونها:

١- تنتهك دستور البلاد.

٢- كذلك القانون الدولي، بما فيه العديد من المعاهدات التي ننتمي إليها، وقد صارت جزءاً من القانون الداخلي، وذلك بحكم الدستور... وكل ذلك يمنعنا من شن حرب عدوانية إذا لم نهاجم من جانب العراق، وهي تشكل جريمة حرب... أهـ.

والسؤال: لعيون من إذن تشن هذه الحروب هنا وهناك ويجري التهديد بحروب

جديدة؟

(١) عراق المستقل. رجب سيمونز، دار الساقي، طبعه ٢٠٠٤م، ص (٢٩).

إنجازات حضارية عظيمة

بالرغم من كل الصراخ حول حقوق الإنسان، فالإنسان يُعذَّب، والسعيد من يموت خلال أيام، أحد زبانية صدام يقول: نمسك المتهم فإن اعترف بما نريد سلم من التعذيب وسيق للمحكمة، ولكن المشكلة هيمن ليس لديه جريمة، فيظل تحت التعذيب حتى يموت.

كان المعتقد أن التعذيب من نصيب دول العالم الثالث وإسرائيل، وإذا (الكل في الهوى سوى) الكل يُعذَّب ويستتكر التعذيب، القضية مثل «الكذب والفساد»، كل العالم يذمون الكذب ويحتقرون الكذابين، ويلعنون الفساد والمفسدين... وهؤلاء الكذابون جاؤوا من المريخ كما يبدو.

وزير عربي يقول ويكرر: كل شيء يتراجع إلا الفساد فهو كالسرطان، تنقسم فيه الخلية، والخلية حتى يموت المريض، ومع ذلك فالكل يذم الفساد ويلعن المفسدين، إذن من يتعاطاه وفي كل مكان؟

ساكتفي بإنجازات حضاريين عظيمين:

الأول: ينقله الكاتب «رجيف سيمونز» في كتابه «عراق المستقبل» يتحدث عن نقل ما يقارب ستة آلاف معتقل أفغاني من الشمال الغربي من أفغانستان ونقلهم إلى الجنوب؛ وذلك في تشرين الثاني من عام (٢٠٠٢م) وضع الألوف في حاويات لنقل البضائع، وهوق شاحنات، وتحت الشمس، وأغلقت الشاحنات بلا طعام ولا ماء، وعندما ضربهم العطش والاختناق، راحوا يضربون بأيديهم، وهنا قام جنود الجنرال الشيوعي (رشيد رستم)، فتحوا الحاويات، وفتحوا النار من أسلحتهم فمات من مات عطشاً، ومات أكثر من نصف العدد. وحين وصلت القافلة إلى «شيرغان» كانت الأكثرية قد فارقت الحياة، وعندما توقفت القافلة راح الجنود الأمريكيان

يتفرجون على الجثث تنزل من الحاويات فتذكروا أمراً واحداً، وهو قد تصور المنظر الحضاري بعض الأقمار الصناعية فتصحوا الجنود أن يسرعوا بإفراغ البضاعة «التالفة».

جندي من جنود التحالف أدلى بما شاهد لصحيفة «ذي غارديان» في ٢٥/٥/٢٠٠٣م ومما قاله: شاهدت حوالي (٤٠) جندياً من القوات الخاصة وقد ألقوا الأحياء والأموات في حفرة ثم قاموا بإطلاق النار عليهم... (١) أهـ

هذا الحدث نقلته أكثر من صحيفة ألمانية وأمريكية... والسؤال: وماذا بعد؟

الحدث الثاني: أعظم حضارة من الأول: فقد نشرت صحيفة «معاريف» على صفحاتها على الإنترنت، فنقلته عنها صحيفة الحياة تحت عنوان «روليت التكتيل في الحاجز» جاء فيه: إن مجموعة من حرس الحدود الإسرائيلية أوقفوا مجموعة من العمال الفلسطينيين عند حاجز «أبي رديس» قرب القدس، وجمعوا كل البطاقات ثم أجروا قرعة لاختيار اثنين فقط من مجموع عشرين، فخرجت القرعة على العامل (سميح) وعامل آخر، وأمر الباقون بالعودة من حيث جاؤوا، بعد ذلك عرض عليهم شرطة الحدود أن يشربوا «بولاً» في قارورات وإلا كسروا أيديهم وأرجلهم، رفض سميح وصاحبه الشرب، فضربوهم وأمسكوا بسميح وفتحوا فمه وصبوا البول فيه، حتى فقد وعيه، ونقل للمستشفى، ومكث يومين وكان في وضع هستيري، وهو يجهل مصير صاحبه، ولم يتقدم بشكوى: لأن الشرطة سيّدعون أن سميح هو الذي اعتدى عليهم وسيصدق هذا الادعاء... أهـ

هل سمع العالم بمثل هذا العمل الحضاري العظيم؟ إنه وسيلة جديدة لنشر المحبة أليس كذلك؟

(١) عراق المستقبل، ص (٢٧).

الحرب على العراق وقنبلة جهنم

حين تدور آلة الموت والدمار، يصعب على الإنسان إيقاظها أو التكهن بخسائرها .

الكاتب «رجيف سيمونز» وهو يرسم صورة لعراق المستقبل كتب يقول: (١) لقد دخلت الدبابات الأمريكية بغداد في غضون أقل من ثلاثة أسابيع، بعد أن أطلقت حوالي (٨٠٠) صاروخ توماهوك مع (٢٠) ألف طلعة جوية، ألقت أكثر من (٥٠) قنبلة عنقودية، وأطلقت (١٢.٠٠٠) قذيفة ذات توجيه دقيق، واستخدمت قنابل بمزيج من الوقود والهواء، تعادل قوة انفجار كل منها قوة قنبلة «نووية» تكتيكية، وبلغت الخسائر البشرية العراقية عشرات الألوف، في مقابل (٨٨) قتيلًا للحلفاء، منهم (٢٤) قتلوا بنيران صديقة... أهـ.

هذا تقرير «رجيف» أما وزير الدفاع الأمريكي «رامسفيلد» فقد أوضح ما يعنيه «رجيف» عن قنابل المزيج من الوقود والهواء فأسمائها قنابل (جهنم) وقال: هي تحرق الأوكسجين، وهكذا أوقفت بغداد الحرب لعدم التكافؤ، وكى لا تموت بغداد التي يسكنها أكثر من خمسة ملايين.

هذه حرب «الحضارة»، بالأمس كان الجندي يحمل سيفاً فلا يقتل إلا مقاتلاً، واليوم أمدتنا الحضارة بقنابل جهنم وبغيرها، فصار الإنسان البعيد عن الحرب أول الضحايا، بالأمس كان المحارب الشجاع هو الذي ينتصر، واليوم ينتصر الجبان الذي لديه سلاح فتاك، يرسله من وراء البحار ومن ظهر بارجة على بعد مئات الكيلومترات، ودون أن تهتز في جسمه شمرة، ويتساءل الناس عن سبب هذه الحرب فيجدون أكاذيب لا أساس لها، ويجدون شعارات طنانة، ويتساءل الناس: أهكذا تقاد الأمم والشعوب؟

(١) عراق المستقبل، ص (٨١).

العراق بين الأمس واليوم

هاجمت إنكلترا العراق في الحرب العالمية الأولى، واستبسل الأتراك في الدفاع، وتوقفت دوامة الحرب. ووقف الجنرال «مود» يتحدث كما يتحدث الرئيس بوش. ويعطي ذات الوعود، ومع ذلك لم تغادر الجيوش البريطانية إلا بعد أربعين عاماً، وكان «التنفذ» هو ما سأل له اللعاب البريطاني بالأمس، ويسيل له اللعاب والدم اليوم. الكاتب «رجيف» يسجل بعض مفارقات الأمس لعلنا نستفيد منها اليوم فيقول^(١): ... عندما احتجت وزارة الخارجية الأمريكية، نيابة عن شركة «ساندر أويل» الأمريكية، شعر وزير الخارجية البريطانية - آنذاك - اللورد كورزن بما يكفي من الثقة والاعتداد بالنفس ليعلم في ١٩٢١/٤/٢١م: أن الشركات الأمريكية الراغبة في الوصول إلى منابع النفط، في منطقة الشرق الأوسط البريطانية لن تعطى أية امتيازات... أهـ.

فهل تعلمت بريطانيا الدرس ومثلها غيرها فخططت للحصول على نصيبها من «الكعكة» العراقية، وعدم الخروج من المولد بلا حمص ولا فلفل؟
ومرة أخرى: أهكذا تساس دول العالم، وبهذه العقلية؟ ثم نغطي كل ذلك بالحديث عن الديمقراطية وحقوق الإنسان؟

الانتخابات بين الأمس واليوم

المقارنة بين الجنرال «مود» ووعوده العظيمة والجنرال بوش ووعوده الأعظم، حملني على المقارنة بين انتخابات عراقية جرت عام ١٩٢٢م وأخت لها بعد سقوط بغداد وبعد ما يزيد على (٨٠) عاماً.

ففي ٢٠/١٠/١٩٢٢م أصدر «عبدالمحسن السعدون»^(٢) بصفته وزيراً للداخلية

(١) عراق المستقبل، ص (١٢٢).

(٢) عراق بلا قيادة، عادل رؤوف، الطبعة الأولى، ص (١٧).

أوامره بالشروع لإجراء انتخابات للمجلس التأسيسي... فأفتى علماء من «الشيعة» بوجود مقاطعتها: لأن البلاد محتلة... فشلت الانتخابات، مما حمل الحكومة العراقية على إعادتها عام ١٩٢٢م.

وهنا أصدرت الحكومة العراقية تعديلاً لقانون المقوبات، يخول الحكومة «نفي الأجانب بسبب جنحة يرتكبونها»... وفي ١٧/٦/١٩٢٢م قررت الحكومة العراقية الشروع بالانتخابات، ومهدت لذلك بنفي الأجانب الذين يقاومون إجراء الانتخابات، وكان على رأس المبعدين الشيخ الخالصي، وأبو الحسن الأصفهاني والنايني وغيرهم... وبدأ التسفير في ١/٧/١٩٢٢م، ثم أجريت الانتخابات بسلام.

وبعد أكثر من (٨٠) عاماً جرى احتلال العراق مجدداً، وطلب المحتل إجراء انتخابات وصدرت «فتاوى» تقول بوجود المشاركة في الانتخابات، وبكونها من الأعمال الشرعية، وقدمها «بعضهم» على الصلاة، والسؤال: ما الفرق الكبير بين استعمار العراق عقب الحرب العالمية الأولى واليوم؟ وما الفرق الكبير بين الجنرال مود والجنرال بوش؟

ابحث عن النفط والنفوطين

كان يقال: ابحث عن المرأة، يوم كانت من القطع «النادر»، فلما ساحت في الشوارع ولم تعد تدفع يد «لامس» رفع شعار: ابحث عن النفط، «رجيف» الشجاع متابع للموضوع في كل مكان، فينقل عن الصحفي البريطاني... «فسك»^(١) وهو من الشجعان القلائل الذين لم يقتلوا بعد، وأحسب أنه سيقتل قريباً في العراق وأن يقال: جرى قتله خطأ... «رجيف» ينقل عن «فسك» قوله: كل من قابلتهم في «عمان» من المسلمين يمتقدون أن النفط وحده يفسر حماسة «بوش» لغزو العراق، وكذلك يمتقد الإسرائيليون، ويعلق فسك: وأنا أيضاً.

(١) عراق المستقبل، ص (٢١٤).

وأنا - وكثير أمثالي - ننادي: تعددت الأسباب والموت واحد، النفط من هنا وإسرائيل من هناك والمهوسون بعودة السيد المسيح من طرف، كلها ساهمت مع جنرالات الجيش الأمريكي وشركات صنع السلاح وشركات كبرى أخرى كلها ساهمت في (العرس الأمريكي)، والكل يطمع بقطعة من الكعكة العراقية وما يتبهما، لقد فتحت «شهية» الكل من الحيتان الكبيرة والصغيرة، وربنا يحفظ ويستتر.

بين النفط والموز والحرب

تعجيني خفة دم بعضهم وحسن تعليقاته، كما يكتم أنفاسي ويصيبني بالإحباط كل متطلع متشدد في موضع لا يستحق التشدد، وللأسف فقد صار المتطمعون أكثر - ولو قليلاً - من البعوض والذباب.

«لورنس كروب» مساعد وزير دفاع سابق يعلق على حرب الكويت فيقول:^(١) لو كانت الكويت ممن ينتج الموز بدلاً وعوضاً عن البترول، لما كنا أرسلنا (٤٠٠) ألف جندي أمريكي للقتال هناك... أهـ.

أما أنا - العبد الضعيف - فأذهب إلى أبعد من ذلك مدعياً أن المسؤولين الأمريكيين ومثلهم الجنرالات ومدراء الشركات النفطية الكبرى والكثير من مدراء الشركات الأمريكية لهم (حاسة) تشبه تماماً بعض الرادارات الحساسة، تضم النفط وهو في باطن الأرض. وتقدر الأرباح والموارد دون حاجة إلى جهاز حاسوب دقيق؛ لذا أنصح أهل كل بلد تحل به أزمة أو يريد أن تتدخل أمريكا، أنصحه لوجه الله أن يشتري باخرة تحمل نفطاً، وليكن من الثقيل السيئ، ثم يحقنه في الأرض، ثم يقول: اكتشفنا نفطاً جيداً لدينا وبكميات تجارية، وعندها يأتيه الفرج، فخلال أسبوع

(١) المرجع السابق، ص (٢٣١).

سيحل ببلده الخبراء أو الخبثاء، وتتهال عليه القروض. ويستدعي الأخ الحاكم لزيارة واشنطن، فلا شيء اليوم أقرب إلى قلب واشنطن من رائحة النفط. إنه أطيب وأعظم رائحة في العالم!!

ومن لا يصدق فهذه قائمة بالشخصيات «النفوطة» يقدمها «رجيف» خدمة مجانية، وأجره وأجركم على الله الكريم..

قائمة النفوطين الأمريكيان اليوم وغداً

يستعرض الكاتب «رجيف» الكثير من الشخصيات الأمريكية الكبرى «النفوطة»، يستعرضها من الأكبر إلى الأصغر، ويعرّف بها تعريفاً «مرحاً»^(١):

١- جورج بوش - الابن - رجل أعمال فاشل في مجال النفط بتكساس، وله شركة مختصة بالتقيب اسمها (اربوستر) كادت تفلس، قبل أن تشتريها شركة «سيكتروم»، وقد بيعت بدورها إلى شركة «هاركن» وجرى الاحتفاظ «بيوش» كمضو في مجلس الإدارة، وذلك بفضل صلاته الكثيرة.

٢- جيمس بيكر من عينة بوش، عينه بوش الأب وزيراً للخارجية، وانتدبه بوش الابن لمعالجة ديون العراق.

٣- ديك تشيني: نائب الرئيس الأمريكي، رئيس سابق لشركة «هالبرتون» أكبر شركة لخدمات الحقول النفطية في العالم، وهي تنفذ مشاريع للمؤسسة العسكرية الأمريكية بينها مشاريع بناء وغيرها.

٤- دونالد رامسفيلد: وزير الدفاع الأمريكي ورئيس سابق لشركة أدوية ذات صلة بالصناعات البترولية.

(١) عراق المستقبل، ص (٣٢٤).

٥- كوندليزرايس: مستشارة الأمن القومي سابقاً، وزيرة الخارجية حالياً، كانت عضوة في مجلس إدارة شركة «شفرون» وتحمل ناقلة بترول اسمها، لفترة من الزمن.

٦- دون إيفانز: وزير التجارة، رئيس سابق لشركة «توم براون إنك» شركة كبيرة رأسمالها نصف بليون دولار، تعمل في النفط والغاز، مقرها في «دنفر» كانت عضواً في مجلس إدارة شركة T.M.B.R المختصة في حفر آبار البترول والغاز.

٧- غيل نورتون: وزير الداخلية، محام يمثل شركة «دلتا بتروليوم» التي ترأس تحالف أنصار البيئة الجمهوريين. والذي تساهم شركة «برتش بتروليوم - أموكو» في تمويله.

وأخيراً فإن السياسة الخارجية لأمريكا ترسمها زمرة من أصحاب المصالح البترولية، فتصوغ السياسة على أساس اعتماد أمريكا على البترول، الأمر الذي كان يجابه شركات البترول بتحدٍ فريد من نوعه، ويزيد من حدة التوترات الدولية... أهـ.

هؤلاء «المنضوطون» يقودون العالم اليوم، وأحلامهم في اليقظة والنوم تدور كلها حول النفط، كما أن جميع أحلام «القطط» تدور حول الفئران.

رئيس أمريكي سابق رسم معادلة صعبة فقال: لا يمكن المساهمة في الانتخابات والنجاح دون شركات النفط، ولا يمكن الحكم مع قيام شركات النفط...

فهل عند أحد من حل لهذه المعادلة الصعبة؟

دفاع عن النفس على الطريقة الإسرائيلية

إسرائيل تتشر القتل والدمار، تفتال من تشاء، وتضرب المدن بقنابل زنة (طن)، وتبني جداراً فاصلاً، وتضرب المدراس وتغلق الممرات، وتعلن منع التجول في المدن الفلسطينية لأيام، والخلاصة تجعل من الحياة الفلسطينية جحيماً لا يطاق، وتعل ذلك وغيره «بالدفاع عن النفس» وتؤيدها أمريكا ويلتزم العالم الصمت.

هذه السياسة انتقلت من المعشوق للعاشق، فكل حرب تعلنها أمريكا ضد معلوم أو مجهول، موجود أو معدوم، فهي «دفاع عن النفس» ومن لا يعجبه فأمامه البحر يشربه أو يموت غرقاً أو قهراً وكمداً.

الشجاع «رجيف» يصور هذه الحالة الفريدة أفضل تصوير إذ يقول: (١) أصدرت لجنة التراسل من أجل الديمقراطية والاشتراكية في نيويورك في ٢٠٠٢/٧/٦م - وهذه منظمة توصف بأنها راديكالية - تحدثت عن سياسة «بوش» قائلة: إنها تستهدف تعطيل ميثاق الأمم المتحدة، فاليبيت الأبيض بتمجرفه وتوكيده أن له الحق في إعلان أي دولة أو منظمة أو حركة بمثابة «تهديد» إما لبلدنا ومصالحه في الخارج أو مصالح أي دولة أخرى نضعها تحت عباءة حمايتنا، سواء أطلبوا ذلك أم لا. وتقول «نظرية بوش»: بناء على ذلك فإن للولايات المتحدة الحق في استخدام القوة العسكرية الهجومية، بموجب هذا الحق، حق الدفاع عن النفس الوارد في ميثاق الأمم المتحدة.

إن هذا الفهم العجيب الذي طلع به «بوش» للتذرع ولتبرير العدوان العسكري الأمريكي، وفي أي مكان في العالم، يتجلى بوضوح في العراق.

ففي وسعنا أن نضرب العراقيين بالقنابل مدة عشر سنوات، ونقاطع بلادهم،

(١) عراق المستقبل، ص (٣٤١).

ونقتل أطفالهم بالتجويع والمرض، وهكذا نحول أمة بكاملها إلى حالة من تخلف ميوؤوس منه دولياً، ثم نقول إن علينا أن نفزّوهم لخدمتهم بشكل أفضل، وإزالة التهديد للامن الأمريكي... أهـ.

وحتى تتبين . بشكل أوضح هذه الصورة . لنفترض أن هذا المنطق تبنته الصين والهند وروسيا وألمانيا وفرنسا وإنكلترا، وكل دولة هاجمت دولاً بهذه الحجة فماذا يكون مصير العالم سوى قيام حرب كونية رابعة أو خامسة تقضي على الحياة لأمم وشعوب، عيبها أنها ضعيفة ولها جار قوي..!!

الدفاع عن النفس مشروع ديناً وشرعاً وقانوناً، ولكن ليس بهذه الطبعة الإسرائيلية الأمريكية..

نحن السادة وعليكم مسح الأحذية

أسارع للقول بأن هذا الكلام ليس لي، ولكن لذلك الرجل اليهودي الأمريكي الذي لا يخاف أحداً ولا يهاب كبيراً ولا صغيراً، والذي يوصف بأنه معارض متعب، والذي اختير أخيراً من أكثر المفكرين تأثيراً في استفتاء شمل ٢٠.٠٠٠، ففاز بالمركز الأول، كما فاز كل من الشيخ القرضاوي والداعية طارق سعيد رمضان.

يقول د . نعوم تشومسكي^(١): إن العدو الأضعف كثيراً يجب أن يطحن طحناً، لا أن يهزم فقط، هذا إذا أريد تلقين من يلزم الدرس الأساسي في النظام المالي الجديد: نحن السادة وأنتم تمسحون أحذيتنا.... أهـ.

مفهوم جديد لاستعمار جديد، كان الاستعمار القديم يكتفي أن يهزم خصمه، أما الاستعمار الجديد فهو ليس بحاجة لهذا الخصم؛ ولذا يجب أن يطحنه طحناً، والهدف أن يتخلص منه أولاً، وأن يخيف من ورائه، وهذه هي السياسة الجديدة،

(١) عراق المستقبل، ص (٣٦٣).

اضرب الضعيف ضربة تجعل غيره يطير قلبه خوفاً ورعباً فلا يتحرك ولا يعارض.
بل يؤيد نفاقاً أو يلتزم الصمت.

أما مسح الأحذية فصارت من مهمات الكبار ومن قبلها سمعنا: (افهم يا غبي)
ونسلم أدياً دبلوماسياً جديداً من نوع (إلهي أكبر من الهك) ومثل (أنا أحارب فأنا
موجود)، وقد نسمع غداً (أنا أنهب فأنا موجود) ومثل (أنا أقتل فأنا شجاع) ومثل
(أنا أعدب فأنا متحضر).

لقد تصور العالم أن المنصرية قد ماتت، فإذا هي حية تسعى!!

الوضع في العراق صار مزرياً

نشرت صحيفة «نيوزويك» في عددها (١٨٣) حولاً لمسؤول في إدارة بوش
يقول^(١): أصبحنا نقف وجهاً لوجه أمام حدود إمكاناتنا، وصرنا ندرك أن
استراتيجية «التغيير» التي كسبنا بها الحرب لم تعد مجدية لكسب السلام.

لقد صار الوضع في العراق مزرياً ومكلفاً من الناحيتين البشرية والمالية. إلى
درجة لم يعد هناك ما يدعو بصورة جدية لتنفيذ «الخطة الأساسية» التي يسعى
«المحافظون الجدد» لتنفيذها وهي «تغيير الأنظمة الحاكمة» في أي دولة. فقد بات
واضحاً أن العسكريين الأمريكيين يواجهون شحاً في الإمكانيات، وهكذا تبخرت
التحديات الموجهة لسوريا وكوريا الشمالية، وأما بالنسبة لإيران فقد صارت الإدارة
الأمريكية أكثر ميلاً لاستخدام وسائل مساعدة مثل: هيئة الأمم، ووكالة الطاقة
الذرية.

(١) مجلة البيان، العدد ٩٧ لعام ١٤٢٥هـ، ص (١٠٣).

ويعد تكشف الضعف الذي يعانيه الرئيس بوش فقد تجرأ بعض الديمقراطيين الذين كانوا خائفين من أمثال: نانسي بيلوسي، زعيمة الأكثرية الديمقراطية في مجلس النواب، على مهاجمة الرئيس.

وفي الحزب الجمهوري ازداد نفوذ التيار التقليدي، الذي يتبع منهج الرئيس السابق «جيفرسون» والرافض للانتشار الأمريكي على نطاق أوسع مما يجب، وقد اضطر (بوش) إلى التجاوب مع هذا التيار إلى حد كبير.

أما أصلب المحافظين الجدد، والذين سيطروا على مقاليد الأمور في واشنطن لفترة ما، صاروا يخشون من عودة الروح إلى ما أطلق عليه بـ «الانزالية الجديدة»... والسؤال: هل يتحول المحافظون الجدد إلى «ملفات قديمة» تحفظ في الأرشيف؟ أهـ.

كل شيء في الحياة له ثمن، النصر له ثمن، واستثماره الجيد له ثمن، والفشل في استثماره له ثمن، ولا يكفي أن ينتصر الإنسان في معركة ثم ينام.

السياسة الأمريكية لم تحسب للشعب العراقي حساباً، وسمعت من «بعضهم» طروحات لا أساس لها، ولما جد الجد تبخرت الأحلام، وهرب بعض الناس ومعه بضعة ملايين ليضعها في بنوك الغرب ويقتات من فوائدها، وعلى أمريكا وقواتها وخزنتها أن تتحمل الثمن، وقديماً قيل: من يأكل العصي ليس كمن يدها، ومن يده في النار ليس كمن يده في الماء.

لقد دفع الشعب العراقي -وما زال- ثمناً عالياً، وتدفع قوات الاحتلال وحلفاؤها ثمناً كبيراً، وهناك معركة «عض الأصابع» ومنتظر من يصبر أطول.

ما مهمة السياسة الأمريكية

كثير جداً من الناس الذين يتساءلون ما الذي تريد السياسة الأمريكية تحقيقه، وإلى أين تقود العالم؟ كذلك يتساءلون: كيف تحولت الحرب على الإرهاب إلى إرهاب؟ وكيف تسقط دولة مثل الولايات المتحدة بأيدي العسكر؟ لعل خير من يجيب عن مثل هذا التساؤل رجل مثل «تشارلز جونسون» المستشار السابق للأمن القومي لدى وكالة الاستخبارات المركزية.

لقد كتب الرجل - قبل الهجوم على الأبراج - في (١١) سبتمبر) يدق ناقوس الخطر، ولا أحسبه من المتهمين فهو يقول^(١): إن الأمريكيان وإن جهلوا على العموم مما حصل ويحصل باسمهم، فإنه من الوارد أن يدفعوا ثمناً باهظاً لقاء محاولات حكومتهم المتواصلة للسيطرة على «المشهد الكوني»، والتمن المقدر سيكون إرهاباً ضد الأمريكيين المدنيين... ولبست مهمة نشر الديمقراطية أو تمهيد السبل للوفرة الاقتصادية شاغلها، إن هناك (٧٢٥) مقرأً عسكرياً أمريكياً في العالم يوجد فيها «ربع مليون» عسكري، معهم عوائلهم، فضلاً عن الموظفين المدنيين، الذين يصرفون شؤونهم الخاصة، وهؤلاء جميعاً بممزل عن طائفة قانون البلد الذي يقيمون فيه.

وما كان خلال الحرب «الباردة» بمثابة سياسة إمبراطورية «متسترة» ومرتدة بالأمس، فقد حدث - بعد ذلك - تسلط عسكري، وهيمنة اقتصادية لا (حياء) فيها... قد يقال بأن «عسكرة» السياسة الخارجية ليس مردها جنوح إمبراطوري، حتى وإن توافرت نوايا هذا «الجنوح» من قبل فالحرب على العراق مثلاً لم تشن من أجل النفط وحده، أو نزولاً عند رغبة أتباع «الييمين الإسرائيلي المحافظ» عموماً، أو لمجرد التهرب من مواجهة تحديات السياسة الداخلية، وإنما أيضاً كعاقبة لحقيقة

(١) صحيفة الحياة، ١٦/١٠/٢٥١٤هـ. من مقال (الحرب على الإرهاب).

العسكرة الإمبراطورية للسياسة الخارجية أولاً، في ظل تعاضم دور القيادة العسكرية على حساب السلك الدبلوماسي، وغياب المنافس القوي في الساحة الدولية... أه... يمكن القول بأن ثمة طرحاً جديداً، لا يتفاؤل عن الطروحات الأخرى، ولكنه يضيف جديداً هو «عسكرة السياسة الخارجية» لأمريكا.

هنا أستحضر قضية تذكر إذ يقال: حين تفكر العائلة بشراء سيارة جديدة تذهب العائلة كلها، ولكن لكل فرد أمر يريد تحقيقه والسؤال عنه..

الأب يسأل مثلاً: كم كيلو تسير في جالون واحد للبنزين، فهذا ما يهمه.

الأم والبنات تسأل عن لون الفراش المناسب للسيارة.

الولد يسأل: ما أقصى سرعة يمكن أن تبلغها السيارة ؟

في أمريكا هيئة أمم كل له اهتماماته ومتطلباته، والكل يطمح في تحقيق ما يريد، يسمى لذلك سرراً وعلانية، حسب القانون ومن خلفه؛ لذا تتعدد المشاريع، كل له مشروعه، يتحقق منها الممكن ويلقى أو يؤجل الكثير؛ لذا لا تناقض ولا تضارب ولكن تعدد المشاريع، وللمتطلمين والطماعين بحق ودونه، وبمعمولية ودونها وبمشروعية ودونها.

لماذا التركيز على الإسلام وأهله

لا يجادل أحد بأنه ومنذ سنوات يجري التركيز على الإسلام وأهله، فمنذ نهاية الحرب الباردة طرح الإسلام وأهله كعدو، لا يقول أحد هذا بسبب الهجوم على الأبراج، فالقضية قبل ذلك بكثير، وحرب العراق مثلاً وقبلها الحرب الأفغانية وضرب مصنع الأدوية في السودان، والموقف من قضية فلسطين وأهلها، كل ذلك

وغيره يبرر السؤال الذي يطرحه «إيمانويل تود» في كتابه القيم «ما بعد الإمبراطورية».

يقول تود^(١): يكشف توزيع القوات الأمريكية في العالم البنية الحقيقية للإمبراطورية الأمريكية، أو لبقاياها.

إن القسم الأعظم من النشاط العسكري الأمريكي سيعتزل منذ الآن فصاعداً على العالم الإسلامي، تحت راية «الحرب ضد الإرهاب» الشكل الرسمي الأخير له العسكرية الصغيرة للمسرحية، وهناك ثلاثة عوامل تفسر تركيز أمريكا على محاربة هذه «الديانة» وتصويرها بمثابة «خطر استراتيجي» للفترة المقبلة، يهدد مصالحها وسياستها، ويعود كل عامل منها على حدة إلى تراجع في أحد الموارد الإمبريالية لأمريكا في المجال الإيديولوجي والاقتصادي والعسكري:

١- يقود التراجع في العمومية الإيديولوجية إلى ظهور عدم تسامح جديد فيما يتعلق بقضية وضع «المرأة» في العالم الإسلامي.

٢- يؤدي هبوط الفاعلية الاقتصادية إلى تركيز التفكير الاستراتيجي الأمريكي على النفط العربي.

٣- إن ضعف العالم الإسلامي الشديد، ونقصان القدرة العسكرية الأمريكية، يجعل العالم الإسلامي هدفاً سهلاً مفضلاً.

والسؤال: هل هذه العوامل كافية، ولا يوجد من يشاركنا فيها في العالم؟

ومع وجاهة هذه العوامل إلا يمكن أن نضيف لها إسرائيل وما تقوم به من تحريض وتحريش ليل نهار، وبمختلف الطرق المشروعة وغيرها، والظاهرة والخفية؟

(١) ما بعد الإمبراطورية طبعة ٢٠٠٢ م ص (١٥٧).

إن إسرائيل كسبت أمريكا إلى صفها، ومن أجل استمرار هذا الانحياز الكلي فلا بد من تحريض وتحريش صادق وكاذب مستمر حتى يستمر الانحياز الأمريكي، وليؤثر بدوره على بقية دول العالم، لتلتزم الصمت عما تفعله إسرائيل يومياً من جرائم إبادة وقتل وتعذيب وبناء الجدار العنصري، والضرب بالقرارات الدولية عرض الحائط، كل هذا وغيره يجعل إسرائيل كمن يوقد ناراً تحت طعام كي يبقى ساخناً، وإن احترق أحياناً، وإذا استمرت السياسة الأمريكية بهذا الانحياز الكامل، فسوف تخرج من حفرة لتسقط في بئر، تخرج من حرب صغيرة لتدخل أكبر منها، ولن يكلف التحريض والتحريش إسرائيل شيئاً كثيراً.

أجهزة الإعلام الصهيونية تدور في كل العالم، ومراكز البحث تنتشر في الدول، وجماعات الضغط اليهودية في ازدياد، والخاسر الأكبر نحن والشعب الأمريكي، والرابح الأكبر إسرائيل وكلاهما في العالم.

والسؤال: متى ينتفض الشعب الأمريكي على هذه السياسة المصيبة (بالحول) واختلاط الألوان؟ متى يقف ويقول: مصلحتنا أولى، وبلدنا أهم. ولن نكون خدماً ووكلاء لغيرنا.

أفيري وأسئلة كثيرة

الكاتب الإسرائيلي «أوري أفيري»^(١) من جماعة السلام يطرح جملة أسئلة ويحاول أن يجيب عنها بوضوح وشجاعة، ويبدأ حديثه بأسطورة يونانية هي عبارة عن قميص مسمم اسمه «نيسوس» قميص للحب، لكنه يسمم البدن لمن يستعمله، يطبق الأسطورة على حرب ١٩٦٧م، فهو يراها هدية ولكن «مسممه» وكان علينا أن نبادر لإنشاء دولة فلسطينية، لكن العمى ضرب قيادتنا، فلبست قميص «نيسوس» المسمم.

(١) كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الاستبداد، هاشم الحافظ وغيره، الطبعة الثانية عام ٢٠٠٢م، ص (٢٧٣).

ثم يطرح سؤالاً: من الذي ينسف مشاريع السلام في المنطقة، اللوبي اليهودي أم مصانع الأسلحة؟ هل الإدارة تريد استخدام إسرائيل كرهينة، من أجل المحافظة على دول النفط لتبقى تحت السيطرة الكاملة؟ أم الأمر خليط من هذا وذلك؟ أحسب أن لا أحد يعلم بمن فينا الأمريكان.

أما حرب الخليج فهي عبثية، فهل يريد (بوش) إزالة الطغاة؟ هل يريد حماية الدول الصغيرة من جيرانها الخبيثاء؟ هل هو التنظيم العالمي الجديد؟ هل هي الحرب من أجل النفط؟ هل هو الخوف من أسلحة الدمار الشامل؟

لكنه يرفض ذلك ويفنده... ثم يقول: أمريكا تعتدي على الجيران، وتحافظ على الطغاة، حين تكون مصلحتها مع الطغاة، قرارات أمريكا لا يعطلها إلا «الفتوة» الأمريكي، النفط هل سيشره العراق أم يبيعه؟

مفاعل «تموز» قد دمر، وفي دول الجوار من تملك الكيماوي، والنووي -ربما يقصد إسرائيل- فهل تحتاج الدول المجاورة، من أجل حمايتها أن تشن حرباً عالمية، وهي تكفى فيها حامية صغيرة؟

إن أمريكا تتصرف بشكل يدعو للسخرية، وهذا ما فعلته قبلها كل القوى الكبرى في التاريخ.

سيقول ساخرون: هذه الحرب كانت هبة من السماء لتجار السلاح، بكل أنواعه لأن العديد من الأسلحة تخزن في ألمانيا مثلاً، فالأفضل إرسالها للشرق الأوسط لتجرب هناك، وقد صرنا نسمع عن قذائف اليورانيم «المنضب» المسبب للسرطان وفي الوقت نفسه تدفع دول مثل ألمانيا واليابان الثمن، وكذلك دول المنطقة... والسؤال: هل هذا ما دفع بوش -الأب- لقرار الحرب؟

إن عبثية الحرب تبدو واضحة للعيان حينما نتأمل أموالاً لا تحصى تنشر في الصحراء من أجل الإطاحة بطاغية صغير، لإنتاج فلم كابوي يمثل فيه بوش دور

«الشريف» وهو يطارد «شقيماً»، إنها مبررات الحرب الخفية والعميقة، وإن أخشى ما تخشاه الإدارة الأمريكية هو بروز شخصية «كارزمية» - ذات بريق- تصل إلى حد توحيد الشرق، وإنهاء الاحتكار الأمريكي.

إنه ليس مصادفة أن تبدأ الحرب العالمية الرابعة، فيما لو افترضنا أن الحرب الباردة مثلت الحرب الثالثة، بين الشرق والغرب، أما الآن فقد بدأت الحرب بين الشمال والجنوب، بين الدول الصناعية والدول المنتجة للمواد الأولية... إن أمريكا تريد أن تعطي درساً للعالم الثالث برمته مفاذه: إن عليه أن لا ينهض على قدميه، وأن لا يفكر بالمقاومة أبداً... إن أروع معارك أمريكا هي مع السلاح المتطور، والذي يدمر خلال ساعات، ولا يعقل أن أمريكا تزود أحداً من الطفلة بأسلحة كي يتفوقوا بها عليها، وهذا السيناريو -على الأرجح- هو الأخطر من نوعه، وعلى إسرائيل أن تتصرف قبل أن يتهددها الخطر الأكبر، وذلك بالتفاهم مع العناصر الوطنية الفلسطينية، وتقديم السلام المشرف للجيران العرب، فهذه الطريقة يمكننا أن نعطل مفهوم «التسمم» وأن نتفادي اندلاع البركان، ولكن هل نفع ذلك حقاً؟ بكل أسف يبدو أن القضية ليست كذلك... بل يبدو أننا تلبسنا قميص «نيسوس» ولا فكاك منه... أهـ.

فهم جيد ووضوح لا غبار عليه، ولكن من يسمع وطبول الحرب تقرع، والتشجيع على القتل والموت هو الطعام اليومي... قيل يوماً لفرعون: من فرعونك؟

إن تفرعن إسرائيل يطبخ ويصنع في واشنطن، والويل لمن كفره النمروذ!

٤ يجوز التمييز ثم ماذا

جرى عام ١٩٦٥م التصديق على الميثاق العالمي ضد كل أشكال التمييز العنصري، وذلك حسب المادة (١) من الميثاق التي جاء فيها^(١): أي تمييز أو استبعاد

(١) الصحوة، ديفيد ديون، ترجمة د. إبراهيم الشهابي، دار الفكر، ص (٢٢٩).

أو تقييد أو تفضيل على أساس العرق أو اللون أو السلالة أو الأصل القومي أو العرقي، بقصد إلغاء أو الحيلولة دون الاعتراف أو التكم أو الممارسة على قدم المساواة لحقوق الإنسان والحريات الأساسية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنقابية أو مجالات الحياة العامة، فكل ذلك من التمييز العنصري... أهـ

النص واضح ولا غموض فيه، والسؤال هل يطبق في إسرائيل مثلاً، ولو بشكل جزئي، التشريعات في إسرائيل تفرق في كل شيء بين اليهودي وغير اليهودي، وأكثرها خروجاً قانون العودة، فهو يعطى كل يهودي في العالم الحق للهجرة إلى فلسطين، بمجرد دخولها فيكسب الجنسية، ولو لم يطلبها، وعليه أن يصرح برفضها، وإلا صار مواطناً إسرائيلياً.

أما الفلسطيني فيطرد من بلده ولا يستطيع العودة، وقد ينفي ولا يسمح له بالعودة، ولو غادرها لمدة قليلة يمنع من العودة وتتحفظ دولة إسرائيل على أملاكه... وما يدفعه العرب من ضرائب لا يطبق على اليهود.

د . إسرائيل شاحك الأكاديمي المعروف، وصاحب كتاب (العنصرية ودولة إسرائيل) يقول: هناك مدن يمنع غير اليهودي من الإقامة فيها مثل (الكرمل والناصره وهانزور وآرادورامين) وأمثالها... وكذلك كافة المستوطنات.

فإذا أضفنا لذلك مصادرة الأراضي العربية وطرد أهلها منها كما يحدث في النقب، ومنع أهلها من زراعة أرضهم فكل هذه الأعمال وأمثالها تنتهك هذا الميثاق انتهاكاً صريحاً، لكن لا أحد يتكلم؛ فالكل يخاف بمن فيهم «كوفي عنان» فمن يعلق الجرس؟ وهنا نمود لما يقال: إذا رضيت عليك أمريكا وإسرائيل فافعل ما تشاء، لا حساب ولا عقاب والفيتو الأمريكي في الخدمة!!

إسرائيل ومشكلة أمريكية

يطرح الإسرائيليون شعاراً: (كل مشكلة إسرائيلية فلها حل في أمريكا) فإذا جرى عكس القضية فكل مشكلة لأمريكا قد تكون من صنع إسرائيلي. ليس هذا الإيحاء لي ولكن لرجل أمريكي شجاع لا يخاف هو «ديفيد ديوك» فهو يتحدث^(١): كيف تعامل إسرائيل أمريكا فتضرب مصالحها حين تمتقد أن مصلحة إسرائيل مختلفة، من ذلك ضرب القطعة الحربية الأمريكية «ليبرتي» عام ١٩٦٧م ثم يعلق قائلاً: لقد أدركت أن إسرائيل ليست مجرد قضية فلسطينية، بل هي مشكلة أمريكية.

وإسرائيل مشكلة ليس لأنها تمتص (٥٠) مليار دولار من خزنتنا، وليس لأن مئات البلايين من الدولارات تذهب على هيئة رفع لأسعار النفط لتغطية سياستها الإسرائيلية، وليس لأنها أساعت إلى سمعتنا في العالم، بل أيضاً لأن سياستها الإسرائيلية تعد عرضاً من أعراض «التسلط اليهودي» الواسع على حكومتنا وصحافتنا، وهو الأمر الذي يهدد الأسس الأمريكية نفسها... أهـ.

أمريكا تدفع قروشاً أو بضاعة لدولة ما، فتعاملها كما يعامل السيد عبده؛ وإسرائيل -مثل جهنم- تقبض من أمريكا فلا تشبع، ومع ذلك تعامل أمريكا وكأنها مدينة لإسرائيل وعليها أن تدفع الأموال دون أن تبالى بما يلحق أمريكا من ضرر، وسوء سمعة، حتى بات مالوفاً عند التصويت في هيئة الأمم، أن كل دول العالم تقف في طرف وإسرائيل وأمريكا في الطرف الآخر... فالفيتو الأمريكي لم يعد يستعمل إلا لحماية إسرائيل من العقاب أو اللوم، ومع ذلك يتسماع الرئيس بوش لماذا يكرهوننا ونحن طيبون؟

لقد صارت «إسرائيل» عبئاً على أمريكا وسياستها وخزنتها وسمعتها، فمتى ينتفض الشعب الأمريكي، ويلقي بهذا الحمل الثقيل عن ظهره؟

(١) المرجع السابق، ص (٢٤٨).

بن غوريون يحلم أو يتنبأ

من المعروف عن بن غوريون أنه علماني ربما لم يصل في حياته ولا صام يوماً، لكن أحلامه عجيبة غريبة، فلم يحلم بانتصار العلمانية بل بسقوط الاتحاد السوفيتي، ويحلم باتحاد عالمي عمالي له قوة شرطة، بينما تلتفى الجيوش كافة، وتتوقف الحروب، وأخيراً وليس آخراً أن تقوم هيئة الأمم «الحقيقية» وليست المزيفة فتعيد بناء «الهيكل» في القدس.

لنسجيل ذلك للرجل، فقد كتب في ١٦/١٢/١٩٦٢م في مجلة^(١) «ديوك» يتبأ كيف سيكون العالم خلال «ربع قرن» وأول ما تنبأ به سقوط الاتحاد السوفيتي، سقط بالسكته القلبية، ولكن ليس خلال ربع قرن بل أكثر.

ويختم بن غوريون قائلاً:.... ستتوحد جميع القارات، ضمن تحالف عمالي، تكون تحت تصرفه قوة «شرطة» عالمية، وستلتفى كل الجيوش ولن تكون هناك حروب، وستقيم الأمم المتحدة «الحقيقية» هيكلأ للأنبياء في القدس، لخدمة الأمة المتحدة من جميع القارات، وسيكون ذلك مقعد الحكمة العليا للإنسانية... أهـ.

كان هناك من يتهم اليهود بأنهم يعملون لقيام حكومة سرية تحكم العالم لمصلحتهم، والسؤال: أليست أحلام بن غوريون تصب في هذا «الاتهام»؟ وكيف تتحد القارات ضمن تحالف عمالي، ودوله في ازدياد، والصراع يتزايد يوماً على ما يستحق وما لا يستحق؟

وكيف تلتفى الجيوش ويستماض عنها بشرطة، والجيوش اليوم تحكم علناً أو سراً، وكيف ستختفي الحروب؟ وماذا ستفعل إسرائيل بجيشها وقواها النووية؟ ومن هي هيئة الأمم «الحقيقية»، أهي الماسونية الدولية مثلاً؟ وهل سيسوق اليهود الأمم

(١) المرجع السابق، ص (٢١٦).

كي يعيدوا لهم بناء الهيكل في القدس؟ أليس هذا ما ادعته الماسونية وسطرته وحلقت على ذلك الأيمان، ومن أذاعه وأفشاه يستحق القتل؟

ولنسأل مجرد سؤال: ماذا سيحدث لو انتفض الشعب الأمريكي وثار على التحالف مع إسرائيل واعتبرها سبباً لمزنته، وسقط العالم في تحالف ضد إسرائيل ومشاريعها وأحلامها المبهمة المشبوهة، وعادت الشعوب المسيحية لتتظر لليهود كما كانت تتظر إليهم بالأمس؟

وأخيراً، من حق كل أحد أن يعلم، فالأحلام مباحة للجميع، ومن حق الجميع أن يدققوا في (بعض) الأحلام نظراً لخطورتها ومفزاها، وما تكشف عنه.

اللهم لا تجعل أحلام «بعضهم» كأحلام «القطط، التي تدور كلها حول الفئران!!

إلى أحلام هرتزل

هرتزل مؤسس الصهيونية والحالم بإنشاء دولة لليهود يحلم، كما يحلم تلميذه بن غوريون، وهو علماني مثله في عقله وقلبه، ولكنه وجد أن يستعمل بعض الأساطير الدينية لأنها يمكن أن تجمع اليهود، بينما الأحلام العلمانية تفرقهم راح هرتزل يجوب العالم يقابل الزعماء طالباً مساعدهم، يحدث كلاً بلسان، ويضرب على أوتار المصلحة، لم يترك أحداً ممن يتصور نفعه إلا قابله، من السلطان العثماني عبدالحميد، إلى الامبراطور الإيطالي عمانوئيل الثالث، إلى البابا إلى غيرهم، رجل يحمل حلماً يريد تحقيقه، دون كلل ولا ملل.

وقد جرى حوار مع الإمبراطور الإيطالي على الصورة التالية:^(١) الإمبراطور: سيحصل اليهود على فلسطين في النهاية، لكن لابد من الانتظار، حتى يصل عدد اليهود في فلسطين إلى نصف مليون يهودي.

(١) ثور هرتزل، مؤسس الحركة الصهيونية، ص (٢٧٩).

هرتزل: إن اليهود لا يسمح لهم بالذهاب إلى هناك.

الإمبراطور: كل شيء ممكن «بالبحشيش»، لكن أسألك: هل مازال اليهود ينتظرون المسيح؟

هرتزل: بالطبع، ولكن في الدوائر الدينية، أما هي دوائرنا فهذه الفكرة غير موجودة، ثم يقترح هرتزل أن تجري الهجرة اليهودية إلى طرابلس -في شمال إفريقيا-.

الإمبراطور: هذا منزل لشخص آخر.

هرتزل: لكن تقسيم تركيا لا بد قادم، ياصاحب الجلالة.

يتحول الحوار إلى «البابا»:

البابا: نحن لا يمكن أن نصدر موافقتنا على الحركة الصهيونية، ولا الهجرة إلى فلسطين، فاليهود لم يعترفوا بالسيد المسيح؛ لذا فنحن بالتالي لا يمكننا أن نعترف بالشعب اليهودي.... إن تلك الديانة اليهودية هي تعاليم للسيد المسيح، ونحن لا يمكننا أن نعطيها مزيداً من الشرعية فكان على اليهود أن يكونوا أول من يعترف بالسيد المسيح، لكنهم لم يفعلوا ذلك حتى يومنا هذا.

لقد دُمر المعبد «الهيكل» في القدس إلى الأبد، فهل يجب علينا أن نميد بناءه، وأن نُؤدي الصلوات فيه على الطريقة القديمة؟

هرتزل: لا يجيب على التساؤل... أهـ.

حوار صريح، كل طرف يملن قناعته والمدى الذي يمكن أن يذهب إليه.

والسؤال: ما الذي ذهب من هذه القناعات وما الذي تبقى؟

والسؤال الثاني: كيف اجتمع (٦٠٠) من رجال الدين في القاعة نفسها في (بال)، حيث أعلن هرتزل عن مشروعه للحركة الصهيونية والعمل على قيام الدولة، المجتمعون من (٢٧) دولة لم يذكروا المسيحية ولا السيد المسيح وعودته، وأعلنوا تشجيعهم لبقاء القدس إلى الأبد تحت السيطرة الإسرائيلية.

والسؤال: هل الجماعة رجال دين أم ساسة منافقون تحت رداء كهنوتي، أم رجال سياسة تحت قشرة دينية؟

وأخيراً: ما القول بما طرحه البابا على هرتزل؟

المستشار بريجنسكي يدق ناقوس الخطر

مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق (بريجنسكي) شخصية معروفة، له مؤلفات قيمة مثل: (الفوضى ورقعة الشطرنج الكبرى) وله كتابات في الصحف، والرجل غير متهم ولا نكرة، ولأفكاره قيمة... الرجل يفار على الغرب وحضارته^(١)، وهو يعتقد أن أزمة طاحنة تضرب الغرب وحضارته، بحيث يمكن أن تصيبها بالعطب والموت، شأنها شأن حضارات سابقة، أصيبت بأمراض فمرضت وماتت.

المستشار يعتقد أن «الأزمة» أزمة الديمقراطية الغربية، فهي مهددة بخطر «كل شيء مباح، وبالذات داخل المجتمع الأمريكي، فالكل يسمى جاهداً لتحقيق ما يريد، دون اعتبار لمصالح المجتمع، ودون تمييز بين الخير والشر، وكل هذا مع غياب لوجود أي رادع ديني أو أخلاقي».

ولذا فهو يطالب الغرب بتعديل أسلوبه، وإلا انهيار، كما انهارت حضارات سابقة، عندما أسقطت كل القيود، وانغمست في الخراب الروحي، والمتعة الجامحة، ودون

(١) مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٣٩، ص (٦).

حدود، وهو يرى هذا التحدي من داخل الثقافة الأمريكية، فهي تشيع
الفضوى... أهـ.

وربما صرخ قارئ: يا أخي وأنت مالك؟

وأقول بلطف: ما يحدث في الغرب اليوم يصلنا غداً، فلدينا «ملاكيف» لا
يعجبهم شيء إلا ما يحدث هناك وراء البحار، ولدينا «ناس» يعتقدون أن كل شيء
غربي فهو «برنجي» الناس يعملون لنقل كل ما هناك لنا في اللباس والطعام
والسياسة والاقتصاد، ومن هنا فالأمر يهمننا، ومن حلقت لحية جار له فليسكب الماء
على لحيته: لأن الدور آت عليه لا محالة.

سفر يد و حضارة الغرب

أنا مهتم بالحضارة، وقد قمت بتدريس مادة «فلسفة التاريخ أو تفسير التاريخ»،
في الجامعة لمدة زادت على عقد ونصف، ومن هنا فأنا أهتم بكل ما له صلة
بالحضارة، ولسبب ربما أهم فكل ما يحدث في الغرب يصلنا، حلوه ومره، صحته
ومرضه، ولا فائدة من التهرب من ذلك ولا جدوى.

(سفر يد هونكه) المفكرة الألمانية وصاحبة كتاب «شمس الله تسطع على الغرب»،
وكتاب «من أفول الغرب إلى طلوع أوروبا: تغير العقلية وامتحانات المستقبل»، نشرته
دار «هور نسونته فرلاغ».

تري (سفر يد) أن حضارة الغرب صائرة و ذاهبة إلى أفول^(١)، لكنها على عكس
ما يراه كل من نيتشه وشبينجلر، فإن أوروبا نفسها لن تزول، أما الزائل فهو
«الخاصية الغربية» لأوروبا، وهي تمتد أن الانهيار الشامل لكافة القيم في الغرب
المسيحي شرط أساسي لكي تكتشف أوروبا هويتها الحقيقية، ولكي تحقق نهضة

(١) مجلة فكر وفن، العدد (٥٥)، السنة (٢٩).

الفكر الأوروبي وتطلق: لذا لا تشارك «شبينجلر» بوجود قانون طبيعي قاهر، يسري على الحضارات كافة، بحيث ينقلها من نشوء إلى نمو إلى ازدهار هنضوج فسقوط (دورة الحضارة)^(١).

كذلك لا تسلّم (سفرديد) بما يقول به ابن خلدون، إنما ترجع ذلك إلى أسباب بنوية نفسية ليس إلا.

لقد كونت سفرديد لنفسها نظرية خاصة لتفسير التاريخ والحضارة، وكذلك تقدم الحضارة وتراجعها وهي تقوم على عوامل نفسية وفكرية أصلية للشعوب؛ وعلى تغير هذه العوامل خلال العمليات التاريخية، وتتخذ من «النموذج النفسي» - والذي لا يحتاج إلى قوانين حتمية - هذا التفسير ينفع في الحالات المشابهة لحضارات أخرى.

ملخص النظرية: إن شعباً متى صُرف في زمن مبكر عن ثقافته وذهنيته ومعتقداته، عن دينه وقيمه وتصوراته، عن طريق الاحتلال أو التبشير، وتغلبت ثقافة أخرى على ثقافته، عندئذ يمر الشعب المغلوب بفترة تتغير فيها القيم تغيراً كاملاً، فيحدث خلل في التوازن، وتفسد الأخلاق فساداً كبيراً، ثم يحدث الانهيار، وعندئذ تسود مرحلة الانسجام، والتمود على الجديد، والتعامل معه تماماً إيجابياً، وتحدث نهضة ثقافية عقب ذلك قد توصل إلى مرحلة حضارية مزدهرة، ولكن الازدهار ما يلبث أن يتوقف، ثم يتحول إلى ركود، يعقبه تهقر وانهايار.

هذه الدورة تحدث ليس بسبب «شيخوخة الحضارة» - كما يفسرها بعضهم - وإنما لأن عقلية الشعب تعارض البنى الفكرية، التي جاء بها السيد الغالب، فهي بنى فكرية غير مناسبة، تحدث مع الوقت «فراغاً» في النفوس فينبذها الناس في نهاية

(١) دورة الحضارة يؤمن بها ابن خلدون وشبينجلر وغيرهم كثير.

الأمر، ثم يفرز هذا الفراغ أزمة فكرية ونفسية خطيرة، لكن هذه الأزمة تكون ضرورية؛ لأنها تمهد لظهور أو بروز العقلية الأصلية من جديد، تلك العقلية التي كُتبت زمناً طويلاً وحُبست.

إن مهمة الأزمة أن تهيئ الظروف المواتية لنهضة ثقافية جديدة تقوم على قاعدة العقلية الأصلية وتسد الفراغ الفكري، وتطلق قوى فكرية طبقاً لطبيعتها الذاتية، وقوانينها الخاصة، وهي تحاول تطبيق نظريتها على الحضارة الغربية وقوانينها الخاصة، وأزمتهما الفكرية والنفسية، فالتبشير المسيحي أخضع أوروبا إلى تناقض بين البنية الفكرية، إذ منذ عهد النهضة والإصلاح البروتستانتية، جرى نبذ العناصر «غير المناسبة» منذ عهد التنوير ولكن ثمة عناصر جديدة أخذت بالظهور، من خلال الانتعاش المتكدسة في أوروبا، التي تشملها الأزمة، بل أنهكتها دون أن تتمكن من القضاء عليها.

إن تفسير «سفر» العناصر (غير المناسبة) بعد دراستها للتصورات الدينية القديمة، وما جاءت به المسيحية لتنتهي إلى أن هذه العناصر الغربية (وغير المناسبة) كانت في مذهب «الثوية» المسيحية، إذ تحوى على تناقض دائم لا يمكن تخطيه، فهو يفصل المفاهيم فضلاً غير قابل للتوفيق، فكل شيء خير أو شر، طاهر أو نجس، حق أو باطل، الله والإنسان، الدنيا والآخرة، الكنيسة والدولة، الديني والديني، الأرض والسماء، الروح والجسد، الرجل والمرأة.

إن مذهب «الثوية المسيحية» قد عاد على أوروبا بالويل في النهاية؛ لأن الشعوب الألمانية - وسفر - منها - كانت تؤمن بوحدة الكون، وبوحدة المتناقضين، إيماناً عميقاً راسخاً... وقد قامت على مر العصور حركات قاومت مذهب الكنيسة «الثوية» بمنف، لكن الكنيسة بقيت متمسكة بمذاهبها رامية بالإلحاد والهرطقة كل من يخالف ذلك، بل كل من يعترف ديناً آخر، وهذا أدى إلى أزمة فكرية، لدى كل من

لم يصدق بمذهب الكنسية... إن أوروبا أخذت بالتغلب على هذه «الشوية» لكن أوروبا لم تستفد كل وسعها في ذلك، وهي الآن مقبلة على مرحلة من تاريخها - قد طال انتظارها- والمؤمل أن تتطرق خلالها كل قواها الدينية وبكل حرية... أهـ.

تفسير جديد لحركة التاريخ يمكن تسميته بـ «التفسير النفسي» ليضاف إلى جملة من تفسيرات سابقة ولاحقة.

هناك من يرى حركة التاريخ تسير إلى الأمام، فحضارة اليوم أفضل من حضارة الأمس، وستكون حضارة الغد أفضل من الاثنين... وهناك من يمسك الأمر ليقول بأن ثمة ركوص وعودة للوراء ولعل «البرت شفيتز» أشهر ممتق للفكرة، وهناك فريق ثالث يعتقد بأن ثمة دورات للحضارة، بعضهم مثل ابن خلدون يعتقد بكونها مغلقة، بينما غيرهم يتصورها مفتوحة، ومن هؤلاء توينبي وفيكو وشبينجلر، وثمة فريق يرى أن الحضارة تسير وتتحرك ولكن ليس لها سنة ظاهرة أو شكل محدد، بل مدارات متعددة^(١).

من العداة الشديد إلى الولاء الشديد

كان بعض من أبنائنا يصول ويجول، ويملأ الأرض صراخاً، وكل من لا يجبهه أو يشاركه الرأي فهو عميل لأمريكا ووكيل لها، وما إن انتهت المقود (الخامس والسادس) من القرن العشرين، حتى حصل انقلاب وقفز من أقصى اليسار ومن العداة المطلق لأمريكا إلى الولاء المطلق لها.

د. أدوارد سعيد - الفلستيني الأصل الأمريكي الجنسية - والراصد الدقيق لما يحدث في الغرب وفي بلادنا مما له علاقة بالغرب كتب يقول^(٢): هواة تبديل

(١) للكاتب بحث حول تفسير التاريخ درس هذه الأمور، طبعة ١٤٢٤هـ، ص (٤٣-٥٦).

(٢) صحيفة الشرق الأوسط، ٣/٨/١٩٩٣م.

«الولاء» بعد حرب الخليج الثانية، تعقدت الأمور بالنسبة لبعض المثقفين العرب وذلك بسبب اليروز الجديد لأمريكا، كقوة خارجية رئيسة في الشرق الأوسط، فما كان عداء تلقائياً للأمريكان، دون تفكير، عداً (دوغماتياً) إلى أبعد الحدود. وأشبه شيء «بالكليشه» تحول إلى مولاة لأمريكا، وقد شهدت العديد من الصحف والمجلات في العالم العربي تحقيقاً لمستوى النقد لأمريكا، وأزيل تماماً في بعضها، واكتشفت قلة قليلة من المثقفين العرب فجأة دوراً جديداً في أوروبا وأمريكا، لقد كان هؤلاء ذات يوم مناضلين ماركسيين وتروتسكيين في الغالب، يناصرون الحركة الفلسطينية، وبعضهم أصبح إسلامياً، بعد الثورة الإسلامية.

ولما هربت «الأصنام» أو طردت خلد هؤلاء أولاً إلى الصمت، ثم أعقب ذلك «حسابات جديدة» هنا وهناك، فراحوا يتحدثون عن أصنام جديدة يخدمونها... هؤلاء يعلمون أن محاولة قول شيء، عبر وسائل الإعلام الأمريكية، ينطوي على نقد سياسة أمريكا أو إسرائيل أمر صعب للغاية، وبالمقابل فإن التفوه بأمر معادية للمرب كشمب وثقافة، أو معادية للإسلام كدين، أمر يسير جداً في هذه الوسائل وإلى درجة مضحكة... فهناك حرب ثقافية بين المتحدثين المعنيين ذاتياً باسم «الغرب» والمتحدثين باسم العالم الإسلامي والعربي. وفي وضع ملتهب كهذا فإن أصعب شيء يمكن فعله لإنسان مثقف هو أن يمارس النقد والاختبار... أما إذا راح المثقف العربي يدعم بصورة «مقلوبة» أو استخذائيته للسياسة الأمريكية، ومهاجمة من ينتقدها، إذا صادف هؤلاء النقاد عربياً، يلقفون الأدلة والبراهين للبرهنة على أنهم (أنذال) فإن كان النقاد أمريكيان، فالمثقفون المرب يقومون بتدبيح القصص والمواقف التي تبرهن على «نفاقهم» ولتحوك حكايات زائفة عن العرب والمسلمين، لتشوه تراثهم، وتصيب تاريخهم، وتبرز مثالبهم، وتكشف مواطن ضعفهم، وكل من يفعل هذا فله دور جديد يلعبه، ويضمن نيل الأوسمة المنتظرة، وسرعان ما يوصف بأنه شجاع صريح... أهـ.

صراحة موجعة، تضرب بالعظم، فهل من شجاع ينفي هذا النفاق؟ فإلى
الفرسان أمثال فؤاد العجمي وكنعان مكية وحازم صاغية هل من مفند؟ هل من يرد
على هذه الصراحة الموجعة؟ أم في الأفواه ماء؟

الاغتيال بأوامر من مسؤولين

أصبح لا قيمة للإنسان، يُقتل ويُقتال ويُوضع في سجون سرية، يُعذب حتى
يشتهي الموت فلا يحصل عليه.

كل هذا معلوم معروف فما الجديد؟ الجديد أن يأمر مسؤول باغتيال أفراد ثم
تعترف الجهات صاحبة العلاقة بأن الاغتيال كان خطأ، أو يعلن وزير أو رئيس وزراء
أنه أمر بالقتل والاغتيال وأنه هنا القتلة، وربما منحهم أوسمة، فهل هذه غابة أم
حظيرة خنازير أم حضارة متقدمة؟

كنت أستمع لمحطة B.B.C البريطانية ظهر الثلاثاء ١٠/٦/١٤١٤هـ فسمعت
حديثاً يتكلم فيه مسؤول إسرائيلي من المخابرات اسمه «أهارون» يقول إن رئيسة
الوزراء «جولدا مائير» وافقت على اغتيال مجموعة من قيادي «فتح» ما بين (٢٠-
٢٥) فرداً.

وقد أجرت الإذاعة مقابلة مع «أهارون» حول الموضوع فقال: قتلوا ابن (زعيطر
ومحمود الهمشري)، لكن تبين من التحقيق أن لا صلة لهم بالعنف، ولا قتل
الرياضيين في ألمانيا، كما أن الاغتيال لم يفرق بين مدني وعسكري.

وحين استشهد الشيخ (أحمد الياسين)، وهو الرجل المقعد، الخارج لتوه من
صلاة الصبح، والذي أمر السفاح المجرم «شارون» بقتله وقد سارع لتهنئة القتلة
ومصافحتهم... أما برقيات النفاق فكلها تطالب بضبط النفس.

وذاث يوم كان د . أدوارد سميد مع عائلته في جنوب لبنان، وصادف أن حمل حجراً صغيراً ورماه، فاعتبر عمله إرهابياً، واحتج الكثير في أمريكا وأوروبا، وألغيت محاضرات كان سيلقيها بسبب هذا العمل الإرهابي الكبير!!

نحن وحقل التجارب

منذ استلمنا الحكم من العثمانيين صارت بلادنا حقل تجارب، فلم يبق نظام لم نطبقه، من أقصى الشرق لأقصى الغرب، فما النتيجة؟

السفير السابق «حسين أحمد أمين» نشأ متديناً فتحول إلى ماركسي، وذهب إلى إنكلترا ليعمل في إذاعتها خلال الحرب العالمية الثانية، وبعدها التحق بالسلك الدبلوماسي، وصار جندياً من جنود «بني علمان»، وبمدد تقاعده راح يكتب في الصحف، ونشر في صحيفة الحياة مقالاً يتحدث فيه عما قمنا به من تجارب من كل لون فكان مما قال^(١): جرينا للبرالية والحكم المسكري، الديمقراطية والفاشية، تعدد الأحزاب والحزب الواحد القائد، الرأسمالية والاشتراكية، الانفتاح الاقتصادي والانغلاق، السير في ركاب الغرب وركاب الشرق، القومية والوحدة العربية والانتماء الإفريقي، مساندة الأنظمة التقدمية وموازرة الأنظمة الرجعية..

نادينا بالشعارات كافة، وتلونت أجهزة إعلامنا بألف لون، تغنينا بمدح حكام ثم بهجائهم، أقمنا لهم تماثيل ثم حطمنها بمد وقاتهم، سميننا شوارع وميادين بأسمائهم ثم غيرناها، حاربنا إسرائيل ثم صالحناها، هللنا لثورات وانشقابات، ثم انقلبنا عليها ولعنناها، أقمنا الاتحادات ثم ألغيناها، قاومنا النفوذ الأمريكي ثم استسلمنا له، سخرنا من الدول النفطية ثم رحنا نلتقى المساعدات منها، عاديناها ثم صادقناها وتملقنا لها .

(١) صحيفة الحياة، ٨/٤/٢٠٠٤م.

وبعد كل هذا فما الذي بقي أمامنا مما لم نجريه بعد؟ غير الحل الإسلامي حل جدير بأن تتاح لتطبيقه فرصة، شريفة إلهية مستقاة من كتاب الله وسنة رسوله، رآها الأصوليون بدءاً بجماعة الإخوان كخيلة بتوفير الحلول الحاسمة للمشكلات كافة، من الاغتصاب إلى الديون الخارجية... أهـ

نعم، بكل تداوينا والمرض مقيم لا يفارقنا، فهل نجرب الحل الإسلامي، أو هل يُسمع لنا أن نجرب هذا الحل، كما يجرب جيران لنا ما يريدونه، أم هذا من المحرمات علينا، الحلال على جيراننا؟

لقد دخلنا التاريخ نحمل الإسلام وننشره في العالم، ثم تعبنا من الحمل أو صار أثقل مما نتحمل، واليوم يريد أكثر من بلد هذا الحل، فلننجرب، إن نجح كان خيراً وإن فشل استرحنا، أنا أعلم جيداً أن بعض أبنائنا مستعد لتجربة أي نظام مهما كان إلا الإسلام، لكن هؤلاء قلة قليلة ممزولة لم تتجح في عمل وإن ملأت الدنيا صراخاً، نطمأ للخدود وشقاً للجيوب، فإما أن (يحكموا) وإلا حصل الخراب للعالم، وضاعت الحرية وسقطت الديمقراطية، وفقد الإنسان والحيوان والنبات والجماد حقوقهم...!!

ياهو، لم تتجحوا في الانتخاب في بلد، حتى البلاد التي تحكمها أمكم أمريكا فما هو مستقبلكم، وما هو مصيركم؟ وما هي أحلامكم؟

لماذا يفقد الغرب الثقة

الأمم قديمها وحديثها لها قيم وثوابت تتمسك بها، ويحدث أحياناً أن تفقد الثقة بهذه القيم والثوابت، ولا يكون ذلك بقرار سياسي، ولا يحصل خلال يوم وليلة.

د. «كيسري لانغ» المسلم الأمريكي يدرس هذه الظاهرة فيقول^(١): أعتقد أن الغرب الحديث قد مر بتجربة كبرى من ضياع الثقة بالحكومة والقيم التقليدية والتربوية والعلاقات الإنسانية، وكذلك الكتب السماوية، ومثلها الدين والله، كل ذلك قد اضمحل وتلاشى، بسبب الصراع من أجل التقدم المادي، وقد خلف هذا الضياع فراغاً كبيراً، وأنجب أفراداً لا يعترفون بأي نظام فكري، هكذا أصبحوا فضوليين ومستعدين لأي وجهة نظر بديلة.... أهـ.

والسؤال: لماذا، وقد يكون فيما قالته د. سفريد جواباً.

الخوف من الإسلام والشك بالمقدسات

د. (فرانك فريدي) عالم اجتماع بريطاني شجاع يسمي الأشياء بأسمائها، حاورته مجلة «إمباتك الدولية» حواراً طويلاً صريحاً، أنقله على طوله^(٢):

س: تردد وسائل الإعلام والمسؤولون في الغرب أن مجتمعاتنا تتعرض حالياً لمؤثرات خطيرة وغير عادية، ابتداء بالأمراض الوبائية، وانتهاء بطوفان الهاربيين من دول العالم الثالث، كيف تقسر هذه الظاهرة، وكيف تلخص مضمونها؟

ج: البشرية منذ القدم تميزت بالشعور بالخوف من الأخطار كافة، وقد يبالبون في ذلك حتى ليتصوروا ما ليس بخطر أنه خطر... أما الجديد في هذا الأمر فإنه لم يعد هناك شيء يمكن الثقة به، أو الإيمان به، فالغرب يشك في كل شيء، ويرتاب في كل شخص، ونتيجة لهذه الأوضاع النفسية فإن الرعب أو الفرع الذي ينتابهم يتصف «بالرؤيوية»، التي تجعل مجالاً شيقاً وممتعاً جديراً بالدراسة والتحليل.

(١) حتى الملائكة تسأل، ترجمة: د. منذر العيسى، دار الفكر ٢٠٠١م، ص (٢٠٤).

(٢) مجلة الوعي الإسلامي، ترجمة: منصور أبو العنين، محرم ١٤١٩هـ، العدد (٢٨٩).

س: هل توافقون بأن أحد أشكال هذه الهستيريا أو الهلع في الغرب سببه الخوف الشديد من الإسلام باعتباره العدو الذي يتخفى بينهم، وقولهم إن عشرة ملايين مسلم يعيشون بيننا متوارين هنا أو هناك صاروا يمثلون مصدر خوف وقلق في رأيكم؟

ج: هذا صحيح تماماً، لقد أصبح الإسلام يمثل بالدرجة الأولى وبصورة مبالغة ومغالية، أصبح يمثل تهديداً لأسلوب ونمط الحياة الغربية، لقد حل محل شبح الحرب الباردة -فيما مضى- لكنني شخصياً أرى أن ذلك خطأ في نظراتنا للإسلام كرمز جديد للتهديدات الخارجية للغرب، فالهستيريا الغربية تتطلب منا أن نحاول تفسيرها، وبيان أسبابها الحقيقية... لقد بدأت المخاوف منذ سنوات مضت. عندما قرأنا في الصحف أن بعض الغربيين قد صاروا مسلمين، وقد أذيعت حكايات عن قيام قادة للفكر، وبعض النخب في الغرب باعتناق الإسلام، وعند التدقيق نجد الأعداد قليلة جداً، وفي الحال يتساءل الإنسان: كيف يمكن أن يسبب اعتناق عدد قليل للإسلام هذا الاهتمام والقلق لدى الناس هنا؟

أنا أعتقد أن هذه المخاوف تكشف عن ديناميكية مهمة، فالغرب يعجز عن الثقة بنفسه، والإيمان بمؤسساته مثل سلطة القانون والقضاء والأسرة والديانة، ثم ينظر إلى مجتمع الجاليات الأخرى -والتي لا يدها جزءاً منه- فيراهم لا يزالون يمتدنون في أشياء كان الغرب يؤمن بها في الماضي، لا يصدق الغربيون عيونهم عندما يشاهدون المساجد تزدهم بالمصلين أيام الجمع بينما لا يكاد يملأ كنيسة واحدة، من يصلون يوم الأحد.

إن كثيراً من الناس ينظر لهذا الموقف من الإسلام على أنه نوع من الكراهية له، أو العنصرية ضده، لكنه رد فعل شديد يشبه الهلع من الإسلام، بسبب ما يتصف به هذا الدين من التماسك والاستقامة والثبات، مما يفترق له الغربيون.. كذلك يوجد

تناقض وازدواجية إزاء الإسلام، سببه ليس التحامل والتحيز فقط، وإنما «الحسد» والغيرة من أشياء لدى المسلمين، لم يعد لها وجود في الغرب مثل: الإيمان الراسخ بمعتقداتهم وإيديولوجيتهم... لقد أصبح الأمر وكأن لسان حال الغربيين يقول: انظروا إليهم، إنهم لا يزالون يتمسكون بمقيدتهم وتقاليدهم المميزة، التي يجتمعون حولها، فلماذا لا نقلدهم نحن؟

إن الخوف من الإسلام يرتبط بفقدان الثقة بالنفس لدى الغربيين بأنفسهم.

س: ما الدور الذي على الدولة أن تلعبه في الغرب إزاء ذلك؟ أين يقع دور الدولة في الغرب من عملية الاحتواء للتهديد الإسلامي؟

ج: الدولة في الغرب تتبع سياسة غامضة في علاقتها بالإسلام، فمن ناحية، تقوم بدور عنصر في السيطرة على المسلمين، تتخذ عدة أشكال مثل: إبعادهم من أوروبا، علاوة على ذلك فهناك محاولات للتفريق بين ما هو صحيح وخاطئ، الفث والسمن، والهدف تحديد صاحب المعتقدات، وجعله موضع الشك. من هنا نجد أن وصف «متطرف» ينطبق دوماً على الإسلام وأهله، وهو أسلوب خاطئ جداً.

ويفضل هذا التصور فإنك كمسلم تتميز بمعتقدات عميقة الجذور فلا بد أن تعتبر عدواً جديداً.

والخلاصة: إن الدولة في الغرب تفترض في الذين يعيشون في الغرب أنهم لا يعتقدون في أي شيء وبشكل مبالغ فيه، وتحاول دول الغرب أن تدفع الناس بشكل غير مباشر نحو عدم المبالاة إزاء أي معتقدات، ويترتب على ذلك اعتبار من يُهتم في معتقداته بأنه يشكل تهديداً للحياة الطبيعية في المجتمع الغربي، ومثل هذا يصير مستهدفاً من الدولة التي يعيش فيها، نتيجة لمعتقداته - وهذا مثال للإمبرالية

الزائفة التي تنتجها الحكومات والجماعات الغربية حالياً- وهي تستهدف الناس وتلاحقهم طبقاً لمعتقداتهم، وهذا يلقي الضوء على العلاقة بين الإسلام والمسلمين من جهة وبين نظم الحكم الغربية من جهة ثانية.

س: الغرب مهد ويمهد لصنع قلق أو جنون الارتياب في كل شيء، وهذه النزعة من الشك، مع الاعتماد المتزايد على الدولة للتدخل استهدف المسلمين على وجه الخصوص، وتسهم الحملات الإعلامية بذلك، وتقوم الحكومات بتحصين نفسها بالأسلحة والتشريعات الجديدة، للتعامل مع المسلمين، داخل الغرب وخارجه، بهدف تهيئة الخوف للمواطن الغربي، فإذا استمرت هذه السياسة، دون مواجهة، فماذا تتصورون مستقبلاً العلاقات بين العالم الغربي والعالم العربي مثلاً؟

ج: سيكون لهذا الموضوع أبعاده الداخلية والخارجية: لأن معظم ما يتم مناقشته في بريطانيا مثلاً، يتم تدويله ونقله للغرب وإفريقيا وآسيا وغيرها، فهناك مثلاً ما يسمى إنقاذ الأطفال الأفارقة من إساءة معاملة مزعومة من أوليائهم، ومثل ما يشار عن الحاجة لإنقاذ المرأة المسلمة من برائن الرجل المسلم، طبقاً لادعاءات ومزاعم مماثلة.

إن الذي يقلق الغرب قد تحول إلى قضايا عالمية لدرجة أنها أصبحت وسيلة لفرض نوع معين من الضغط والنفوذ على المستوى العالمي، إنه نوع من النفوذ الذي لا يبدو غريباً؛ لأنه لا يحمل بطاقة زيارة غريبة. بل على العكس، فهو يتخفى في زي دولي، أو غير حكومي، وإن كان الواقع يؤكد أنه سيصبح توجهاً عالمياً.... وهنا سيصبح - غير الغرب - أكثر قلقاً وأشد اهتماماً بهذه الأمور التي تقلق الغرب الآن.

س: المنظمات الغربية من أهلية وحكومية تمارس أنشطة تحوطها الشكوك، ووفودهم

تتردد على البلاد الإسلامية كالسودان ومصر، وهناك شبه إجماع دولي على أن الإسلام هو المستهدف، فما رأيكم^(١)؟

ج: نعم؛ ما تحدثنا فيه ينطبق على هذا التفكير، وما يتعلق به، وإن الخوف أو الهلع من الإسلام عملة رائجة في الغرب عالمياً، كما نجد صدق ذلك في العالم. ليصبح الفزع عالمياً، كما أسلفنا. وأنا أعتقد أن هذه المخاوف من الإسلام ستتشر في العالم لا محالة، حتى المناطق التي يندر فيها وجود مسلمين. والنتيجة الحتمية لذلك ستكون اتخاذ مزيد من الإجراءات القهرية والقمعية للتعامل مع ما يسمونه بالطاعون أو الوباء الجديد للإسلام. كما يتصوره الغربيون - وسيكون لذلك مدهاء في كل العالم... أما الحكومات الغربية فسوف تستعرض عضلاتها، لمحاولة ضغط لإجبار الدول الأخرى على اتخاذ إجراءات مشابهة لمواجهة «الوباء» ولن يمر وقت طويل قبل أن نرى المزيد والمزيد من الحكومات الإسلامية وقد تم إجبارها على القيام بدور «الشرطي» في مطاردة الإسلاميين، بحجة حفظ السلام والأمن، وللتأكد أن «العدو المسلم» - الذي يعيش في خيالهم - قد تم صدّه وكبح جماحه، أما المنظمات غير الحكومية الغربية، فليس حالها أفضل، فقد شاركت بنصيب وافر في صنع صورة «الإسلام» الذي يبدو من خلالها وكأنه شر جديد، يهدد العالم قاطبة..

ولقد صورت المنظمات النسائية الغربية الرجل المسلم كأسوأ رجل في الكون.. أما من يهتم بالسكان فهو يصور الإسلام كمسؤول عن عدم «تحديد النسل» والسلسلة تطول... أما الجماعات الليبرالية فتشكل القاسم المشترك بين الجماعات والحكومات الغربية، وكل هذا تقوم به النخب الغربية، وقادة الفكر الذين يمتدحون عادة بأنهم ليبراليون متمردون يتمتعون بعقول متفتحة.

(١) هذا الحوار يعود لعام ١٩٩٨ أي عمره (٨) سنوات.

إنني أعتقد أنه إذا ترك هذا الوضع دون مواجهة ومعالجة، فعما قريب سيصنف (الإسلام) في النهاية بأنه ليس مجرد عدو إيديولوجي للغرب فقط، بل كمصدر لإثارة الخوف، وعدم الاستقرار، يهدد كل من يعيش على وجه الأرض.. أهـ.

رؤية صريحة واضحة، ووصول إلى جذور القضية، وتسمية واضحة لأطراف «التآمر» من الحكومات الغربية إلى الحكومات المطلوب نصبها «شرطياً» إلى الجماعات الأهلية، وأخيراً إلى أبطال الليبرالية أصحاب العقول المفتوحة أو المتفتحة... والسؤال لبعض أبنائنا من عشاق الغرب هل يقرؤون، وإذا قرؤوا هل يفهمون، وإذا فهموا هل يتغيرون أو يغيرون؟

أم طبع الله على العقول والقلوب فلا ترى ولا تسمع؟

الرجل ومنذ ثماني سنوات يحذر، فهل من مجيب؟

لماذا يحتقر اليهود غيرهم: محاولة فهم

يعتقد اليهود أن العالم ينقسم قسمة ثنائية إلى يهود وأغيار، وأن الله اختار الشعب اليهودي وفضله على الأغيار في كل شيء وأسماهم «شعب الله المختار»، وخلق الأغيار من أجلهم. وهذا المعنى يتكرر كثيراً في التوراة وأكثر منه في التلمود، مما جعل اليهودي يترفع على الآخرين لا يريد مخالطتهم ولا أكل طعامهم، ولا ذبيحتهم، ولا الزواج منهم... إلخ.

«آحاد همام» الكاتب الروسي وهذا اسمه المستعار، واسمه الحقيقي «أسرهنزبرغ» الذي هاجر إلى فلسطين ثم اختلف مع الصهاينة ليتحول إلى أميركا كتب يقول^(١): من الطلبيمي أن يسلم بحقيقته وجود درجات كثيرة في سلم الخليقة،

(١) الصهيونية حركة عنصرية، مؤتمر طرابلس، ص (٣٦).

مروراً بظهور الكائن غير العضوي فالنباتات، والمخلوقات القادرة على النطق، يتقدمها جميعاً الجنس اليهودي... أهـ

الكاتب يهرب من المساواة بين البشر، ليحيلنا إلى الاختلاف بين المخلوقات، وهذا لا خلاف فيه ولا حوله، ولكن الخلاف في البشر وبنيتهم، أهم متساوون بحسب الخليقة أي أبوهم آدم وأمه حواء أم مختلفون؟

الديانات السماوية كلها تسلّم بأن أصل البشر واحد؛ ولذا لا خلاف بحسب الأصل. وأخيراً: ما الدليل على أن اليهود يتقدمون المخلوقات الناطقة كافة؟

يقول «نوردو»^(١): إن اليهودي يملك من الجرأة والكفاءة أكثر مما يمتلكه الأوربي العادي المتوسط، ناهيك بالآسيويين والإفريقيين... أهـ

ولو تساءل أحد ما الدليل على ذلك؟؟ وهل يشمل الشعميين الياباني والصيني مثلاً؟ «هشام جعيط» يتحدث عن نزعة العدا لليهود ضد الإسلام والسيد المسيح فيقول^(٢): من الواضح أن أصل العدا اليهودي للدعوة المحمدية في المدينة، كان شعوراً بالازدراء، ينديه إحساس بالتفوق الديني تجاه كل ما يمكن أن يظهر كتلفيق للتقليد التوراتي، إلا أن هذا التفوق يستند أيضاً إلى إرشاد كتابي عتيق، وعلى غرور قومي ثقافي..

إن ما رفضه اليهود من دعوة «يسوع» ذلك الشخص المتطور داخل اليهودية، كذلك يفعلونه مع «محمد» ذلك العنصر الخارجي الغريب... أهـ

لكن كاتباً صهيونياً هو «يوسف حبيب بريبر» يرفض هذا الاستملاء على البشرية كلها ويتساءل عن السر فيقول^(٣): من أين أتى هذا الاحتقار من جانب اليهود للأغيار... والشعور بالسمو عليهم؟.

(١) الصهيونية حركة عنصرية، مؤتمر طرابلس، ص (٢٨).

(٢) أوربا والإسلام، طبعة ٢٠٠١م، ص (١٠).

(٣) الشخصية اليهودية، د. رشاد الشامي، الطبعة الأولى، ص (٢٢).

هل كان اليهودي عديم الشعور حقاً، وميتاً إلى درجة لم يشعر معها أن حياة «الأغيار» أكثر غنى، وأكثر جمالاً من حياته؟ كلا؛ إن هذا مستحيل ولا نستطيع أن نصدق هذا، فإذا كان هناك احتقار للأغيار فلم يكن ذلك سوى «حسد طبيعي» يشعر به الفقراء تجاه الأغنياء، والرهبان تجاه الفرسان، والعاجز تجاه القادر، إن هذا «الاحتقار» لم يكن سوى استسلام لنصيبنا في الدنيا، وأحياناً نوع من العزاء لآمالنا في العالم الآخر، يتلوه صرير أسنان، وغضب داخلي، عن وعي أو من غير وعي... أهـ

هل يكفي أن نعلل التعالي بأنه مجرد حسد؟

الذي لمسته من قراءة التوراة والتلمود أنهما المسؤولان عن نزعة الاستعلاء، والنظر للجنس البشري كله - ما عدا اليهود - نظرة احتقار واستخفاف، وكونهم بمستوى الحيوانات، وروحهم كذلك بعكس روح اليهودي التي هي من روح الله^(١).

وكون البشر - غير اليهود - مخلوقات شيطانية مثل: الحمير والكلاب، حتى إن المرأة اليهودية إذا تطهرت - من العادة الشهرية - فعليها أن لا تقابل مخلوقات شيطانية مثل: الحمير والكلاب والأغيار... فإن قابلت أحداً منهم فسد طهرها وعليها أن تميده مجدداً...

إن نصوصاً مثل هذه تجعل اليهودي يتعالى على غيره، وينظر له كمخلوق حقير، ودونه بكثير، ويكون رد الفعل، لا سامية... واحتقار باحتقار !!

(١) للكاتب بحث بعنوان مطابخ الكره والعنصرية لاحظ الصفحات (٤١ - ٥٩)، الطبعة الأولى.

لماذا لا يفهمنا الغرب

الإنسان في الغرب لا يتعصب ولا يتشجع إلا ضد الإسلام وأهله فلماذا؟

هل القضية بسبب موروث تاريخي أم تماس جغرافي أم بسبب التحريض المستمر، أم بسبب كل ذلك وغيره، وما دور الإستشراق هنا؟

«هشام جعيط، المتلمذ على الغرب، والحامل للكثير من مثله وقيمه وأفكاره يتحدث عن مقارنات «تشنجية» بين رسولنا والسيد المسيح عليهما السلام. وقبل الدخول في المقارنة الاستشراقية أذكر حادثة ذات دلالة، قبل سقوط بغداد، وقف خطيب في جامع يتحدث عن المسيحية في بعض ما جاءت به، فذهب رجال نصارى وشكوه للسلطة البعثية، فكانها عثرت على أسلحة «دمار شامل»، واعتقل الإمام وقامت الدنيا واتهم بأنه يفرق الصف الوطني... إلخ.

وكان له شيخ عاقل ذهب إلى مسؤول كبير ليحاوره فكان مما قاله الشيخ: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن عيسى نبي الله وكلمته، فهل يشهد النصارى مثل هذه الشهادة، أم يرفضون الاعتراف بنبينا عليه السلام، قال المسؤول الكبير ما رأيكم، وكان صمتاً أبلغ من كلام، وانجلى الموقف.

المستشرق «مدع عام» لديه فتاعات «مسبقة» يريد إثباتها، وكل عمله «مرافعة» لإثبات ما يريد، ليست الدراسة والبحث قادته، ولكنه يريد من الدراسة والبحث أن يؤيدا ويبرهن فتاعاته، فإن قصرت وعجزت فله طرقه الخاصه في التعامل مع النص والدليل.

«هشام جعيط، يجري بحثاً حول مقارنات «الاستشراق» فيقول^(١): إن المستشرق يؤكد على نموذجية مصير أوروبا، وهكذا يحصر الإسلام في عملية «مواجهة

(١) أوروبا والإسلام، ص (٤٠).

حضارية، مع الغرب، ويسير تاريخ الإسلام ليس وفق ديناميكيته الخاصة، بل كانمكاس شاحب وممكوس لتاريخ الغرب، لناخذ مثلاً على ذلك شخصية «محمد»، نلاحظ أنه ضمن كل تحليل لهذه الشخصية تساب عملية مقارنة مع المسيح، فإذا كان «محمد» غير صادق، فذلك لأن المسيح كان صادقاً، وإذا كان محمد محارباً وسياسياً فإن يسوع كان مسالماً مغلوباً معذباً... أهـ.

لكن الصورة الجديدة للسيد المسيح، كما يرسمها المحافظون الجدد، جنرال يقود حرياً كونية يفنى فيها ثلث البشر، ويزج فيها أكثر من (٢٠٠) مليون حول القدس . كما تقدم - وتصل الدماء فيها إلى رؤوس الخيل، فأين صارت الصورة القديمة للسيد المسيح؟

اليهود الشك والشكوى

اليهود اليوم أكبر المدللين في العالم، كل ما يفعلونه لا يحاسبون عليه، وكل من يقول فيهم كلمة فالويل له، ومع ذلك فالشكوى والنوح والبكاء لا انقطاع لها، أما الشك فيشمل كل أحد غير يهودي، لكن لا أحد مطلقاً يعطل ذلك... بل هناك من يذهب إلى أن التحامل على اليهودي هو من (غرائز) الأغيار . جاء في الموسوعة الثقافية^(١): إن التحامل ضد اليهود هو نوع من المشاعر الغريزية والطبيعية، التي تظهر في أي وقت يحتك فيه رجال من سلالات مختلفة بعضهم بالبعض الآخر... أهـ.

والسؤال: هل اليهود سلالة أم دين، وهل يهود الضالاشفة والصين والهند وسريلانكة وألمانيا وروسيا من سلالة أم أتباع دين جمعهم؟ ولماذا ضد اليهود وليس ضد غيرهم؟

(١) الصهيونية والعنصرية، ٢٢/١.

«آرن تايور» في بحثه «الصهيونية بين النظرية والتطبيق» يذهب إلى أن الصهيونية تنظر للمجتمعات الأخرى نظرة عداً فيقول^(١): تنظر الصهيونية دوماً لشعوب الأمم الأخرى كمجتمعات خارجية معادية على الدوام، ينبغي لليهود أن ينشئوا نظاماً متيناً لاتقاء شرها والدفاع عن أنفسهم منها، فالدولة اليهودية هي المفتاح لأمن اليهود... أهـ.

هذه النظرة المعادية ما سببها، ولماذا التهرب من هذا السؤال دائماً؟

عالم النفس الإسرائيلي «روبنشتاين»^(٢) يرى أن اليهود لديهم شكوك عميقة الجذور تجاه الآخرين، وهذه الشكوك تسود العلاقات الشخصية ولها صور:

- ١- شك موجه للغرب.
 - ٢- شك موجه ضد غير اليهود.
 - ٣- شك موجه ضد النظم والأجهزة الدولية.
- والسؤال: ماذا بقي غير مشكوك فيه؟

إعجاب هيغل بالإسلام

هيغل أو هيغل (١٧٧٠-١٨٣١)م صاحب اتجاه نحو «وحدة الوجود» تأثر بكل من (كانت وفخقه وشلينج)، وله تأثير كبير على الفكر الألماني، وصاحب نظرية «صراع المتناقضات»، فالتاريخ عنده عبارة عن صراع المتناقضات من كتبه (دروس في فلسفة التاريخ) ذكر فيه الإسلام في صفحات قليلة، لكنه تميز بالعمق، وترك التصب، وهو يعتبر الإسلام ثورة الشرق التي^(٣) (حطمت كل خصوصية، وكل تبعية،

(١) المرجع السابق، ٧٥/١ .

(٢) الصهيونية والعنصرية، ١٠١/١ .

(٣) أوروبا والإسلام، هشام جعيط، ص (٦٠) .

وهي ثورة تنير وتطهر الروح، جاعلة من الواحد الأحد شيئاً مطلقاً، ومن الوعي الذاتي الصافي ومن معرفة «الواحد الأحد»، النهاية الوحيدة الحقيقية).

لقد تحقق الإسلام مباشرة في التاريخ، وكقوة مضيئة، قد تجاوز سلبيات الفكر الشرقي التي تعبر عنها عبودية الفكر، كما تجاوز أيضاً خصوصية «الإله اليهودي» وكونه لبني إسرائيل خاصة، مستقيماً على أرض العمومية، منقياً ومحزراً الفكر، مع تقديس «الواحد» الذي هو الغاية الوحيدة... لكن هذا الواحد مجرد، مع أنه يمثل الروح حقاً، وليس ملموساً كالإله المسيحي، الذي جسّد كإنسان، ما هو إلهي.

كانت حماسة المسلمين قادرة على كل نوع من السمو، وهذا السمو المحرر من كل الحسابات الدنيئة، ممزوج بكل فضائل كبر النفس والبسالة، ويتحدث عن حب الواحد الأحد، الأكثر صفاء وتجريداً، والأكثر تسامياً، إنه عودة جدية إلى الله، حيث يعصف عنف الحياة، إنه «سلام» كما يوحي بذلك اسمه، وتلك هي نواته الصلبة...^(١) أهـ.

قرأت هذه المقاطع وأمثالها على «زميل» فصمت قليلاً وقال: الله أكبر إن فهمه يفوق فهمنا، وصدقه أفضل من نفاقنا، فهل بدأ الغرب يفهم الإسلام جيداً على حين زهدنا فيه، وبحسنا لديهم عن غيره...؟

قرأت على الزميل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَرَوْهُا فَقُولُوا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالِكُمْ... ﴾ [محمد: ٣٨] ثم وقع نظري على وجهه فإذا الدموع تسيل على وجنتيه، لقد قال الشيخ «المراغي» شيخ الأزهر يوماً، وقد طالبتة (بنت) له وكان راكباً «قطار الصعيد» فلما ألحت بطلب العبقريات للعقاد. وسألها عن السر فقالت: إن المرأة الخواجايا - وأشارت إليها -، ذكرتني لي، فقال الشيخ والألم يعصر قلبه: يبدو إننا سنسلم ولكن بعد إسلام «الخواجيات»، قضية موجمة مؤلمة أن يفقد الإنسان

(١) المرجع السابق، ص (٥٤).

الثقة بنفسه وبما عنده، ويتعلق بكل ما هو آتٍ من وراء البحار، مهما كان، ولو تعلق
بدينه ومعتقده وفكره.

لقد قالها يوماً د. طه حسين: نريد كل ما جاء من الغرب، حلوه ومره... وقال
الشاعر التركي ضياء الدين الب: نريد كل شيء في أوروبا حتى الجراثيم التي في
البطون!!

مرض فقدان «الذات» مرض فقدان الثقة، فهل من دواء لهذا المرض بعيداً عن
التعصب والتشنج؟

يعجبني قول «نيتشه»: إن من يحتقر غيره فهو عنصري، ولكن من يحتقر نفسه
وأتمته فإنه ينتحر.

فهل صار الانتحار محبباً لنفوس بعض أبنائنا؟ وهل ما قاله الشيخ المراغي
- قبل سنوات - صار مرضاً عند بعض أبنائنا حقيقة وقدراً؟

اليهودي اليوم يقف بشجاعة ليقول للعالم: نحن أمة فريدة تؤمن بالتوحيد ولها
«فرادة»، لأن شريعتنا من الله، ولسنا كغيرنا من الأمم، بل نحن لسنا أمة سوية، ولن
نخضع لقواعد العالم، فهل صار المسلم يفتقد مثل هذا الاعتزاز؟، ونحن دخلنا
التاريخ نحمل الإسلام وحضارته، وفي غفلة من الزمن راح بعض أبنائنا يتبرأ منه
ومن تاريخه وحضارته ولفته، ويديج قصائد هجاء يومي يسود بها صحفه
وصفحاته.

إنها الهزيمة والنكوص على الأعقاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله «... وإن تتولوا
يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ»^(١) سُبْحَانَكَ .

(١) سورة محمد. الآية: (٣٨).

الخوف من اجتماع المظلومين

المظلومون في العالم يبلغون بلايين، فلو اجتمعوا لزلزلوا الأرض تحت أقدام الظلمة، فالظلمة يحذرون هذا الاجتماع والاتفاق.

السفير السابق «حسين أحمد أمين» الكاتب المصري المعروف يذكر أنه حضر ندوة في «ستراسبورج» لبحث سبل التعاون الأوروبي العربي، وقد أجرى حواراً صريحاً مع الكاتب السويسري «ارنولد تينجر» شمل قضايا كثيرة متعددة منها^(١):

س: ألم تتغير مصالح الغرب في المستعمرات السابقة، خلال نصف القرن العشرين؟
ج: لا شك في ذلك... لكن الخطر الوحيد الذي قد ينجم عن الوضع الجديد . من وجهة نظر الدول الصناعية . هو أن تتجه ملايين الشعوب، التي لم نخترها شركاء لنا، والتي تركناها وشأنها أن تتجه إلى التضامن ضدنا، ولكي نحول ضد هذا التضامن والتظاهر، فعلينا أن نتمسك دائماً بسياسة (فرق تسد)، وأن نصنع الأسباب والدواعي، التي تدفع بهم إلى التحارب فيما بينهم، في الوقت الذي نتشغل بتسيق مصالحننا السياسية والصناعية، كذلك سيكون بمقدورنا أن نبعث دوماً (بقوات دولية) إلى تلك المناطق بدعوى الحفاظ على السلام والاستقرار، ثم نبقئها هناك للأبد، ففي منطقة مثل: كشمير بقيت القوات الدولية لأكثر من أربعين عاماً . وكذلك بلبنان . أفلحت خلالها ليس في حل النزاع، بل في تطويقه، ومثلاً قبرص، وستنقع الكافة بسهولة: بأن الذنب ليس ذنبنا، بل ذنب تلك الشعوب المتخلفة، التي تتحكم فيها العواطف وليس العقل.. والتي ستبقى إلى الأبد . على حسب تعبير جنرال إسرائيلي . كالصراصير السكارى داخل زجاجة مغلقة.

(٧٦) الموقف الحضاري ص (١٥٨).

وربما يكون من الأفضل أن ننشر هذه «الفكرة» من خلال الأفلام المصورة لهذه الصراعات والاشتباكات، ليرأها الكافة، فيصدقوا أنهم هم المسؤولون الوحيدون عن وضعهم البائس... لقد نجحت الدول الصناعية في تكييف مشاعر وآراء الشعوب المتخلفة والمتقدمة على حد سواء، فقد باتت لدى الشعوب الفنية قناعة راسخة بتفوقها أولاً، وحقها في الهيمنة على مقدرات العالم ثانياً، وصار لدى الشعوب الفقيرة إيمان بتخلفها وبمشروعية وضعها الدليل في العالم.

أما الدول المتخلفة التي تملك المال مثل دول الخليج، والتي تملك النفط، فلا حاجة للإحساس بالنقص، إذ هي دول صديقة وتحت «الحماية»، فإذا حدث ما لا مفر منه أحياناً، وثارت بعض الدول الفقيرة على وضعها فهنا ستنشأ الحاجة إلى استخدامنا للقوة في قمع تمردنا، ما لم تكن فيها حكومات قوية يمكننا الاعتماد عليها في استخدام الشرطة والجيش من أجل القضاء على القلائل.

وستعمل الصورة التي غرسناها عن حكمتنا وشعورنا بالمسؤولية، وعن نزقهم وافتقارهم إلى الشعوب بالمسؤولية، على تبرير هذه الإجراءات الحكيمة، وهذا التدخل المشروع من جانبنا حتى لو تصادف أن لاحظ بعضهم أن هذه الإجراءات وضد التدخل، تتفق اتفاقاً تاماً مع مصالحنا الخاصة.

س: ما دور الحكومات المحلية في ظل هذا الوضع؟

ج: للحكومات المحلية فوائدها في مثل هذه اللعبة، فكلما زادت خدماتها لنا ستزيد من استعدادنا للتفاضي عن حكمها الاستبدادي في بلادها، ذلك أن استخدام الحكام المستبدين بالسلطة كأدوات لتنفيذ مصالحنا هو أسهل علينا من استخدام الأنظمة الديمقراطية، وذلك بالنظر لشدة خوف المستبدين على حياتهم. ولشدة تعلقهم بمناصبهم، مما يضطرهم إلى طلب حمايتنا وهذا بالضبط سر إبقاء الولايات المتحدة «لصدام حسين» في حكم العراق بعد هزيمته الساحقة، فبالرغم

من تشبيهاً له «بهتلر» وما صببناه عليه من لعنات قد أصبح بمد «تأديبه» وتقليم أظافره، لقد صار أهلاً لأن يكون شريكاً لنا، وقد استفاد «صدام» مثل جاره الأذكي «حافظ الأسد» واقتنع بأنه من الأفضل الانضمام إلينا، وإلا أصبح غير مقبول... إننا سنظل دائماً نفضل الدول النفطية: لأنها أسهل إدارة من مثل إيران أو العراق أو مصر.... اهـ

هذا الكلام في مجمله صحيح وفي أبعاده، وقد يرفض الإنسان بعض التفاصيل هنا أو هناك، لكن الحديث بروحه يبدو سليماً، فالكبار يتلاعبون بالصغار، وبعض قوات الأمم المتحدة، أقامت السنوات الطوال كما في لبنان لكنها تعجز عن ردع إسرائيل مثلاً، والمطلوب من جديد نشرها في إفريقيا وآسيا وغيرها... أو زيادة عددها وعدتها كي تحقق الهدف من نشرها.

نخرج من حفرة لنسقط في بئر

في مسيرتنا لون من التخييط، نخرج من حفرة لنسقط في بئر، د. حسن حنفي الكاتب المصري المعروف، الذي وصف نفسه يوماً بيساري مسلم، يكتب في أكثر من حقل، ويكثر هنا وهناك، له كتاب عنوانه (مقدمة في علم الاستغراب) وقبل النقل عنه أود القول بأن منا من يرفض حضارة الغرب جملة وتفصيلاً، معتقداً أنه يمكن أن يعيش بعيداً عنها . طبعاً ليس بالمنتجات ولكن في الفكر والقيم . وهناك من أبناثنا من يعتقد بوجوب أخذ وتقبل ما جاءت به الحضارة الغربية، حلوها ومرها، وقد يتوسط صنف ثالث فيدعو لاقتباس المفيد، وترك ما لا يناسبنا، فالحكمة ضالة المؤمن.

د. حسن حنفي يقول في مقدمة علم الاستغراب^(١): لقد تحولت مساحة كبيرة من ثقافتنا المعاصرة إلى «وكالات حضارية للغير» وامتداد لمذاهب غريبة: اشتراكية

(١) مقدمة..... طبعة ١٩٩١م، ص (٢٤).

ماركسية، ليبرالية، قومية، وجودية، وضعية، شخصانية، بنوية، سرالية، تكميبية... إلخ، حتى لم يعد أحد قادراً على أن يكون مفكراً أو عالماً أو فناناً إن لم يكن له مذهب ينتسب إليه.

وقد وضعنا أنفسنا أطرافاً في معارك لسنا طرفاً فيها، وتفرقنا شيعاً واحزاباً. كما تفرق القدماء. لكن فرقتنا. هذه المرة. لم تكن موقفاً من الذات، بل تبعية للأخر، ضاعت وحدة الثقافة الوطنية، والكل يبحث عن أصاله ضائعة، ليجد بعضهم في القنوات الشعبية... وعادة ما يتحول «التفريب الثقافي» إلى مولاة سياسية للغرب، مما يسبب ثورات الشعوب الوطنية، تأكيداً للهوية والثقافة الوطنية، في جدل مستمر، بين الأنا والآخر... أهـ.

من المعروف أن الثقافة تصنع «الولاء» وتمنحه طواعية: لذا فمن تبع ثقافة ما فلن يمادي أهلها... من يعتنق الديانة المسيحية في بلد إفريقي مثلاً يكون ولاؤه للغرب، ومن يعتنق الإسلام يشعر بكونه جزءاً من أمة الإسلام، يفرح لفرحها ويحزن لحزنها... في رحلة إلى جمهورية جنوب «إفريقيا» قبل سنوات وجدت المسلمين في انقسام ثقافي غريب، فمن تعلم في البلاد العربية يحب العرب، ويهتم بأحوالهم، يصوم إذا صاموا، ويفطر معهم متى أفطروا، مكتبته عربية حتى أسماء أولاده وبناته، ومن تعلم في الهند فهو مع الهنود، يصوم إذا صاموا، ويفطر إذا أفطروا، إمامه في الصلاة من الهند، ومكتبته هندية، وعروسه آتية من قرى الهند، وهكذا صنعت الثقافة «الولاء» طواعيه دون طلب ولا جهد.

ومن هنا تأتي «خطورة الثقافة»، وسأذكر نموذجين لتوضيح القضية فقط:

الأول: حازم صاغية يهاجم بقسوة بالغة:

«مهاتير محمد» الزعيم الماليزي وقف يوماً ليقول: على المسلمين أن يستفيدوا من تجربة اليهود، ويحسنوا التعامل مع العالم، ثم هاجم ربط الإرهاب بالمسلمين

قائلاً: في كل العالم إرهاب لا يرتبط بالدين، إلا إذا كان الهدف المسلمين، وقال في مرة ثانية: اليهود يسيطرون على العالم، فلم يبق كلب من كلاب العالم الصغار أو الكبار إلا نبج عليه، ليسجل احتجاجه، وتعامى الكل عن فحوى ذلك، أليس في هذا العمل الدليل على صحة ما قاله الرجل؟

وقام صحفيون عرب في لبنان ومصر وهاجموا مهاتير، ليسجل لهم هذا «العمل العظيم»، حازم صاغية اليساري الثوري بالأمس القريب، نظم قصيدة هجاء لاذعة في مهاتير محمد فقال^(١): يستحسن الابتعاد عن السيد مهاتير محمد، وعن وعيه الذي يشيعه؛ لأنه خاطئ وسيئ ومضر ومتعصب ومتخلف وعديم الحساسية في وقت واحد، وعملية. ليس قول - مهاتير يمكن أن تسيء للمرب ما لم يبادر إلى التصل منها أكثر من إساءة عملية غزة (يشير إلى قتل بعض من الأمريكان)...

ومرة أخرى يقول: لا يوجد ليبرالي يمكن أن يكون مناهضاً أمريكياً؛ لأن هذا ضد طبيعته، فأمرিকা جوهرة الحرية، والمبادرة الإنسانية الخاصة، وهي تمثل التعددية الثقافية^(٢).

لقد وصف «صاغية» محمد مهاتير بخمس صفات قبيحة شنيعة، من بواعثها الولاء الجديد للغرب ولإسرائيل، ولولا هذا الولاء الجامع فإن ما قاله مهاتير لا يستحق صفة واحدة من الصفات التي ذكرها، وأذكر هنا بما يقوله علماءنا بأن (الكلام صفة لمكلمه) وأن القاعدة تقول (التابع تابع ولا يفرد بالحكم) وبالمناسبة «صاغية» يكتب في الحياة وأنا مشترك، وأجد له هوية شتم المقاومة ونعتها بأقبح النعوت: لأن المقاومة تقف ضد إسرائيل أو ضد أمريكا، أو ضد الاثنين معاً، وهذه جريمة لا تفتقر!!

(١) صحيفة الحياة، في ١٨/١٠/٢٠٠٢ م.

(٢) صحيفة الحياة، في ١٦/٥/٢٠٠٢ م.

ثانياً: د. أحمد البغدادي وطائرة الديمقراطية:

الدكتور البغدادي الأكاديمي الكويتي، عاشق لأمريكا، وهو ينشر قصائد غزل فيها، ومع كل قصيدة يهبط «رصيده» حتى هبط دون الصفر بكثير، فدعته إسرائيل للهجرة إليها فلم يعرف ماذا يقول.... الدكتور يعلم بأن الرئيس بوش يقود طائرة (الديمقراطية)، ونظراً لوجود عقبات لم تقلع الطائرة.

كتب في صحيفة «السياسة» عن طائرة الديمقراطية، ولطول الحديث سألخصه بفقرات^(١):

- ١- يبدأ المقال بتعليق على ما قاله الملك الأردني، في المنتدى الاقتصادي، الذي عقد في الأردن في نيسان ٢٠٠٥م.
- ٢- يرى الدكتور أن (حماس والجهاد) تسميان لتخريب خطة «خارطة الطريق» بينما هي تعاني منذ سنوات سكتة دماغية، وموت سريري، والشكوى لله!!
- ٣- الجماعات الإسلامية في الكويت، وبعض دول الخليج تسعى لتقويض الديمقراطية.
- ٤- يتساءل الدكتور - بألم شديد - كيف يتحرك إذن العرب نحو الإصلاح؟
- ٥- الفكر الديني (هكذا) يهيمن على الحياة السياسية والثقافية في البلاد العربية.
- ٦- يواجه الدكتور تساؤلاً للملك الأردني: هل تكرر انتهاكات حقوق الإنسان؟
- ٧- ويتساءل أيضاً: هل يغيب عنك ما تحمله قوانين المطبوعات والنشر «المجرمة» وهل ينكر سجناء الرأي؟

(١) صحيفة الحياة السياسية الكويتية، ٢٢/٤/١٤٣٦هـ .

- ٨- يعلق على قول الملك: «أن الأوان لركوب طائرة والإقلاع نحو المستقبل».
- ٩- يتصور الدكتور أن «الطائرة» دون أبواب ولا عجلات، وهيكلها متصدع فكيف يمكن الإقلاع؟
- ١٠- العالم العربي يحتاج إلى طائرة جديدة، تتمثل في حكم الشعوب العربية لذاتها أولاً وثانياً...
- ١١- ثانياً حين يقلد العرب «إسرائيل» في اختيار الحاكم يصبح من الممكن الحديث عن الإقلاع. (والسؤال: لماذا إسرائيل بالذات؟).
- ١٢- يوجد «كابتن» اسمه بوش يعرض خدماته حول كيفية الاطلاع، ولكن لا أحد يستمع له، فكيف يحصل الإقلاع؟
- ١٣- إن حقوق الإنسان والإصلاحات كلها، ومشروع الشرق الأوسط الكبير، كلها مشروعات أمريكية، مئة بالمئة وإن أنكر ذلك القوميون والجماعات الدينية (مرحباً بهذه الإصلاحات!).
- ١٤- لا يوجد شك في عدم حصول الإصلاح في العالم العربي، بسبب عدم وجود الرغبة الذاتية للعرب.
- ١٥- يضاف لذلك عدم وجود «القابلية للإصلاح» إذ تعاني الدول العربية من الفساد بكل ألوانه، ولقد الأدوات الموضوعية اللازمة للتغيير.
- ١٦- فالكويت مثلاً، التي يعتبرها الكثير من «الأغبياء» واحة للديمقراطية، أنفقت الكثير من المال العام من أجل إقرار الحقوق السياسية للمرأة، كما خالفت الدستور باشتراط ضوابط شرعية.. ٥
- ١٧- الكويت الآن تقدم قانون المطبوعات «الجائر» وتفرضه على البرلمان.

١٨- إن وضع العرب يتردى يومياً بسبب هيمنة وزارات الأوقاف ورجال الدين، ضد المدعين... (طبياً الدكتور أولهم!).

١٩- كل هذه التناقضات تمنع الإصلاح من الداخل: لذا فالطائرة لن تطلع.

٢٠- والحل: يكمن في دعوة أمريكا والغرب لإحضار أوراقهم الحضارية، لإصلاح هذه الطائرة «المعطوبة»..

٢١- من أجل أن يقوم الكابتن (بوش) بقيادتها، مجيباً الشعوب العربية قائلاً: (كابتن بوش يحييكم من على متن طائرة الديمقراطية، متوجهاً إلى بلاد الحرية والديمقراطية) وهذا الأمر أقرب إلى المستحيل.

٢٢- فما سبب الاستحالة؟؟ إن «الجنينات» للإنسان العربي ترفض الديمقراطية، وليس في الأمر مبالغة، فالإنسان العربي بسبب الفكر التقليدي، والذي زاده الفكر الديني «سوءاً» صار عاجزاً عن تبني الديمقراطية والحرية، لأنها تضره.

٢٣- ولكل ما تقدم فإن طائرة الديمقراطية لن تطلع، وعلى الكابتن بوش إزالة كافة العقبات قبل الإقلاع... أهـ.

هذا حلم عظيم للإصلاح والديمقراطية والليبرالية، أم حلم يشبه الفتيان؟

يا دكتور بغدادي، اسمح لي أن أقول لك (هذا كلام معناه ليس لنا عقول) معلومة تجمع بين التين والعجين... يا دكتور، لا توجد طائرة ولو شرعية أو طائرة ورقية، الموجود على الأرض منذ سنوات عرية «كرو» يجرها بغل أعرج، قام الإسرائيليون فسرقوا عجلاتها، وزهد بها الحرامية فتركوها، فلا تخدع نفسك بوجود طائرة ولا كابتن ولا شرطي ولا جندي..

يا دكتور هذا الخطاب الفوقي الهجائي الشتائمى أحالكم على التقاعد وعزلكم، فلم تتجسوا في انتخابات أي بلد، حتى في البلاد التي تحتلها أمريكا... يا حضرة الدكتور بلاش أحلام وردية، زمانكم مضى وانتهى، وأمكم أمريكا عرفت قيمة وجودكم فتركتكم، والفزل وقصائد الهجاء لمجتمعاتكم لن تزيدكم إلا عزلة، الرصيد انتهى كله فمن أين تستلفون؟

العرض الإسرائيلي عليكم بالهجرة لماذا لا تفكرون فيه بجدية؟
لماذا لا تتركون المجتمعات المناكفة لكم وتتحولون إلى أمريكا مثلاً؟
وأخيراً لقد فشلتم فشلاً ذريعاً فلماذا المكابرة؟

حين يصير العلم نقلاً والعالم مترجماً

ماذا يحدث حين يفقد شعب ثقته بثقافته، ويمنحها لغيرها؟ د. حسن حنفي ومثله د. برهان غليون يكتبون الحديث عن ذلك.

د. حنفي^(١) يرى أن الثقافة الغربية صارت ثقافتنا، هي ظاهرة تدعو للانتباه، فالعالم من يعرف التراث الغربي، والعلم هو الوافد من المعلومات من وراء البحار، ولا يعد الإنسان مجدداً إلا إذا تعلم الوسائل الغربية، لقد صار العلم نقلاً، والعالم مترجماً، أما المفكر فعارض لبضاعة غيره، ووجدت طبقة هشة من الأفكار والمذاهب والنظريات، طائفة ومحلقة فوق الواقع، ليست مستمدة من الموروث القديم، ولا نابعة من الواقع المباشر، تتضارب المعلومات، وتتعارض النظريات، بعضها ينفي بعضاً، فيحتار الباحث أمامها، ينظر فإذا هي مجتثة الجنور من أرضها، منتزعة من واقعها

(١) مقدمة في الاستغراب، ص (٧٠).

الخاص ثم يختار ماذا يختار، وما هي المقاييس للاختيار، لقد زاد الكم، والفكرة الأساسية غائبة... أهد.

الغرب يفزونا برأ وبحراً، عقلاً وضميراً، والوكلاء يتكاثرون مثل السرطان المنتشر يتنافسون بينهم، تكثر المطالبة بالرجوع للمصادر بلفتها الأصلية، وكتابة المصطلحات بالفرنسية، أحدهم يريد إصلاح العقل العربي، فيكتب جميع المصطلحات الأجنبية كما هي بلفتها الأصلية، فكيف يتم الإصلاح إذن، هذا الهجوم على التراث واللغة والتاريخ وجلد الذات ليل نهار، ما الهدف منه؟

هناك من يشتكي من عدم مطاوعة اللغة العربية للمصطلحات الحديثة، فكيف طاوعت اللغة اليابانية والصينية، بل كيف طاوعت اللغة العبرية، علماً بأن اللغة العربية أكبر ثراء بالاشتقاق وغيره من غيرها.

لقد جرت محاولات ناجحة في سوريا لتعريب العلوم، والجامعة العربية كونت لجنة عسكرية لتعريب كافة المصطلحات، فمن يرد الوصول إلى ذلك عليه أن يبذل جهداً، لكن مع الكسل لن يتم شيء، وهنا نستذكر حين بأشرنا الترجمة عن اللاتينية لعلوم اليونان والرومان، وعلوم الهند والفرس، لم تعجز اللغة العربية، فلماذا تعجز اليوم؟

أم أن المطلوب إثبات عجزها وعقمها، لتكون حجة لنشر الثقافة الغربية، دون ترجمة وكذلك العلوم؟

فرنسا ترفض كتابة إعلان أو مطوية بغير الفرنسية، وتعاقب الشركة التي تفعل ذلك، وتمنع إدخال أي مصطلح غريب، وتشر لغتها في أكثر من دولة، وتشجع كل من يخدم الفرنسية من الفرنسيين وغيرهم. ختاماً اللغة وعاء وفكر وليس مفردات وجمل فقط، وهي بأهلها، تنهض معهم إذا نهضوا، وتموت معهم إذا ماتوا، وهناك

ملايين من المسلمين يعشقون لغتنا ويتمنون تعلمها والتحدث بها، وكثير منهم يعتقد أنها لغة أهل الجنة، فهل نحن على استعداد للإفادة من ذلك مثلاً؟

الموقف من الغرب وثقافته

في حياتنا الثقافية معارك صاخبة وصامتة، كل يفني على «لبلاء» عندنا من يحارب من أجل التراث، ومن يطالب بحرقه، فهو في نظره سبب البلاء، فينا من يعشق كل شيء قادم من الغرب، ومن يرفض كل شيء، فما الموقف الممكن والمعقول من الغرب وثقافته، وكل ما يعطرننا به؟

د. حسن حنفي يجيب بصراحة: (١)

١- مظاهر التغريب في حياتنا الثقافية، وأساليب حياتنا، كل ذلك مما يسبب أزمة هوية أصالة.

٢- الاستعمار الثقافي وسطوته واستمراره، من خلال سيطرة الغرب على أجهزة الإعلام والترويج لأسطورة «الثقافة العالمية» وسقوط العديد من المثقفين ضحية ذلك.

٣- رد فعل الحركة الإسلامية العنيف. وعن حق. ضد التغريب حتى عادت بعض احتياجاتنا، وخرجت على سنة القدماء، في أخذ الحق من حيث أتى (يؤيد بقوة دهشام شرابي، مع علمانيته القوية).

٤- بداية النهضة الإسلامية الجديدة، وإقالة الإصلاح من كبوته، مما يعطي تساؤلاً بإمكانية «الاستقلال الحضاري».

(١) المرجع السابق، ويمكن القول بأن كثيرين لديهم هذه القناعة أمثال: د. برهان غليون ود. رفيق حبيب وأمثالهم، ص (٢٩).

٥- كشف أزمة الغرب، وكونه ليس «الحضارة» التي لا تقهر، وضياع الرهبة منه، والتمرد من عقدة الخوف، ويكونه ليس «الأستاذ» الأبوي... أهـ.

لعل من حسن حظ البشرية أن الكل ذاهب إلا وجه الله، وأن الأيام دُول، يوم لك ويوم عليك، وصدق الله ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فلا يبقى الفني على غناه، ولا الفقير على فقره أبداً، ولا المتقدم في صدارته وقيادته، ولا المتخلف على تخلفه، فكل من يستحق التقدم ويعمل له بجهد ونشاط يتقدم، وكل من يتكاسل وينعس وينام يتأخر ويتخلف، هذه سنة من سنن الكون، وهكذا جرى تداول الحضارات، شبيهاً بعضهم بجهاز (الناعورة)، في كل دورة يرتفع «دلو» كان في الأسفل لينزل «دلو» كان في الأعلى، القضية وفقاً للمعدل الإلهي المطلق، كل مستحق يأخذ دوره، ولكل متكاسل عقوبته، ويوهم نفسه من يعتقد أنه من شعب الله «المختار»، قاله ينظر للبشر نظرة عدالة ومساواة، فمن استحق الصعود بجداره يصعد، ومن استحق الهبوط بجداره يهبط، ولا مانع يمنع من هبط أن يصعد ثانية، ومن صعد أن يهبط ثانية، وكل شعب وأمة واثته الفرصة تقدم، والعكس كذلك، أما النظرة المنصرية التي ترى أن التقدم من نصيب شعوب بعينها فكذبة كبيرة، وضحك على النفس والغير، وهكذا شهدت الأرض حضارات، عد المؤرخ البريطاني - الدارس لها. (٢٦) حضارة، كان آخرها حضارة اليوم، التي بدأت تشيخ، وتضربها أنواع من الأمراض المخيفة القاتلة لعل على رأسها زيادة «جرعة» القوة، وضمور أو ندره «العدالة» وتسلم قيادة العالم بأيدي ناس يضرهم الفساد من كل ناحية، ومعلوم أن الإنسان هو المنشئ والقيم للحضارة، بمافيته تنعافى الحضارة وتتقدم، وبمرضه وشيخوخته تمرض وتشيخ، والله تعالى لا يحابي أحداً، ولا يجامل أحداً، وهو القائل: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَدُوا هِيَ مَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء: ١٦).

من سنة الله تعالى أنه لا يأمر إلا بالعدل، ولا يأمر إلا بالخير، ولن يهلك مدينة ولا دولة ولا حضارة إلا بما فعلت وكسبت، وصدق الله: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ» (هود: ١١٧).

وقد سبق هذه الآية قوله تعالى: «هَلْؤَلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ» (هود: ١١٦).

فمما تشكو منه حضارة اليوم: «ترف قاتل، وفقدان لموازيين العدل، واستعمال ظالم للقوة، وكل علة من هذه العلة حطمت حضارة أو حضارات، فهل يفطن إنسان اليوم لهذه الأمراض فيعالجها، أم يقول: (أنا قوي ولن أسقط، وحضارتي قوية ولن تسقط)؟

معارك الغرب ليست معاركنا

تقدم أن الغرب أو ثقافته قامت . كما تقول سغريد . على نوع من الثنائية الله والإنسان، الأرض والسماء، الخير والشر، الروحي والبدني، الدين والدولة، العقل والنقل،..... هذه الثنائية ليست من ثقافتنا، ثقافتنا تقوم على التوحيد، مصدرها الله. والإنسان هو الخليفة في الأرض ومسؤول عن عمارتها وعن عبادة الله تعالى كما أمر: لذا فدخلنا في معارك «ثنائية» لا مصلحة لنا فيها ولا موجب، ولكن لأن (التابع تابع ولا يضرده في الحكم) فقد رحنا نهرف بما نعرف وبما لا نعرف، تركنا قضايانا وشغلنا أنفسنا بقضايا غيرنا، ويلاحظ أنه ما إن تطرح قضية في الغرب ولو كانت «عبادة الشيطان» حتى نجد «الصدى» عندنا، في الأفكار وفي القيم وفي السلوك وفي السياسة وفي الاقتصاد وفي الاجتماع، لبسوا البراذع من الجنز فلبسناها، لبسوا الكعب العالي فلبسناه، قصروا الملابس فقصرنا، وضعوا سلاسل الذهب في الرقبة للرجال، فوضعناها، أكلوا فأكلنا ولبسوا فلبسنا، شربوا فشربنا، رقصوا فرقصنا، فهل نحن قروء مقلدة؟

وبعد هذا وقبله وفوقه: أين النتائج العظيمة لهذا «الركض» أفتونا ماجورين.
 د. حسن حنفي وهشام جميط وأمثالهم يشكون إلى الله هذا «الركض» حتى حفيت
 منا الأقدام وأدميت، وتبين أنه «سراب بقيعة» حسن الحنفي يشكو هذا الركض
 الأسطوري فيقول^(١): الغريب أن يدخل باحثونا ومفكروننا وطلابنا في هذه المعارك،
 وهم ليسوا أطرافاً فيها، إنهم يغلبون رأياً على آخر، يناضلون بين جزء وجزء،
 يفضلون طرفاً على آخر، ينسون حضارتهم وعقليتهم «التوحيدية» وهم في خضم
 تقليد للحضارة الغربية هم أسرى عقليتها؛ لذا أثرت على أنماط تفكيرنا، وعلى كل
 عقلية ناهضة، وجملتها تنقل أنصاف الحقائق، على أنها «كل الحقائق» فتحزبت،
 حيث لا أحزاب، وانتصرت لمحارب، وهي في موقع المتفرج... أم.

بالمناسبة فقد قرأت للدكتور رجا جاردوي - وهو سكرتير الحزب الشيوعي في
 يوم من الأيام - بأنه لم يجد من الشيوعيين العرب من يفهم الشيوعية، وأزيد كيف
 يفهم عشر منقف العلمانية أو الليبرالية أو الحداثة وما بعدها؟

هل وصلنا الشك الغربي؟

في ثلاث زيارات لشرق وغرب وجنوب القارة الإفريقية وصلت إلى قناعة كبيرة
 أن أمراض الحضارة الغربية ضريت وفتكت بالإنسان الإفريقي قبل أن تصله
 منجزات تلك الحضارة.

وبالنسبة لنا قد تكون وصلتنا الحضارة محملة «بشكوك» لها أول، ولكن ليس
 لها آخر، فأثرت علينا تأثيراً سلبياً كبيراً.

قدمت ما قاله عالم الاجتماع الأمريكي فرانك فريدي من فقدان الغرب للثقة
 بقيمه وبكل مؤسساته، وهو يستغرب - أي الغرب - كل الاستغراب لأن الجاليات
 المسلمة لديه ما تزال متمسكة بدينها وقيمتها، وواثقة منها.

(١) المرجع السابق، ص (٦٦١).

الفرب يصدر لنا بضائمه وكذلك أفكاره، بل قد يمنع عنا بعض بضائمه مثل المعدات العسكرية، لكنه يفضل تصدير الأفكار مثل: العلمانية والحدائثة وحرية المرأة، والشذوذ الجنسي.... هذا غير المشروبات الروحية وحتى المخدرات، ولما كان الأمر كذلك، فعلينا الاهتمام بالفرب وما يجري فيه، ومعرفة ذلك بدقة.

د. حسن حنفي مهتم بالأمر جداً؛ لذا نراه يقول^(١): لا يوجد شيء . في الفرب . إلا يمكن الشك فيه، إذ لم يعد هناك يقين، ولا يوجد بناء لا يمكن هدمه، ولم يعد هناك شيء ثابت، من هنا اتسم الوعي الغربي، بالحيرة وعدم الاستقرار، والبحث الدائم عن شيء يمكن التأكد من وجوده، أو حتى إمكانية إدراكه، بالرغم من المناهج «الحدسية، ووسائل التحقيق المنطقي والعلمي».

إن الوعي الغربي يتجه إلى بؤرة لا يمكن تشبيتها؛ لذا أصيب بالحيرة الدائمة، صار قلقاً لا يستقر له حال، على منهج أو موضوع أو نتيجة أو غاية، مرة يحاول بالعقل، وأخرى بالحدس، وثالثة بالوجدان، ومع ذلك، فإنه لا يدرك إلا أجزاء... تتكافأ عنده الأدلة، فيعمود من حيث بدأ... صارت العقلية مكتسبة، لكنها فقدت فطرتها ونورها الطبيعي، خسرت نفسها، وإن توهمت أنها كسبت العالم... هذا الطلق المستمر يدفع نحو الكشف عن مذهب جديد يشبع رغبة آنية، ثم يتم تطويره لينشئ مذهباً جديداً وهكذا، فكل يوم يحمل جديداً ليصبح بالياً... أهـ.

والسؤال: إلى أين، وهل هناك «بوصلة» أم إبحار دون بوصلة؟

وسؤال آخر: هل كتب على البشرية أن يقودها من لا يحسن أن يقود عائلته؟

كنت أسكن في الرياض، وعلى بعد أمتار تسكن عائلة، زوج وزوجته، لم ينجبوا، والخلافات بينهم مستمرة، والأصوات مرتفعة، والزوجة مسؤولة عن برنامج عنوانه (البيت السعيد) !!، فأبشروا أيها الناس، ببيت سعيد!!

(١) المرجع السابق، ص (٦٦).

حرب بلا نهاية

(حرب بلا نهاية) كتاب لمؤلف فرنسي اسمه «ترونتير تاريس» صدر في باريس عام (٢٠٠٤م) وقام بالتعريف به الكاتب اللبناني جورج طرابيشي، الكاتب يدرس الحالة المتوترة في العالم فيعتبرها من حرب الأصوليات، وألخص ما ورد في الكتاب كما يراه جورج طرابيشي^(١):

١- إن أمريكا -المتحالفة مع إسرائيل حلفاً لا فكاك له- مُستَقرّةٌ من قبل القوى الأشد تطرفاً دينياً.

٢- هذه القوى الدينية تنظر إلى تدمير «الأبراج الأمريكية» على أنها مضاهاة لتدمير الهيكل في القدس.

٣- إن ابن لادن يضاهاى بمختصر الذي ساق السبي اليهودي إلى بابل.

٤- أما سقوط بغداد فهو الأشبه بسقوط بابل.

٥- روبرت (حواري) من جماعة الدفاع عن الإيمان لشن حرب «صليبية» جديدة، وإلى تدمير المدن الإسلامية المقدسة، وأولها مكة.

٦- الواعظ التلفزيوني (غراهام) يعتبر الإسلام أخبث الديانات.

٧- القس (جيرى) يصف نبينا عليه السلام بأنه إرهابي.

٨- (سوغارت) يصفه بالفسق الجنسي.

٩- روبرت تسون يقول: المسلمون أشر من النازيين.

١٠- يعتبر المؤلف «الصدام» الحاصل بأنه صدام أصوليات... أه.

(١) صحيفة الحياة ١١/٥/٢٠٠٤ م.

إن الهيكل دمر أكثر من مرة، فأيهما المقصود؟

تشبيه ابن لادن ببختنصر يحتاج لبعض الشرح في البيان، فالتوراة تسميه أولاً باسم بنوخذ راصر ملك بابل (أسفار النبي إرميا ١: ٢١).

وفي الإصحاح (٢٢) للنبي إرميا يخبر ملك يهوذا بأن الله سيسلمه ليد بنوخذ راصر ملك بابل وليد الكلدانيين (إرميا ١٦: ٢٢).

وفي الإصحاح (٢٥: ٩) يذكر النبي إرميا أن رب الجنود يقول لأنكم لم تسمعوا لكلامي أرسل فأخذ كل عشائر الشمال إلى نبوخذ راصر عبدي ملك بابل.

في الإصحاح (٢٧: ٦-٩) لإرميا يقول الرب بأنه دفع كل هذه الأراضي ليد بنوخذ راصر ملك بابل وأعطيته أيضاً حيوان الحقل ليعلمه.

وكل الأمة أو المملكة التي لا تمد نبوخذ راصر ملك بابل والتي لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل إنني أعاقب تلك الأمة بالسيف والجوع والوباء، يقول الرب حتى أهنيها بيده)... أه.

ويتكرر هذا حرفياً في آخر الإصحاح مع المطالبة بخدمة ملك بابل..

وفي الإصحاح (٧: ٢٩) (اطلبوا سلام المدينة التي سببتكم إليها وصلوا لأجلها إلى الرب، لأنه بسلامها يكون لكم سلام).

فإذا كان القسس والوعاظ لا يقرؤون التوراة ولا يعرفون ما جاء فيها فماذا يعرفون؟

وأما الحديث عن حرب «صليبية جديدة» فهي من أحلام القلط التي تدور دوماً وأبداً حول الفيران لا أكثر. إسرائيل تريد الحرب على شرط أن يكون وقودها الجندي الأمريكي، فماذا ستخسر إسرائيل؟ إن لسان حالها يقول: القاتل والمقتول،

من الأمريكان والمسلمين إلى جهنم وبئس المصير، وإذا كان نبينا عليه السلام إرهابي فماذا سيكون حال أنبياء بني إسرائيل؟ وأولهم «يشوع بن نون»؟

وأخيراً فالكلام صفة صاحبه، وإلصاق التهم بغير اليهود سهل، ولكن هل من شجاع يقول كلمة هي إسرائيل وما تفعل؟

الجنرال زيني وشجاعة كبيرة

العسكر جنود يحسمون تنفيذ أوامر الساسة، الشجاع منهم قد يناقش ثم ينفذ، لكن الجنرال زيني بعد أن تقاعد، طفح عنده الكيل فقال موشحاً عذباً جميلاً، وصف فيه الساسة بالفشل وطلبهم بالاستقالة، وتوجه لخدم إسرائيل فسامهم فرداً فرداً، دون خوف ولسان حاله يقول (وكل الذي فوق التراب تراب).

الجنرال «انتوني زيني» ليس عسكرياً من صنف «أمركم سيدي» فهو قائد ورئيس للقيادة الأمريكية، وحديثه ليس للتهريج، وهو من القلائل الذين يسمون الأشياء بأسمائها، دون لبس، فالمسؤولون عن الحرب في العراق فشلوا وعليهم جميعاً الاستقالة، والحرب وما أدراك ما الحرب شنت في العراق من أجل إسرائيل، ويدفع وتحريض من مسؤولين يهود يسميهم واحداً واحداً دون أن يخاف... الحديث الشجاع سجله لشبكة «S.B.C»^(١) ولعل أروع ما ذكره أن أمريكا تمد بتغيير (ديمقراطي إيجابي) لكن الذي حصل غير ذلك تماماً، «غزاة صليبيون جدد، وقوة احتلال جديدة» وهو يحمل كبار المسؤولين في «البنتاغون» وخصوصاً اليهود، وعلى رأسهم نائب وزير الدفاع «بول ولوفيتير» ومساعدته ومع هؤلاء «المحافظون الجدد» ثم يعلق: إن الشخصيات المتقدمة ترى في غزو العراق وسيلة استقرار لمنطقة الشرق

(١) صحيفة الحياة، ٢٥/٥/٢٠٠٤م. الصفحة الرابعة.

الأوسط، ولمساعدة إسرائيل... لقد شجعوا وساعدوا على تلك الأمور، حتى زوروا معلومات استخباراتيته، تخدم أهدافهم ومصالحهم، لكل ذلك فعليهم جميعاً أن يتحملوا المسؤولية، فقد روجوا الفساد والأكاذيب... أهـ.

شكراً يا زيني، لهذه الصراحة والشجاعة، في زمن يمتحن الكبار الكذب والنفاق، وأذكر بأن جامعة اكسفورد تبنت بحثاً أكاديمياً بكل هذه الأمور ثم عادت لتسحب أسمها؛ لأنه جرى تحميل اليهود كل ذلك كما نشرت (هآرس) أسماء اليهود وعددهم (٢٥) في التحريض والدفع باتجاه إشعال الحرب، ولو تمكنت إسرائيل وخدمها في أمريكا لدفعوا بالولايات المتحدة إلى خوض حروب في كل العالم، وضد كل الشعوب لتقول إسرائيل للأمريكان (العالم كله يماذيكم إلا نحن) فهل يوجد شجيمان مثل (زيني) يقولون لإسرائيل: (إن سبب عداة العالم كله لنا يعود لانحياز سياستنا كلياً لكم؟).

باتريك سيل، للأمريكان والبريطانيين اتركوا العراق

من المعروف عن الصحفي البريطاني «باتريك سيل» شجاعته الفذة، فهو لا يوافق لأحد ولا يخاف أحداً، وما عنده كبير حتى البعير.

كتب يقول^(٨٧): الحقيقة إن أمريكا وبريطانيا أقدمتا في لحظة غرور جنوني على اجتياح وحشي استعماري احتلالي للعراق، ما لبث أن وُدد . كما كان متوقفاً وحتمياً. حركة مقاومة وطنية، وعليه فكلمنا سارعت «القوات الغازية» بالعودة لبلادها، كان ذلك أفضل للطرفين: للمحتلين وللمراهقين على حد سواء... أهـ.

هذا ما يكتبه صحفي بريطاني شجاع... أما من جاؤوا على دبابات أمريكية واستلموا وزارات، وأطلقوا أيديهم في النهب، فما زالوا يسبحون لمن حررهم، فلولا

(٨٧) صحيفة الحياة، ٢٨/٥/٢٠٠٥م.

هذا (المحرر) لما تواتر دون أن تبيحهم عين، ولا عمرت بحساباتهم بنوك في الشرق أو الغرب، ولا شروا عمائر بالملايين في الخليج: لذا فهم غير مستعدين للتكر (الأولياء النعمة) مؤقناً !!

هاربون صفار ولكن

في البشر الجميل والصبیح، الطویل والقصیر، وفي العالم دول كبيرة یزید عدد نفوسها على مليار وثلاث، ودول عدد نفوسها ربع مليون، وما بین ذلك، الإنسان القصیر هل ینفعه أن یقف على أطراف أصابعه؟ والدولة القلیلة العدد والإمكانات هل ینفعها أن تتحدث كإمبراطورية كبيرة؟

بعض الدول الصغیرة اكتشفت أمراً جدیداً: أن تتحزم بأمریکا، وتسارع لتنفید كل ما یریده، بل صارت تقرأ «الكف الأمريكي» لتقرأ المستقبل.

الكاتب الصحفی «عبدالوهاب بدرخان» استفرزته بعض هذه الدول الصغیرة التي لا ترى على خارطة العالم فكتب تعليقاً على «قمة الدول العربیة بتونس» وكان العنوان معبراً^(١) (صفار یزعجون الكبار ویسابقونهم في مآزق النظام العربی) صفار یرتقون بأمریکا ویعملون تحت شعار (متی رضیت عليك أمریکا فافعل ما تشاء) وأزید من عندي (فكل الذي فوق التراب تراب).

یرتعرض «بدرخان» حال العالم بعد (١١) سبتمبر، فقد صار هذا التاريخ معلماً في الحاضر العربی، واستخدم لضرب الكبار ومضایقتهم داخلياً وخارجياً. استخدم الحادث لضرب قضية فلسطين، ولإسقاط النموذج العراقي، انتمش الصفار وصاروا قادرین على الاستقواء، وعلى نقل الإملاءات الأمريكية وغيرها، وصاروا كمن یعطي دروساً، وما على البعض أن یفعله. صار الصفار على أتم استعداد

(١) صحیفة الحياة، ٦/٦/٢٠٠٤م.

للإصلاح على الطريقة الأمريكية. حققوا إنجازات فاستحصلوا شهادات «حسن السلوك» الأمريكية، مع أن شيئاً لم يتغير، لا في السلوك ولا في المجتمع، ولا في الحريات، ولا في حقوق الإنسان، ولا في الاحتكام للقانون، في غفلة من الزمن صارت كلمة (الصفار) مسموعة، لسبب واحد وحيد، إنها «أمريكية» وكفى، وأحياناً قد تسبق التفكير الأمريكي، صاروا يتبرعون بما لم تطلبه أمريكا، كما صاروا يدعون إلى مؤتمرات الكبار، كممثلين للعالم العربي، وغداً سيكونون «العجلات» التي توضع عليها عربة (الشرق الأوسط الكبير) مع كون «الجماعة» هاريون لتوهم من «الشرق الأوسط الصغير» ومن متاعبه ومشاكله... أهـ.

هناك أسطورة تقول: كان حداد يركب أحذية لبعض الخيل فتقدمت «خفصة» حقيقية وليست من خفافس البشر ولا من متخفصته، سألتها الحداد: يا أخت ما طلبك؟ قالت بتواضع جم، وقليل من الخجل: من فضلك ركب حذاء حديد مثل حذاء الخيل!!

الإنسان يمكن أن يصاب بإنفلونزا الطيور أو حمى البقر أو جنون العظمة، وكل هذا مما يؤدي ولكن يحترم، لكن أن يتحول حاكم أو دويلة بزاوية قدرها (١٨٠) درجة فهذا أمر يصعب تصوره، كما يصعب قبوله.

ياهو: إن لم تحترموا أنفسكم وشعبكم، فخافوا من العالم الذي يصفكم بالمنافقين الجدد أسوة «بالمحافظين الجدد».

يا خدم أمريكا «الجدد» ماذا أنتم صانعون إذا تخلت عنكم «أمكم» أمريكا، وبقيتم بلا سند ولا ملابس تغطي «العورة»؟

هل ستبحثون عن أمريكا جديدة؟

جار ومجرور

في النحو المرابي جار ومجرور، حرف جر مثل (من، إلى، على، في...) فإذا تسلط حرف الجر على ما بعده (جره)، وفي السياسة اليوم جار ومجرور، بالأمس حيث يذهب الاستعمار البريطاني يجر معه «وفي ذيله» الهندي، مات الاستعمار القديم، وقيل لم يمّت ولكن خرج من الباب فعدّاد من الشبابك... السيد المستعمر عاد تحت عنوان «خبير» أو ممثل لهيئة دولية، أو مدير شركة في العلن وفي السر (دبوس)، أما الجديد - يا ويلنا من الجديد - فحيثما حلت أمريكا كان خلفها الإسرائيلي، أمريكا تقاتل وتحارب فإذا انتهى كل شيء، جاء الإسرائيلي فقال: أين حقي؟

ونظراً للحصانة المطلقة للإسرائيلي لذا يتحرك دون خوف ولا وجل. يجد الأبواب أمامه كلها مفتوحة، وأحياناً مخلوطة، وإذا أعيته الحيلة دخل وتسلل من الشبابك، فإذا ضبط متلبساً بجرم وضع على طائرة تحمله إلى قبرص أو إسرائيل ليعود بعد أيام بجواز سفر جديد - طبعاً غير إسرائيلي - واسم جديد وهو مطمئن أن لا حساب ولا عقاب ولا غضب.

صحفي أمريكي شجاع لا يخاف ولا يهاب هو «هيرش» يتابع الإسرائيليين ويحاول أن يكشف ما يعملون.

يكرر «هيرش» أن الإسرائيليين موجودين في العراق وبكثرة^(١)، وذات مرة أعلنت وزارة الداخلية العراقية أنهم طردوا إسرائيلياً؛ لأنه دخل العراق بشكل غير نظامي، المعلومات صارت تشير بأصابع الإتهام إلى إسرائيل في اغتيال علماء في

(١) صحيفة الحياة، ٤/٧/٢٠٠٤م.

العراق ليسوا من الإرهابيين ولا من السياسيين، وبالمناسبة فهناك قتل منظم لكبار ضباط الجيش العراقي ممن حاربوا في إيران، وأهلنا يعتقدون أن الموساد لديها قوائم لتصفياتهم وللمخابرات الإيرانية قوائم مماثلة، مما جعل بعض الضباط يهرب خارج العراق ويطلب اللجوء، بينما يلتزم آخرون بيوتهم لا يفادرونها؛ لأنه لا أحد يحميمهم أو يسأل عنهم أو يدافع عنهم!!

(هيرش) يقول المرة بعد المرة بوجود إسرائيلي في العراق شماليه ووسطه وجنوبه، الجديد في الأمر أن إسرائيل تطالب - على لسان وزير خارجيتها - بإقامة علاقات دبلوماسية مع العراق، وكأن العراق أنهى كل مشكلاته ولم يبق سوى إسرائيل، وزير خارجيتها - وهو مطمئن على سلامة «رجاله» في العراق - يعلن أنهم يوجدون في الشمال وغيره لغرض الأعمال التجارية، وهل توجد دولة تعترف بوجود مخابرات لها في دولة أخرى؟ هل تعترف أمريكا مثلاً بوجود مخابرات لها وهرق خاصة للقتل والاغتيال في العراق؟ هل تعترف إيران مثلاً بأنها تملأ العراق برجال مخابراتها أم هم مجرد تجار وزوار ولا شيء فوق ذلك؟

ضابطة أمريكية مسؤولة عن سجن أبي غريب «الذائع الصيت» تقول: لقد رأيت في التحقيق أشخاصاً اعترفوا بأنهم من إسرائيل، وقد كانت تعتقد أنهم من العرب.

فهل كانوا يتاجرون وبماذا؟

والسؤال: هذا (الجار والمجور) هل له نهاية؟ وهل نتصور بقرة من غير ذيل، وأختم بخبر نشرته صحيفته (معاريف)^(١) الإسرائيلية، يقول الخبر: إن محتجزاً إسرائيلياً اسمه «جورج بن باشي» عمره (٣٦) سنة من أصل مغربي أمضى أربعة أشهر في العراق في معتقل أبي غريب، عندما كان يتسلل من الأردن إلى العراق،

(١) صحيفة الحياة، ٩/٢٢/٢٠٠٤م.

وقد صرح وزير حقوق الإنسان (الكردي) بأن (جورج) أطلق سراحه، لأنه لم توجد أدلة على ارتكابه أعمالاً خاطئة.

وتشير (معاريف) إلى أن (جورج) من رجال الموساد، ولكن الحكومة لا تعرف ذلك.

وبالمناسبة فهناك عرب يمتقلون في شمال العراق ولسوء حظهم فإنهم لا علاقة لهم بالموساد كي يطلقوا، ويطلقون بدفع «فدية» كبيرة ولمجزهم فما زالوا منذ سنوات رهن الاعتقال وإلى الله المشتكى.

الإرهاب واتحاد البريريات

الإرهاب وما أدراك ما الإرهاب، تحول جديد مثل الفساد، تعرفه بآثاره وما يفرزه، ومع ذلك فهو أشبه بسراب.

الغريب في الأمر أن الكل يهاجم الإرهاب والفساد والفسادية والاعتداء على الإنسان وحقوقه، الكل يستنكر ذلك، فمن يتعاطاه؟

والسؤال الثاني: لماذا يستشري الإرهاب على مختلف مستوياته، الفردي والجماعي وإرهاب (الدولة) والإرهاب الثقافي؟

ألا يصح القول بأن من منظمات الإرهاب فقدان العدالة، وتقول الدولة على مواطنيها، والدول الكبيرة القوية على الدول الصغيرة والضعيفة؟

الكاتب الأمريكي الجاد «إيمانويل تود» يتحدث عن الإرهاب، وعن حملة بلاده على الإرهاب فيقول^(١): مفهوم الإرهاب العالمي، الذي يسمح لأمريكا بأن تطرح نفسها كقائد لحملة صليبية عالمية، وأن تتدخل في أي مكان بصورة منتظمة

(١) ما بعد الديمقراطية. ترجمة محمد زكريا إسماعيل. الطبعة الأولى. ص (٦٧).

وسطحية، كما في الفلبين واليمن، وبناء قواعد في أوزبكستان وأفغانستان، وترسيخ حضور عسكري على حدود الشيشان، وكل هذا ليس له مبرر علمي أو تاريخي في دراسة حقيقة العالم الراهن.

إن مفهوم الإرهاب العالمي غير معقول، بل هو ضرب من العبث، من وجهة نظر العالم الإسلامي الذي سوف يخرج من أزمة انتقاله، دون تدخل خارجي، عن طريق عملية تهذبة تلقائية، وهي الواقع فالإرهاب كمفهوم لا يفيد سوى أمريكا، إذا كانت بحاجة إلى عالم يشتمل في حالة من الحرب الدائمة. إذ إن الحديث عن الإرهاب يراد منه أمور منها تخويف الشعب، وإسكات من يعارض، فإن لم يسكت فيمكن وصفه بأنه راضٍ عن الإرهاب؛ لذا فالكل اليوم يتبرأ من الإرهاب وأهله... لكن الإرهاب أنواع: إرهاب يقوم به فرد ضد آخر، أو مجموعة صغيرة أو كبيرة ضد مثلها، ولكن الأذى والأخطر والأضر أن تستغله قوة كبرى ودولة قوية، فتشن باسمه واسم محاربهه أفتك أنواع الإرهاب، هنا تكون الطامة، كذلك تشن اليوم حملات للإرهاب الفكري هدفها لجم المعارضين وتخويفهم، وإرهاب اقتصادي وسياسي وهكذا... الكاتب (ايمانويل تود) تحدث عن نوع واحد من الإرهاب نوع (لا يفيد سوى أمريكا) تستعمله «فزاعه» تخيف به من تشاء، وتستعمله ضد من تشاء، وإلا فمن يصدق أن بلداً مثل العراق المحاصر المحطم يشكل خطراً على أمريكا، أو أن بلداً أو حكومة بدائية مثل أفغانستان أو السودان يمكن أن تشكل خطراً على بلد مثل أمريكا؟

العالم والبربرية

أدغار موران فرنسي الجنسية من يهود الأندلس، ولد عام ١٩٢١م، هاجر أهله إلى تركيا، ومنها إلى فرنسا... ومع يهوديته، فهو متهم من أبناء دينه بأنه عنصري لا سامي، يمجّد الإرهاب لماذا؟ لأنه يعتبر إسرائيل ظالمة للفلسطينيين، وتلك جريمة

كبرى، ولو كان «موران» شاباً لاتهم بالإرهاب، لكن «السن» لطفُ التهمة من إرهابية
خطر إلى (ممجد للإرهاب) يا سلام !!

موران الشجاع يتحدث عن تحالف خطر بين (بربريتين)^(١) الأولى قديمة
والثانية حديثة جديدة... بربرية واحدة يمكن أن تشعل نار حرب كونية، فكيف الحال
حين تتعد «بربريتان» اللهم الطف بالعالم وجنبه الكوارث والفواجع.

يرى «موران» أن البربرية الأولى جلبت الحروب والتعصب والدمار والعبودية
والاستغلال، وأما البربرية الثانية . وهي الأكثر تجلداً . فقد انبثقت عن الحضارة
الصناعية، والتقنية الحديثة، التي تفرض المنطق الآلي متجاهلة أحاسيس البشر،
مستغلة في ذلك كل وسائل الدمار والتسلط.

وهكذا تنازعت عالمنا الحاضر «بربريتان» بعد اتحادهما منذ نهاية الحرب
الكونية الثانية... ومن بركات هذا «الاتحاد» توسع عمليات «الانتقام» على مستوى
دولي كبديل للعدالة، وتراجع الضمير «المدني» هي كل مكان، وسيادة العنف، حتى
صارت الجرائم «عالمية»، مما يدفع بالعالم أكثر فأكثر نحو الحروب والتدمير، مثلما
رأينا في حروب البوسنة والهرسك باسم القومية والدين، وما نحن نعيش من جديد
حرب «العراق» كحرب ضد الإرهاب، في حين أن الرئيس الأمريكي يخضع في
نظرته وتحليله لخطاب كنيسته المتعصبة... وهكذا يحصل عندما يخلط الناس بين
ما هو ديني، وما ليس بديني، وهنا يكمن التراجع... أهد.

فإذا أضيف لما تقدم من تصور لرئيس أكبر دولة بأن الله أمره بالحرب هنا،
والضرب هنا، واجتياح هذا البلد، وتحطيم هذا النظام، وتأييد ذلك، إنها أغرب
مهمة دينية يقوم بها حاكم «علماني» في العصر الحديث.

(١) من حوار لصحيفة الحياة في ١٩/٩/٢٠٠٤ (على الصفحة ١٥).

فإذا أضفنا لذلك «هلوسة» جديدة تشيع اليوم في أمريكا حول (الظهور المجيد للسيد المسيح) وقتل الملايين من البشر غير المسيحيين، هم وخيولهم بحيث يجري دفنهم بقبر جماعي بعد سقوط لحومهم وعيونهم، وكذلك الحال لخيولهم... هذه الهلوسة تنتشر اليوم في أمريكا، وقد كتب عنها «نيكولا كريستوفر» في صحيفة نيويورك تايمز، وهذه المسألة الدموية بيع منها أكثر من (٦٠) مليون نسخة.

الم يتحول السيد المسيح إلى جنرال من جنرالات الحرب، يقتل الملايين من غير المسيحيين وليدفنوا في قبر جماعي، ومصيرهم جهنم وبئس المصير، أليس من حق كل أحد أن يتساءل أين صارت مقولة السيد (من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر...) إنه «التجيش للحرب والقتال، وباسم السيد المسيح، يتاجر به رجال منفوطون وشركات لها طبيعة جهنم التي لا تشبع، فهل كتب على العالم أن يقوده «مهوسون»؟

المسافة بين الشعارات والواقع

يررد الإنكليز مقولة مفادها: إن وضع ألف نظرية أيسر كثيراً من تطبيق واحدة منها... وبالمثل فإن وضع ألف «شعار» عمل سهل، لكن تطبيق شعار واحد أصعب من ذلك.

يستوي في هذا مؤمن وكافر، متقدم ومتخلف، جائع ومتخم...

وقد ترجمت بعض الصحف العربية مقالة عن «الفارديان» الصحيفة البريطانية المعروفة، يتحدث كاتبها عن هذه الظاهرة المستشرية اليوم، والتي تتمو «سرطانياً» ولا سبيل لإيقافها. والتي نعاهها الله تعالى فقال^(١): «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ ❖ كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ» والإنسان قد يجد عذراً

(١) سورة الصف، الآية: ٢-٣.

للضعيف في هذا، لكن أي عذر للقوي، أن يتحدث بلسانه ثم يناقض ذلك بسلوكه وأفعاله؟

جاء في مقال الفاريان^(١) إن الولايات المتحدة دأبت على الادعاء بأنها دولة تحترم الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان، وتدافع عن هذه القيم، لكن العالم بأسره يعلم جيداً أن ذلك مجرد «شعارات فارغة»، لا تلتزم بها أمريكا على صعيد التعامل مع الآخرين، فما يحدث في السجون الأمريكية في العراق وأفغانستان وغوانتانامو من عمليات تعذيب للسجناء، يطرح جملة تساؤلات حول التزام الأمريكيان بما يدعون من شعارات، فأمريكا لا تؤمن بمعنى العدالة وغير قادرة على إيجادها في العالم؛ لأنها عاجزة عن توفيرها داخل المجتمع الأمريكي.

إن الرئيس بوش يتزعم في أخطائه الفادحة حرباً على الإرهاب في العالم . كما يدعي . لكنه في الواقع يقود حرباً «إرهابية» على آخرين. فالسياسة الأمريكية تتجاهل القوانين والأعراف الدولية، وكذلك حقوق الإنسان، والقيم الديمقراطية، وهي تعمل بسياسة إرهابية؛ لذا لا يحق للأمريكيين الذين يمارسون كل أنواع التعذيب التحدث عن حقوق الإنسان والعدالة، وهم يُزجون بعدد كبير في هذه السجون، ودون محاكمة... أهـ.

من المعروف أن جل دول العالم الثالث تفتقد العدالة، ولا تحترم آدمية الإنسان؛ لذا فهي تخترع التهم وتعذب الأفراد حتى يعترفوا بجرائم لم يفعلوها ثم تحكم عليهم، هذا صار من المسلّمات، ولكن أن تفعل ذلك دولة كالولايات المتحدة، تمتثل وتعذب تملأ الأرض بسجون سرية وعلنية فهذا هو الجديد المستنكر، ففائد الشيء لا يعطيه، ومن يحارب الإرهاب ليس من حقه نشره.

(١) صحيفة الوطن السعودية، ١١/١٢/١٤٢٥هـ.

آلهة الكره والمحبة

يؤمن اليونانيون القدماء بتعدد الآلهة حتى بلغت (٣٦) ألفاً - كما يذكر ذلك «مونتني» (١٥٣٣-١٥٩٠) كل إله يختص بشأن من شؤون الإنسان، إله للحب وآخر للحصاد وثالث للربيع وهكذا، الجديد أن بعض المهوسين في أمريكا راحوا يرسمون صورة جديدة للسيد المسيح المسالم المحب لعدوه، وكأنه جنرال متمطش لسفك الدماء، والدخول بمعارك بحيث يقتل المليارات من البشر، حتى تصل الدماء إلى رؤوس الخيل ولا يبقى في الأرض بشر إلا النصارى... وقد تقدم بعض هذه «الهلوسة» ورموزها، مهلوس من هؤلاء اسمه «ستيفن كوهين»^(١) خبير أو خبيث بشؤون الشرق الأوسط اكتشف شيئاً جديداً مدعياً بأن المسلمين يؤدون الصلاة لإله «الكرهية» وحده.

مهووسة اسمها «جانيت بارشال» تتحدث عن أن المسلمين يعبدون القمر، وأساتذة جامعات مثل «د. روبرت موري» يقولون ذلك في محاضراتهم هذا والقرآن يسجل حقيقة فيقول^(٢): «وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ»، وأختم بذكر هلوسة لم يسمع بها العالم قبل اليوم فإن «جونلويد ستيفنز» اكتشف أن كل مسلم مخلص لدينه يلزمه أن يتزوج (٣٦) امرأة عذراء.

وأريد أن أذكر - مجرد تذكير - أن التوراة سجلت أن النبي سليمان كان لديه (٣٠٠) امرأة حرة، ومعها (٧٠٠) أمة هما رأي المهوسين؟

والسؤال الأهم: هل يوجد أحد في الغرب يستطيع أن يقول عشر ما تقدم في اليهود كشعب وفي اليهودية كدين؟

(١) صناعة العداء، رجب البنا، طبعة أولى، ص (١١٢) .

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٧ .

لماذا كل هذه «الشجاعة» إذا كان الحديث عن الإسلام وأهله، وكيف تذوب هذه الشجاعة عند الحديث عن اليهود أو الديانة اليهودية؟

هل من مجيب؟!

لماذا التخوف من الإسلام، محاولة فهم

الأرض مملوءة بالمقائد والأديان، وبسبب من هذه العقائد وغيرها شهدت أوروبا حروباً لا نهاية لها، ثم أضيف لما تقدم المطامع التوسعية ومحاولة بناء إمبراطوريات جديدة، ومع كل ذلك يبقى «التخوف من الإسلام» لغزاً، فإذا أهدت أوروبا وقبلة الزواج المثلي والزنى بالمحارم وانتشار الإيدز، كل ذلك لا يخيف الغرب ولا يحركه، ولكن الخوف من الإسلام هو الهاجس الأكبر، هل ذلك لحيويته وقبول الناس له أم لأسباب أخرى معلومة أو مجهولة؟

الأستاذ (رجب البنا) في كتابه الجيد «صناعة العداء» يحاول أن يجيب قائلاً^(١):

- ١- رؤية «الثقافة الإسلامية» على أنها متعجزة وترفض التغيير.
- ٢- الثقافة الإسلامية تختلف اختلافاً كبيراً عن الثقافات الأخرى.
- ٣- اعتبار الإسلام مصدر تهديد دائم.
- ٤- أنصار الإسلام يستخدمون عقيدتهم استخداماً سياسياً.
- ٥- رفض انتقادات المسلمين الموجهة للغرب وثقافته رفضاً لا شعورياً.
- ٦- الخوف من الإسلام والعداء العنصري تجاه هجرة المسلمين للغرب.

(١) صناعة العداء، ص (١٢).

٧- اعتبار «الاسلاموفوبيا» - الخوف من الإسلام - أمراً طبيعياً، لكنه لا يمثل مشكلة.

يبقى السؤال: لماذا الخوف من الإسلام وحده، ولماذا كل هذا الهجوم عليه دون

سواه؟

وهل يجزأ أحد ان يقول كلمة في العنصرية اليهودية مثلاً؟

الأكونوميست: المسلمون طيبون

مجلة الاكونوميست المعروفة كتبت تقريراً مطولاً عن المسلمين في الغرب جاء فيه^(١): المسلمون في عمومهم صالحون ويتبعون القوانين، ويتمسكون بقيم الأسرة، ويتلقى ابناؤهم تعليماً دينياً يكتسبون ثقة بأنفسهم، تساعد على التقدم، لكن الإسلام وبسبب عدم وجود سلطه دينية، قابل لاعتناق التطرف، مثل كثير من الأديان... أهـ.

الدين نصوص والإنسان يفهمها بحسب ثقافته، وقد يكون فهمه سليماً أو غير سليم، ويلاحظ أنه إذا ما ارتكب نصراني أو يهودي جريمة لا يذكر دينه، فإن كان مسلماً ذكر الإسلام وجرى التشهير به، وهناك من «وكلاء الغرب» من يصب الزيت على النار. ويسر ويفرح لهذا التشنج!!

ممنوع التعاطف مع العرب

البروفيسور «جاك شاهين» أستاذ الاتصال الجماهيري بجامعة (الينوي الجنوبية) وباحث في مؤسسة «فولبرايت» وله أكثر من (٣٠٠) مؤلف، الأستاذ جاك أمريكي؛ ولذا فهو غير متهم، يبحث على مدى (٢٠) سنة الأسباب الكامنه خلف كره العرب في المجتمع الأمريكي، فوجد جملة أسباب عد منها الجهل والتعصب وأخيراً الخوف من إبداء أي تعاطف؛ لأنه سيفسر فوراً بـ «معاداة السامية» وإسرائيل، وأن

(١) المرجع السابق، ص (١٠٠).

صاحبه موالٍ للعرب، وهي تهمة كفيفة بتهديد حياة المتهم، مع شيوع أن الإسلام دين غير عقلائي، ومعادي للعلم والتقدم والتحضر، والسياسيون يفنون ذلك كله^(١).. اهـ.

هذه القصيدة المصماء في هجاء الإسلام والعرب، هل يجزأ أحد أن يقول مثلها في أحد غير العرب والإسلام؟

عمر الإسلام اليوم زاد على (١٤٠٠) عام، فكيف اكتشف الغرب عموماً والأمريكان خصوصاً هذا «المنجم» من الصفات القبيحة اليوم ولم يعرفوها من قبل؟

وأخيراً هل يمكن القول بأن الكلام صفة لقائله؟

عقلانية الإسلاميين

كتب «أوليفيه رواء» كتاباً جيداً عنوانه «تجربة الإسلام السياسي»^(٢) ذكر فيه حقائق كثيرة منها أن قيادة الحركات الإسلامية بأيدي قادة تعلموا خارج بلادهم، وتحديداً في الغرب، وهم لا يتقيدون بالمفردات التي يستعملها علماء الدين، وفي أدبياتهم كافة تشديد على عقلانية الأحكام الدينية، ويصفها بكونها عقلانية مناضلة ويقول: هي علامة على قيام الحداثة في صلب الخطاب الإسلامي، والذي يندفع في عقلانيته اندفاعاً بعيداً... اهـ.

وملاحظات «رواء» جديرة بالاعتناء، وهنا أذكر واقعة لعلامة الشام الشيخ حسن حنينكة الميداني، يقول: كان سائراً قريباً من جامعة دمشق حيث لفت نظره توجه الكثير مشياً باتجاه الجامعة، سأل عن السبب فقيل له: توجد محاضرة يلقيها شاب

(١) المرجع السابق، ص (١٢٥).

(٢) ترجمة نصير مروة، ونشرته دار السامي، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ص (٢٥).

اسمه (مصطفى السباعي) تحرك الشيخ بدافع المعرفة وجلس يستمع، ثم راح يقول لطلبته فيما بعد: هذا الشاب سيكون له مستقبل وهو يقول أشياء لا نحس مثلها.

مع هذه العقلانية فلدينا من أبنائنا من لا يعجبه العجب ولا الصيام في جمادى ورجب، فقد خلقهم الله تعالى ليكونوا (وكلاء) على الحداثة، والكثير منهم قد لا يكون قرأ عنها كتاباً، والويل لمن يمارضهم أو يخالفهم، فلديهم «كليشات» من مثل منفلت متشنج أصولي ظلامي، معادٍ للتحضر، ولا بأس من تكفيره وطنياً، ووجوب عزله وإقصائه، وإن تحننوا وتعطفوا عليه بوظيفة فليكن حفاراً للقبور مشتغلاً بدفن الموتى، فذلك كل ما يصلح له.

تقرأ صحفهم فتراها تمج بستم الأمة ووصفها بالجمود والجحود، وأما تاريخها فأسود قبيح، ولقتها لا تصلح إلا لكتابة «نتف» من الفقه، والخلاصة كل ما لدينا قديم متعفن، قد تجاوزه الزمن، أما العلم والمعرفة فهناك خلف البحر وما علينا إلا الإسراع بجلبها وكفى.

حداثة الإخوة والأبناء التي يصفها د. برهان غليون الأستاذ السوري الأصل الفرنسي الجنسية، الذي يعلّم في جامعة السوربون بكونها (حداثة رثة) مثل الثوب الذي تقادم عليه الزمن، وكثر استعماله حتى (رث وبلي) وإن هذه الحداثة تسد علينا الأبواب، في السياسة والاقتصاد والثقافة والعلوم والمعرفة والاجتماع والأخلاق، إذ تنتج قهراً وعنفاً واستبداداً، أكثر بكثير مما تنتج من حريات فكرية عملية، وهي تراكم الفقر والبطالة والبؤس أكثر مما تزيد من قدرة الأفراد على الاختيار في تحسين شروط حياتهم المادية والمعنوية، وهي تشجع عمليات غسل الدماغ وصب فكر الأفراد في قوالب جاهزة جامدة، أكثر مما تنمي العقل المفكر والمتأمل والمتسامح، وأخيراً فهي تعمم الإيديولوجيات والشعارات والأساطير الدعائية. أكثر مما تعمل في تكوين الأفراد وتأهيلهم أو صقل عقولهم وتزويدهم بالمعارف الحقيقية، وهي

تنتج الإمعية والتبعية والالتحاق والولاءات الزبونية والعصوية، أكثر مما تقود إلى انبثاق الذوات الحرة والمسؤولة والفاعلة والمشاركة في تقرير مصيرها، وهي تبني السلوك على معايير القوة والفطرسة والانفراد والازدواجية وانعدام المسؤولية أكثر مما تصنع من قواعد أخلاقية وفق أسس طوعية مدنية... أهـ.

قصيدة هجاء قوية من إنسان خاب أمله، وأحيط غاية الإحباط من حداثة «مدجنة»: فالطفل المدلل يريد كل ما تقع عليه عيونه، فإذا لم يحصل على ذلك بكى وملاً البيت صراخاً حتى يحصل على ما يريد... رجال الحدائة الرثة عندنا، خليط عجيب لا يجمعهم جامع، فيهم بعض من رموز العشائرية، والطائفية، أما نرجسياتهم فضوق الوصف، وتطلعاتهم فوق إمكاناتهم، ولا يحسنون إلا النواح ولطم الخدود وشق الجيوب، وكلما دخلوا «انتخابات» خرجوا منها بلا (فول ولا حمص) فيزيدهم ذلك غضباً، حتى صاروا غرباء في بلدهم وبين أهليهم، أجسادهم هنا وعقولهم وقلوبهم تطفوف حول أصنام بلندن وواشنطن، يتحدثون بلغة سمجة متعالية تتعالى منها رائحة «العفن» فيبتعد عنها الناس ويهربون... بعض الحكومات تدللهم خوفاً لكنهم اعتقدوا أن ذلك كان «عشقا» لهم ولخطابهم، فزادوا صراخاً ووسعوا اتهاماتهم فخسروا الكل ولم يربحوا شيئاً... حتى السادة وراء البحار تمبوا من صراخهم، وغسلوا الأيدي والأرجل من نفعهم، رموزهم شاخت وأصيبت بتصلب العقول والشرابين. خطابهم «اجترازي» ليس فيه جديد، كلما سألتهم ماذا قدمتم صرخوا: الغرب عمل كذا وأمريكا فعلت كذا، ورحم الله ذلك البغل الذي سئل: من أبوك؟ فعزت عليه نفسه، فقال: خالي الحصان!!

نصيحتي لأهلنا من جيل «الحدائة الرثة» بطلوا الصراخ، واتركوا الشتائم، واقتربوا من أهلهم أو فارقونا، فمسي أن تجدوا من يرحب بكم هناك.

لقد صرتم غرباء المنطق واللسان، وصارت حالتكم ميؤوس منها فلماذا المكابرة. هل تتصورون أن «الصراخ» سيحل لكم ما أنتم فيه؟ هل تتصورون أن «السادة» وراء البحار سيهبون لإنقاذكم؟ لقد صرتم عبثاً على من يدللكم من الحكام ومن غيرهم، والإنسان قد يخادع غيره، لكن أن يخادع نفسه، فهذا نوع من جنون العظمة، وجل رموزكم اليوم يشكون من هذا «الجنون» نرجو ونأمل أن لا تأخذكم العزة بالإثم فتركيبون رؤوسكم ويزداد صريخكم وصرير أسنانكم، وضرب الأقدام بالأرض والهتاف «نحن هنا» والويل لمن يتجاهلنا!!

أنتم اليوم كدواء انتهت منذ مدة صلاحيته، ولن يقبل عليه أحد بعد اليوم.

تقرير من هيئة الأمم عن العراق

اصدرت هيئة الأمم التقرير «الثالث» في شهر تشرين الأول عام (٢٠٠٤م) بعد تأخير طويل؛ لذا صدر في شهر نيسان عام (٢٠٠٥م) التقرير الذي يتحدث عن الأوضاع في العراق بشكل عام وحقوق الإنسان وما لحق بها وتطبيق اتفاقيات «جنيف».

١- القضية الأولى أن العراق خرج من تحت وطأة حكم مستبد، سبق له أن انتهك كافة حقوق الإنسان الأساسية والحريات. وبعد الاحتلال كان المتصور والمؤمل أن تنتهي هذه المعانات، لكن الذي حصل انتقال من سلطة مستبدة إلى سلطة احتلال أجنبي زاد من معاناة العراقيين، ففي ظل الاحتلال الجديد تدهور أمن المواطن العراقي، واستبيحت «حياته» مجدداً... الدراسة العلمية، تقدر أعداد الوفيات المرتبطة بالغزو والعنف المصاحب للاحتلال بـ (١٠) آلاف قتيل عراقي.

٢- بسبب فشل قوات الاحتلال في تنفيذ التزاماتها «كسلطة احتلال» وفق اتفاقيات (جنيف) لتوفير الأمن للمواطن. فقد شهد العراق انفلاتاً أمنياً غير مسبوق، وانتشر القتل والإرهاب في معظم أرجاء العراق، وطال القتل حتى المنظمات

الدولية والجمعيات الإنسانية، إضافة للمدنيين، وكان نصيب النساء الأكثر معاناة للخلط والاعتصام داخل السجون وخارجها، ومن جنود الاحتلال وغيرهم.

٢- لقد تعرض الألوف للاعتقال والتعذيب، وعومل المعتقلون معاملة غير إنسانية وغير أخلاقية في مثل سجن أبي غريب وغيره من سجون الاحتلال مما شكل انتهاكاً لاتفاقيات جنيف.

٤- من جهة أخرى لم تتجح «سلطة الاحتلال» في توفير الخدمات الأساسية، بل لم تصل بعضها إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال، مثل: الكهرباء والماء والهاتف.

٥- من جهة الإعمار فإن سلطات الاحتلال لم تتفق «على الإعمار» حتى نهاية تشرين الأول (٢٠٠٤م) سوى مليار وثلث من الدولارات، من أصل ١٨.٤ مليار سبق أن خصصت من قبل «الكونجرس» لذلك... أهـ.

وبما أن الجديد في الأمر أن الجيش المحتل راح يقتل الألوف، ويمعتقلهم دون تحقيق كما راح يضرب المدن بالطائرات، وإذا ما أطلقت نار على جندي من جنوده، فجيشه يفتح النار بكل الاتجاهات فيقتل كل موجود في المكان، وفي كثير من الأحيان قتل شرطة عراقية أو جنوداً عراقيين، ذنبهم أنهم وجدوا بالصدفة في المكان.

أما التعذيب فهو مستمر، وقد كشف أقله، وما زال الكثير يمارس وفي كل معتقل، سواء في معتقلات الحكومة العراقية أو معتقلات قوات الاحتلال... وهذه شهادة لممثل هيئة الأمم لحقوق الإنسان.

ممثل حقوق الإنسان: في العراق اعتقالات وتعذيب

«جيانى ماغازيني»^(١) رئيس مكتب حقوق الإنسان، التابع للأمم المتحدة في العراق... (جيانى) صرح إن القوات المتعددة الجنسيات كانت تحتجز (١٤.٢٢٢) معتقلاً

(١) صحيفة الحياة في ٢٤/٣/١٤٢٧هـ.

في نهاية شباط (٢٠٠٦م)، أما القوات العراقية فتمتقل حالياً أكثر من (١٥) ألف
وهؤلاء يحتجزهم مسؤولون آخرون - غير وزارة العدل - هما وزارتا الداخلية والدفاع.

ويقول جيباني: نحن قلقون جداً نظراً للانتهاكات المتواصلة والتعذيب والقتل
السريع، وهو ما يحدث يومياً في العراق.

إن المكتب لحقوق الإنسان يتلقى يومياً تقارير تؤكد حصول الكثير من الهجمات
لفرق «الموت والميليشيات» التي يرتدي أفرادها زي الشرطة. إن وضع حقوق الإنسان
في تدهور كبير منذ تفجيرات «ساموراء» في ٢٢/٢/٢٠٠٦م والتوتر المذهبي في
تزايد كذلك الهجمات الإنتقامية ضد «مساجد السنة» وشخصيات سنية في
العراق.. أهـ.

أحسب أن هذه الشهادة يصعب الطعن فيها، فما جواب من طالتم هذه
الشهادة؟

وما جواب وكلاء أمريكا؟

الانحياز الأمريكي والمصلحة

نسمع يومياً: لا توجد صداقات دائمة، ولا عداوات دائمة، بل توجد مصلحة
دائمة، لكن الواقع لا يصدق هذا، فأمریکا بانحيازها التام تتجاهل كل مصالحها،
بينما كانت حتى الأمس القريب تقول على لسان وكيل لوزارة الخارجية: ما النفع
والفائدة إذا كنا نخسر صداقة العرب والمسلمين، ونكسب صداقة إسرائيل فقط،
هذه ليست سياسة ولا مصلحة... قيل هذا بعد مبادرة «روجز» في السبعينيات، التي
قبلها عبدالناصر ورفضتها إسرائيل... الجديد في القضية أن «إيمانويل تود» يعيد
طرح القضية بكل تناقضاتها، ويحاول أن يفسر هذه العلاقة التي تشبه «العشق
الصوفي» غرام وهيام، ولو كانت النتائج «كارثة» والسؤال أين المصلحة؟

(تود) الشجاع يقرر^(١): إن الأمر غريب أن يرى الإنسان أهمية العلاقة مع إسرائيل إلى جانب «علاقة معادية شاملة لأمريكا مع العالم العربي» وبصورة أوسع مع العالم الإسلامي.

ويقرر «تود» أن من الصعب فهم «عقلانية» هذه العلاقة ومنفعتها، ويذكر أن أطروحة «التعاون الضروري بين الديمقراطيات» غير مقنعة، فالظلم الذي يرتكب ضد الفلسطينيين يومياً - من طرف الاحتلال الإسرائيلي - وعلى الأخص لما تبقى لهم من الأرض، هذا الظلم يحد ذاته يشكل «نفيًا» لمبدأ المساواة الذي هو أساس الديمقراطية، وعلى وجه الخصوص الديمقراطيات الأوروبية، التي لا تحمل إسرائيل التعاطف، كما تفعل أمريكا.

فهل تشكل «المنفعة العسكرية» التي يقدمها الجيش الإسرائيلي تفسيراً أكثر؟ بداية، فالقوات الأمريكية البرية البطيئة الحركة التي تتن من حمل الخسائر بالأرواح يستدعي بصورة متزايدة الاستخدام المنهجي للقوات الحليفة، أو حتى المرتزقة في العمليات على الأرض، ونتيجة الإرهاق الذي تجلبه الرغبة في السيطرة على (ربع النفط) فإن الحكام الأمريكيين لا يجروون على التخلي عن الدعم الإقليمي، الذي يقدمه الجيش الإسرائيلي، الذي يعتبر أقوى جيوش المنطقة... أهـ.

والسؤال: هل هذا يمكن أن يفسر الانحياز المطلق والأعمى، وتجاهل كل المصالح القريبة والبعيدة، وعدم الاهتمام بالموقف العربي والإسلامي؟

أحسب أن كل ما ذكر لا يبرر هذا الانحياز، الذي تجاوز كل ما سبق في السياسة الأمريكية حتى حق قول وكيل الوزارة الأمريكية (هذه إذن ليست سياسة ولا مصلحة)، نعم ليست سياسة ولا تحقق لأهلها المصلحة.

(١) ما بعد الإمبراطورية، ص (١٢٧).

إن «إيمانويل تود» يؤرقه هذا الانحياز الكلي؛ لذا فهو يطرحه أكثر من مرة، في محاولة للوصول إلى تفسير مقبول عقلاً، فما تفسيره الجديد؟

لماذا التركيز على العالم الإسلامي وضده

بالأمس القريب كان الاتحاد السوفيتي هو العدو اللدود، والشيطان الذي على أمريكا منازلته وإلحاق الهزيمة به، وفجأة أصيب العملاق «بجلطة» في الرأس والقلب، ومات بالسكتة القلبية.

وتوجب على صناع السياسة البحث عن عدو «يشكل» فزاعة لتخويف الشعب الأمريكي، وكي «يروض» على قول «نعم».

«تود»^(١) يقرر أن القسم الأعظم من النشاط العسكري الأمريكي سيتركز مستقبلاً على «العالم الإسلامي»، وليكن تحت شعار «الحرب على الإرهاب»، وهو الشكل الرسمي الجديد للعسكرية في المسرحية الصغيرة، وخلف هذا التوجه تقوم أو تقف ثلاثة عوامل، يمكن أن يفسر بها هذا التركيز، والذي يستهدف محاربة هذه (الديانة)، وتصويرها بمثابة «خطر استراتيجي» للفترة المقبلة، ويعود ذلك لتراجع حاصل في أحد الموارد للإمبريالية الأمريكية، في مجالات الإيديوجية والاقتصاد والعسكرية وهي:

١- إن التراجع في الإيديوجية العمومية، وظهور عدم تسامح فيما يتعلق بقضية المرأة في العالم الإسلامي.

٢- إن الهبوط في الفاعلية الاقتصادية يؤدي إلى تركيز التفكير الاستراتيجي الأميركي على النفط العربي.

(١) المرجع السابق، ص (١٥٧).

٣- إن ضعف العالم الإسلامي «عسكرياً» يجعله هدفاً سهلاً، بل مفضلاً على غيره.

ثلاثة عوامل مختلفة دفعت بأمريكا تجاه العالم العربي والإسلامي، وجعله كهدف مفضل... نعم هذا ممكن، لكن لا يكفي لفهم «الانحياز الأعمى» وتجاهل المصلحة، فهذه العوامل قد تشارك فيها أمم ودول خارج العالم الإسلامي، لكن لم يحصل الانحياز ضدها كما يحصل في العالم العربي والإسلامي!!

(تود) لا يمل دراسة القضية وإيجاد تفسير مقبول عقلياً؛ لذا نراه يبحث كل زوايا المسألة عساً يجد سبباً.. معقولاً ومقبولاً وهنا طرح سبباً (شبه جديد).

ضرب الضعفاء لتخويف الأقوياء

سياسة اختطها «عنتر بن شداد» حين قال: أضرب الضعيف ضربة يطير لها ومنها قلب القوي.

هذه السياسة «العنترية» يرى «تود» أن أمريكا تبنتها؛ لذا فهو يقول^(١): نظراً لعدم قدرة أمريكا على السيطرة على (القوى الحقيقية)، أي حيس اليابان وأوروبا في حدود المجال الصناعي، وقهر روسيا نووياً، هنا اضطرت أمريكا - بهدف أن تظهر على المسرح كإمبراطورية - إلى أن تختار ممارسة الضغوط العسكرية والدبلوماسية في عالم الضعفاء «في محور الشر» والعالم العربي، أي المنطقتين اللتين يحتل فيهما العراق نقطة التقاطع، ويقع العمل العسكري، إذا أخذنا في الاعتبار مستوى قوته ومجازته، في مكان ما بين الحرب الحقيقية ولعبة «الفيديو»، حيث تفرض الولايات المتحدة الحظر على بلاد لا تستطيع الدفاع عن نفسها، بينما تقصف جيوشاً «لا وزن لها» زاعمة إنتاج أسلحة أكثر تقدماً، وتقنية لها دقة «العاب الفيديو» ولكنها في

(١) المرجع السابق، ص (٢١٤).

الواقع تصف بالمدافع الثقيلة مدنيين، غير مسلحين، أما مستوى (المجازفة) فهو ضعيف بالنسبة إلى الجيش الأمريكي، لكنه ليس (صفرأ) بالنسبة للشعب الأمريكي، تولد في المناطق والدول الراضحة تحت السيطرة، أعمالاً إرهابية، كان أكثرها نجاحاً (اعتداء (١١) سبتمبر) ... أهـ.

محاولة من «تود» لتفسير سياسة بلاده تجاه الضعفاء، مع الهرب من مواجهة الأقوياء، لكن الذي يحتاج لجهد أكبر، في العالم اليوم أكثر من (٢٠٠) دولة، الصغيرة تحوي بضعة آلاف والكبيرة تحوي ملياراً وثلاث، لكن المستهدف دولاً معينة، والانحياز الكامل ضد دول معينة، والمطلوب الحصول على تفسير لهذا «اللفز».

لماذا كل هذا «العشق» لإسرائيل ولكل ما تقوم به من حرب إبادة، وخروج على كل المعاهدات والقرارات الدولية، بينما يحاسب البعض ويهدد للاعتقاد بأنه لديه نية بفعل شيء، إسرائيل تفعل كل ما تريد، تكسب الأسلحة النووية وغيرها، كوريا الشمالية تعلن عن نشاطها النووي يومياً، لكن التهديد من نصيب إيران فقط، هل ما زال أبي لا يقدر إلا على أمي؟

أم هناك خبايا وخفايا لا نعرفها، ويتكتم عليها العالم؟

أليس من حق العالم أن يطالب بنوع من المساواة ولو في (الظلم) بعد أن يشس العالم من المساواة في (العدل)؟

أليس من حقنا أن نتساءل مثلاً: لماذا ينكر علينا أن نقاطع بضائع تجارية، بينما تحاصر أمريكا دولة صغيرة فقيرة مثل كوبا منذ أكثر من أربعة عقود؟

كيف نفهم تجويع الشعب الفلسطيني كي تسقط حكومة «حماس» بينما الحاخامات وعلى رؤوسهم الطاقية اليهودية يحكمون إسرائيل منذ أكثر من عقد؟

وأخيراً لماذا يقبل من إسرائيل كل شيء من قتل وخطف وضرب للمدن

الفلسطينية بكل أنواع الأسلحة، ويستكر كل رد فعل من الشعب الفلسطيني ولو كان
متمثلاً برمي حجارة؟

لماذا كل هذا الاهتمام بما يحدث في «دارفور» والسكوت عما يحدث في
فلسطين أو العراق أو الشيشان أو كشمير؟

هل لأن في دارفور «يورانيوم» جيد؟ وفي تشاد مثله؟

وسؤال أخير: هل من ينحاز هذا الانحياز الأعمى جدير بقيادة العالم؟

من يطبق القرارات ومن يحتقرها

حين يختل النظر يرى الإنسان الأشياء على غير حقيقتها، وحين يمرض
الإنسان قد يرى الطعام على غير ما هو عليه، وحين يختل «ميزان العدل» تضع
الحقيقة فيفلت الجاني ويعاقب البريء: لذا رأينا الأديان كلها تشدد على العدل
وتأمر به، في كل الأحوال، حتى نقل عن رسول الله ﷺ في الحديث القدسي:
«ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا».

لكن انتشار الظلم وتقلص دائرة العدل يجعل الحياة صعبة بل شاقة مريرة،
خصوصاً حين ينصب الظلم على شعب، فيصاب بالإحباط، يلتفت يمنة ويسرة علّه
يجد من يواسيه أو ينقذه، وقد ينفجر فيرتكب من الظلم والحقاقت، مثل ما حل به
أو أكثر.

«إدوارد جاليانو» يسجل ظاهرة من ظواهر الخلل الكبرى في عالم اليوم وما
أكثرها وأكبرها فيقول^(١): تجاهل العراق - على عهد صدام - (١٧) قراراً من قرارات
هيئة الأمم المتحدة.... وتجاهلت إسرائيل (٦٤) قراراً وتساءل هل سيقصف «بوش»
حليفه الإسرائيلي؟

(١) شبكة العالم (محيط).

ثم يتساءل أخيراً: من باع العراق المواد الأولية لصنع الفازات، ومن باعه المروحيات وغيرها؟

ويذكر «جاليانو» أن أمريكا أكبر صانع وبائع للأسلحة في العالم، وهي الأمة التي ألقت القنابل الذرية على «مدنيين» وهي تخوض حروباً مستمرة، فمن يهدد سلام العالم؟

هل هو العراق حقاً؟... أهـ.

أم أفغانستان أم السودان أم من؟

قوات خاصة لنشر الموت والذعر

أمريكا لم تجد في العالم من تقلده سوى إسرائيل، ففرق الموت الإسرائيلية تقتل يوماً من تشاء، تعتقل من تشاء، تفجر البيوت على ساكنيها، هذا المعروف والخافي أكبر وأعظم... أما ما فعلته في لبنان فيذكر فقط بهولاكو ومذابح النتر!!

القوات الأمريكية تعلمت هذا (الدرس الحضاري العظيم)، وربما زادت فيه وعليه، (جميل مطر)^(١) يتحدث عن الإمبراطورية الأمريكية، وتمويلها على «قوات خاصة» غير القوات النظامية، لقد ربط وزير الدفاع الأمريكي هذه القوات به مباشرة، الصحفي الأمريكي «كابلان» يدرس جدوى القوات «الخاصة» ومدى فاعليتها فيرى أن (٥٥) فرداً من هذه القوات الخاصة، - والتي لا يقيدتها نظام - حققت إنجازات في (السلفادور)، أكثر مما حققه (٥٥٠) ألفاً من جنود نظاميين أمريكيين في «فيتنام»، (كابلان) يتحدث عن القوات الخاصة، وعن سلوكهم (الحضاري العظيم)، فهم لا يلبسون ملابس الجيش، ويطلقون لحاهم وشموهم كما

(١) صحيفة الحياة، ٢٤/١٠/٢٠٠٥ م .

يجبون، يمارسون من العنف والتعذيب المتوحش ما يحلوا لهم، مثلهم الأعلى «رامبو»
المقاتل المتوحش، الذي لا يتقيد بأخلاق الحرب أو السلم، أو أية قواعد للملوك
المسكري... أهـ.

إن هذه القوات بهذه الحرية التي تملكها، والانضالات من كل حساب وعقاب،
تحدث من الأذى والضرر ما يفوق الأعاصير والزلازل والبراكين والإيدز!!

نوم تشومسكي، أمريكا وإسرائيل إرهابيتان

د . نوم تشومسكي اليهودي الأمريكي لا يكل ولا يمل من مهاجمة أمريكا
وإسرائيل، فهو الناقد الشجاع الذي لا يخاف... صحيفة (يدعون أحرنون)
الإسرائيلية أجرت معه مقابلة طويلة ابتدأتها من اختيار مجلة «بروسبيكت»
البريطانية للدكتور نوم باعتباره «أكبر مثقف في عصرنا» بعد (١١) عاماً على
تويجه في «نيويورك تايمز» باعتباره: أهم مثقف حي في عصرنا.

يديعون أفردت ثلاث صفحات وقالت: إن البروفيسور اليهودي الأعظم في هذا
العصر لم يتغير، ونظرته لليهود لم تتبدل، وأن السياسة الإسرائيلية مثل السياسة
الأمريكية «الوصية عليها» هي سياسة (إرهاب).

ومثّل للإرهاب الإسرائيلي بضرر مدينته غزة بقنابل زنة «طن» لتقتل (١٥)
مدنياً فلسطينياً دفعة واحدة.

بضيف الدكتور^(١): إن المحكمة العليا في إسرائيل - مثل الولايات المتحدة -
تحصر الإرهاب في العمليات المنفذة ضد إسرائيل فقط، متجاهلة حقيقة أن
الاحتلال الإسرائيلي المتواصل والمتصف دوماً «بالوحشية».

(١) صحيفة الحياة، ٢٠٠٥/١١/٢ م.

إن سياسة إسرائيل عموماً، وشارون خصوصاً تستهدف عملياً طرد الفلسطينيين، بعيداً عن أرضهم الجيدة، للسيطرة عليها.

أما هدف إقامة «الجدار» فهو خلق المدن الفلسطينية، وتحويلها إلى جزر معزولة، والدفع بالفلسطينيين نحو الهجرة.

وختم المقابلة بقوله سياسة أمريكا (إرهابية) وكذلك السياسة الإسرائيلية... أهـ.

مع كل هذه الحقائق المرة، فإن أمريكا وإسرائيل من أكثر دول العالم سباً وشتماً واستككاراً «للإرهاب» والأكثر ممارسة له والتنعم «بطبقاته» وبركاته!! وقديماً قيل: (ومن الحب ما قتل)!!

في أمريكا جهات كثيرة، منها شركات أكبر من كثير من الدول، ولوبيات تضغط ليل نهار، وملايين تُتفق سراً وعلانية، عقال ومجانين ومهوسون كل يفني على (ليلاه) وكل يطمع أن تسيطر أمريكا على العالم، ليأخذ نصيبه بالحق أو الباطل، من هنا فكل من يبحث في الحرب العراقية يتجه نحو سبب يعتبره الأساس في العملية وينسى أو يتجاهل ما سواه، لكن يوجد لدى الكافة «بند» يصعب تجاهله والقفز فوقه هو «الذهب الأسود» فلولا الأساطير والخرافات لأمكن ترك العراق كما يترك العشرات من دول العالم، دون أن يهتم بأمرها أحد، فإذا كان العالم لا يهتم أمر الأسلحة ذات الدمار الشامل أو ربع الشامل، فهذه الأسلحة موجودة هنا وهناك وضبطها والقضاء على أهلها ليس من هموم «الكبار» لكن (الذهب الأسود) مما يسيل له لعاب الكبار، وربما أثر على تفكيرهم وقدراتهم، وهكذا يصير (الذهب الأسود) مصدر نعمة؛ لأنه يجلب المال الكثير، ومصدر نقمة، لأنه يجلب التدخل ويستقطب «الكبار».

الصحافي العربي المصري إبراهيم نافع، يتحدث في كتابه الجيد (جنون الخطر الأخضر)^(١) عن قضية غزو العراق، والدافع الأكبر لهذا الغزو، يبدأ حديثه مستشهداً باستقالة وزير الخزانة «بول أونيل» الذي قدم استقالته احتجاجاً على غزو العراق والذي لم يفعل ذلك وربما لن يفعل ذلك وزير (عربي) يوماً من الأيام!!

الوزير المستقيل يؤكد قضية صارت معروفة من أن الرئيس (بوش الابن) منذ أول وصوله لسدة الرئاسة، راح يبحث عن مبرر لغزو العراق، وقد أصدر الوزير المستقيل كتاباً أسماه (ثمن الولاء)، أعد الكتاب وجهزه مراسل صحفي معروف اسمه «رون ساسكيند»، ومما ذكر: توجد مذكرة سرية تحت عنوان (خطة العراق بعد صدام)، كما توجد وثيقة لوزارة الدفاع الأمريكية عنوانها (الساعون الأجانب لعقود حقول البترول) تشير إلى أن الوزارة بحثت مبكراً عملية توزيع احتياطي البترول العراقي على الشركات البترولية، وجرى تحديد مناطق الاستكشاف بالإضافة إلى أسماء متعاقدين في (٣٠ أو ٤٠) دولة ونياتهم بشأن الاستثمار في البترول العراقي... أه .

من المعلوم أن الأمريكان تفاوضوا طويلاً مع «صدام» حول نفط «مجنون» القريب من مدينة العمارة، وهو نفط خفيف جيد قريب جداً من مياه الخليج، وله ميزة فهو على مرمى حجر من الحدود الإيرانية، وتم التفاهم على كل التفاصيل، لكن صدام أثارته قضية (يجب أن لا يكون بين الماملين في الشركة «يهود») وهو شرط يمكن أن تقبله أي شركة إلا الشركات الأمريكية والحكومة الأمريكية، بل قد أذهب لأبعد من ذلك فاقول يمكن جعل الشرط أن لا يعمل في الشركة أمريكيان بحجة أو بأخرى فتقبل أمريكا هذا الشرط وتسوقه داخلياً، أما استبعاد اليهود فهذا الشرط لن تبعله أمريكا ولن تستطيع ولو أرادت ذلك، فقوة اللوبي اليهودي في

(١) جنون الخطر الأخضر، طبعة أولى لعام ٢٠٠٤م، ص (١٠).

أمريكا جعلت بعض الظرفاء يقول: لو صدر رأي في إسرائيل أن الأرض مسطحة وليست كروية، فإن الكونجرس سيجتمع خلال (٢٤) ساعة وليصدر بياناً حول كون الأرض مسطحة.

صحفي أمريكي يتحدث عن الرؤساء في أمريكا وطلب تحديد تصريحات الرؤساء مربوطة بالزمن، كأن يقول صرح الرئيس بوش الساعة الثامنة صباحاً بكذا لأنه سيفير رأيه ويسحب تصريحه إذا اعترض اليهود أو إسرائيل.

أضيف لما تقدم أن العراق «يضخ» نفضه بواسطة أنابيب يمر بعضها من خلال (عداد) وبعضها دون عداد، لتسير العملية وفق «قانون المشائر، هذا إذا لم تكن اليوم ثمة أنابيب تتبع مليشيات أو أحزاب، ليس لأحد سلطة عليها.

أمر أخير أتنبأ به: فإذا أقيمت فيدرالية في جنوب العراق، فسيتحول نفط البصرة والعمارة إلى «كارثة». فكل حزب متسلط وكل مليشية تحمل السلاح سيكون لها أنبوب نفط مستقل، وهكذا ستشتعل معارك لا نهاية لها، ولكن بين أبناء الطائفة الواحدة، وربما دخلت «مراجع» على الخط، ويستتر الله من بركات «الفيدرالية» الظاهر منها والباطن، المنفوظ وغير المنفوظ.

عندها سيحمد الله البعض لعدم وجود فيدرالية منقولة لديه!!

بوش وصدام: الخطر على العالم

يتوجه من كندا - الحليف الأول لأمريكا - فريق من متطوعين إلى الولايات المتحدة الأمريكية للبحث عن «أسلحة الدمار الشامل»، يقود الفريق عضوة البرلمان الكندي (بيبي ديفيد)^(١) وهي عضوة في الحزب الديمقراطي الجديد، وقد أصدرت

(١) المرجع السابق، ص (٩٩).

«النائبة» بياناً جاء فيه: إن الرئيس بوش يمثل خطراً على العالم، يماثل الخطر الذي مثله «صدام حسين».

الفريق الكندي يهدف أولاً وبالذات لكشف نفاق الرئيس بوش، فواشنطن تواجه التهم نفسها الموجهة ببغداد... أهـ.

والسؤال: إذا كان موقف الأشقاء والحلفاء، فما هو موقف الأعداء؟

الإرهاب وأهله

الصحفي العربي «إبراهيم نافع»، قام بعملية «جرد» بسيطة على من يمارس الإرهاب يومياً ضدنا فسجل (١٦) واقعة معروفة ليس بينها واقعة سرية وهي:

- ١- من أسقط الطائرات الليبية عام ١٩٨١م.
- ٢- من قصف بيروت في السنوات ١٩٨٣، ١٩٨٤، وأزيد وحرب لبنان عام ٢٠٠٦م.
- ٣- من قصف ليبيا عام ١٩٨٦م.
- ٤- من قصف السفينة الأمريكية «ليبرتي» عام ١٩٦٧م.
- ٥- من قصف وأسقط وأغرق السفينة الإيرانية عام ١٩٨٧م.
- ٦- من قصف وأسقط الطائرة الإيرانية عام ١٩٨٨م.
- ٧- من أسقط الطائرتين الليبيتين عام ١٩٨٩م.
- ٨- من كان يقصف العراق ابتداء من عام ١٩٩١م حتى سقوط بغداد.
- ٩- من فرض الحصار على العراق (١٣) سنة.

- ١٠- من قصف مصنع الأدوية السودانية ودمره كلياً.
- ١١- من قصف أفغانستان بالصواريخ عام ١٩٩٨م.
- ١٢- من يقوم بتعذيب الأفغانيين والعراقيين يومياً.
- ١٣- من قام بمذبحة قانا عام ١٩٩٦م هي لبنان، وقانا عام ٢٠٠٦م.
- ١٤- من يخطف الناس وينقلهم إلى سجون سرية في العالم؟
- ١٥- من خطف الناس ونقلهم إلى غوانتامو ويعذبهم؟
- ١٦- من يشجع إسرائيل على قتل الفلسطينيين واعتقالهم يومياً... أهـ.
- هذه القائمة تخصنا فقط، ومنذ سنوات قليلة، ولو كان لهيئة الأمم من الشجاعة بحيث كلفت لجنة بدراسة الإرهاب وتحديد هذا المصطلح بدقة، وإجراء جرد بما يحصل في كافة القارات، فمن سيكون الإرهابي رقم واحد؟

لماذا يكرهوننا

سؤال تكرر طرحه من أكثر من رئيس أمريكي، آخرهم «بوش» الابن، ولأن الناس لا يحبون عبثاً ولا يكرهون عبثاً، فقد استفز السؤال الكاتب المصري «إبراهيم نافع» فتطوع بالجواب، وليحشد جملة أسباب لهذا الفقدان للمحبة، وأولها وأكبرها الانحياز الأمريكي التام لإسرائيل وتبرير كل فعل وجريمة تمارسها، والقضية الأخرى تتمثل بهذا العطاء والإغراق على الشعب الإسرائيلي، يقابله النهب لما نملك، وأخيراً مناصرة إسرائيل في كل جهد علمي أو حربي أو تجسسي ضدنا، في حين تقف أمريكا ضد كل طموح لنا. والقضية الأكبر تتمثل بشل هيئة الأمم ومجلس الأمن من أن يتخذ قراراً لمصلحتنا، واستعمال الفيتو الأمريكي لمنع أي إدانة لإسرائيل؛ مما

جعلها تشعر بالحماية ولا تخاف من أي جرم ترتكبه ضدنا، وقد استعرض الأستاذ (نافع) العشرات من العينات التي تصب في هذا الاتجاه مثل^(١)؛

١- القرار ١١٣/ج/٢٢ والمتعلق بإدانة سياسة إسرائيل في فلسطين المحتلة، عارضته أمريكا وإسرائيل.

٢- القرار ١٣٦/٢٢ والمتعلق بإدانة سياسة إسرائيل في فلسطين المحتلة، عارضته أمريكا وإسرائيل.

٣- القرار ٥٨٣/٢٤ المتعلق بعودة الفلسطينيين، عارضته أمريكا وإسرائيل (علماً بأن قبول إسرائيل في هيئة الأمم اشترط السماح بعودة الفلسطينيين).

٤- القرار ٥٩٣/٢٤ الذي يطالب إسرائيل بالتوقف عن انتهاك حقوق الإنسان عارضته أمريكا وإسرائيل.

٥- القرار ١١٣/٢٤ يطالب بإعداد تقرير عن أحوال الفلسطينيين المعيشية في الأراضي المحتلة، عارضته أمريكا وإسرائيل.

٦- القرار ١٥٨/٢٤ المتعلق بالسيادة على الموارد الوطنية في الأراضي المحتلة عارضته أمريكا وإسرائيل.

٧- القرار ١٩٩/٢٤ المتعلق باشتراك المرأة الفلسطينية في أعمال مؤتمر الأمم المتحدة . المعني بالمرأة . عارضته أمريكا وإسرائيل.

٨- القرار ٥٧/٣٥ المتعلق بمطالبة إسرائيل بالسماح بعودة النازحين الفلسطينيين عارضته أمريكا وإسرائيل.

(١) المرجع السابق، ص (٢٠٨) .

- ٩- القرار ١٣٦/٢٥ المتعلق بحقوق الإنسان الفلسطيني عارضته أمريكا وإسرائيل ومثله القرار ١٧٤/٢٥ كذلك.
- ١٠- القرار ١٨/٣٦ والمتعلق بالحفريات في القدس ووجوب التوقف كذلك.
- ١١- القرار ٩٢/٣٦ حول إنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية كذلك.
- ١٢- القرار ١٢٠/ب/٣٦، ١٢٠/هـ/٣٦ والمتعلق بحقوق الفلسطينيين كذلك.
- ١٣- القرار ١٢٣/٣٦ المتعلق بالوضع الخاص للقدس عارضته أمريكا وإسرائيل.
- ١٤- القرار ١٤٦/٣٦ المتعلق باللاجئين في غزة عارضته أمريكا وإسرائيل.
- ١٥- القرار ٤٦/ز/٣٦ المتعلق بالإيرادات الفلسطينية عارضته أمريكا وإسرائيل.
- ١٦- القرار ٤٩/ب/٣٦ المتعلق بخلق الجامعات في فلسطين عارضته أمريكا وإسرائيل.
- ١٧- القرار ٢٣٤/ب/٣٦ المتعلق بالقانون الإسرائيلي، لا ينطبق على الجولان عارضته أمريكا وإسرائيل.
- ١٨- القرار ١٤/٣٩ والمتعلق بالتعاون بين جامعة الدول العربية والأمم المتحدة عارضته أمريكا وإسرائيل.
- ١٩- القرار ٢١/٢٩ المتعلق بإدانة الهجوم على مفاعل (تموز) عارضته أمريكا وإسرائيل.
- ٢٠- القرار ٩٥/د/٣٩ حول انتهاك حقوق الإنسان الفلسطيني عارضته أمريكا وإسرائيل.
- ٢١- القرار ١٤٧/٣٩ والمتعلق بإدانة اغتيال العمدة الفلسطينيين عارضته أمريكا وإسرائيل.

٢٢- القرار ٢٢٢/٢٩ المتعلق بتقديم مساعدات اقتصادية للفلسطينيين عارضته أمريكا وإسرائيل.

٢٣- عام ١٩٨٥ قصفت إسرائيل مقر منظمة التحرير في تونس فتم قتل (٦٢) شخصاً فعلق الرئيس الأمريكي: بأن للهجوم ما يبرره.

إلى العشرات من القرارات ترفضها أمريكا وإسرائيل، ومع ذلك يتساءل رؤساء في الولايات المتحدة: لماذا لا نحبهم، ولماذا لا نموت بحبهم، ونحن نموت يومياً بسلاحهم ودولارهم وفيتوهم!

إن «العهر الإسرائيلي» لم يكن ليوجد لولا الدعم الأمريكي، ومع ذلك فالمتطلب أن نمشق أمريكا وإسرائيل والا فتحن إرهابيون متعصبون عنصريون، معادون للحضارة... ونسيت حقوق الإنسان والذباب والبعوض والجرذان.

عندما يستقبل مثل حقوق الإنسان

نظراً لما يلاقه الفرد الفلسطيني من قتل واضطهاد وطرد وسجن وتعذيب على أيدي القوات الإسرائيلية؛ لذا فقد عينت الأمم المتحدة مراقباً لحقوق الإنسان في فلسطين، المراقب سويسري الجنسية اسمه «رينيه فلير»؛ ولأن الرجل رأى ما تشيب له الرؤوس فقد استقال وكتب: إن مهمتي كمبعوث خاص لحقوق الإنسان يجب أن تلتى، لأنني لا أستطيع تغيير السياسة الإسرائيلية، إذ هي تقوم على الإساءة لكل فلسطيني؛ لذا اتقدم باستقالتي وأعود لبلدي.

هذه الاستقالة طويت ولم يسمع بها الكثير، ولم يذكرها أحد، لماذا؟

فإذا أضفنا لذلك ما تضعله القوات الأمريكية من قتل وتعذيب وطائرات تحمل مخطوفين وسجون علنية وسرية، وتعذيب لأهلها، ترفض أمريكا وإسرائيل أن تزورها جماعات من الصليب الأحمر أو هيئة الأمم، ثم يطلب منا بكل لطف وأدب

أن نهيم بأمريكا ونعشق إسرائيل والا فهي سلوكنا «بربرية» وفي عقولنا انحراف أو عته أو جنون... كجنون البقر!

إن الذي يصيبنا من أمريكا وإسرائيل، لو وقع على جبل لانهد أو انفجر، ومع ذلك فالمطلوب أن نعشق الموت اليومي والذل اليومي والقهر اليومي وال...!

إن «القط» تضعه على حرك، وتتلمس رأسه وبدنه، فيتحول إلى ألطف حيوان؛ فإذا ضرته أو رفعت العصا في وجهه تحول إلى أسد، وأبرز مخالفه وصرخ في وجهه، فهل يراد منا أن نكون أقل «حمية وثورة» من القط؟

إن الإهانات التي تصلنا من أمريكا وإسرائيل كموج البحر، القادم منها أكثر من الذهاب، ومع ذلك مطلوب منا أن نعشق!

وشهد شاهد من أهلها

ما نسطره عن السلوك الحضاري «العظيم» لأمريكا وإسرائيل، ربما نتهم بالعداء؛ لذا سوف أستدعي للشهادة بعض أبناء (الغرب) غير المتهمين، وأولهم الرئيس الأمريكي الأسبق «نيكسون» والمستشار السابق للأمن القومي «بريجنسكي» و«روني برومان» الأستاذ بكلية العلوم السياسية بباريس، والكاتب الألماني المعروف «لودفيج امان» وكلهم من «الطينة»، وليس فيهم مسلم ولا إرهابي ولا عنصري؛ فمضى أن تكون شهادتهم مقبولة، غير مطعون بها، ولو هي نظر (بني علمان).

- البروفيسور «روبرت كراين» مستشار الرئيس الأمريكي «نيكسون» ومؤسس مركز الحضارة والتجديد بأمريكا يقول^(١): إن الرئيس نيكسون ذكر أن الولايات المتحدة قد تكون غنية، ولكننا فقراء روحياً، أما التربية والتعليم فهديان، والجريمة تزيد، والعنف في تصاعد، والانقسامات المرهقة في تكاثر، الضفر يستشري.

(١) جنون الخطر الأخضر، إبراهيم نافع، ص (٢٢١).

والمخدرات في انتشار، والثقافة في وسائل التسلية في انحدار، أما تأدية الواجب المدني فهي هبوط، والفراغ الروحي في انتشار، وكل ما تقدم أسهم في «تفريب» الأمريكيين عن بلادهم ودينهم وعن بعضهم... أهـ.

هل يكفي هذا «الموشح» أم لا؟

- المستشار بريجنسكي . مستشار الرئيس كارتر . رجل مثقف له أكثر من كتاب يكتب في الصحف، ولعل آخر ما طرحه ما يعرف بـ «عقيدة بريجنسكي»: فالرجل يؤمن بأن المجتمع المنغمس في «الشهوات» لا يستطيع أن يسن قانوناً أخلاقياً للعالم، كذلك فإن أية حضارة لا تستطيع تقديم قيادة «أخلاقية» فسوف تتلاشى... أهـ.

موشح آخر، متطلبات القيادة للعالم تتطلب «العفة» فمن ينغمس في الشهوات ويرتكب المظالم يومياً، ويناصر الظلم ويتاجر بالحروب، يصلح لتربية (الخنازير) لكنه لا يصلح لقيادة العالم، هل يكفي؟

- الأستاذ «روني برومان» يرى أن إسرائيل الأكبر خطراً على العالم من العراق، وفقاً للمعايير الأمريكية، إذ تمتلك أسلحة دمار شامل، وتعمل على نشر الاضطرابات في المنطقة، وتقود سلسلة من أعمال العنف... أهـ.

هل يكفي هذا؟

- الكاتب الألماني «لودفيج امان» يؤكد . دون ملل . أن معاداة السامية في الغرب تحولت إلى معاداة «الإسلام» وشن حرب على دين بأكمله، وعلى طاقة المؤمنين به... أهـ.

هذه شهادات وردت بكتاب الأستاذ (إبراهيم نافع) على الصفحات (٢٢٠، ٢٢١).

(٢٣٠، ٢٢٥).

وأقول: لهذه الأسباب وغيرها كثير، فقد «بطلنا» عشق أمريكا، وعلى الأخص سياستها «الخارجية»، والتي تعمل ليل نهار لتحويلنا إلى هنود صفر أو سود، أو حتى (لون قوس قزح) لكل ذلك «بطلنا» العشق وتركتناه «لبنى علمان» ليتتمموا ببركاته، وليحققوا المثل الشعب المصري (آلي يفوته الميري يتمرغ بترايه).

السياسة الأمريكية اليوم تساوي وتعاادل «حبل المشنقة» لمن حكم بالإعدام، فهل يفهم ذلك أبناءنا من بني علمان أم على قلوب أفعالها؟

شاهد غريب

الشاهد «الجديد» غريب فعلاً، فهو مسيحي ديانة مسلم ثقافة وحضارة، هكذا يعرف نفسه دون ملل، ويقدمها كذلك (د. رفيق حبيب) يمتد أن المستهدف اليوم بالدرجة الأولى «ضمير الأمة» وقيمها، والحرب تسير بهذا الاتجاه وتستهدف هذا الضمير.

كما يرى أن الاستعمار الجديد . وهو دائم الحديث عنه . ليس هدفه الأول والأخير «الأرض» . كما كان الاستعمار القديم . لكنه يستهدف عقل الأمة وضميرها، فالمطلوب إلحاق الهزيمة بذلك، وتركيع الحكومات، وضرب المقاومة الإسلامية، وكل هذا يتزامن مع الحرب الشرسة ضد الحركات الإسلامية والمشروعات الإسلامية، بل يستهدف الإسلام نفسه، فالمطلوب الاستعماري قد تغير، بحيث لم تعد الأرض وحدها ولا الشعوب وثروتها وحدها، بل المطلوب (عقل الأمة وضميرها وكرامتها وعزتها...) إن المطلوب الجديد للاستعمار الجديد هو النيل من تاريخ الأمة وتدمير شعورها بذاتها، وباختصار: ضرب قوتها الداخلية^(١)... أهـ.

ما رأي (الوكلاء) بهذا الطرح الصريح؟

(١) التغيير. د. رفيق حبيب، الطبعة الأولى (الشروق). ص (١٠، ١١) .

د. رفيق حبيب: يشخص الوضع

اهتمامات د. رفيق حبيب كلها تدور حول الأمة^(١)، وما تعانيه من ضعف، ومن أزمات توسع وتدهور يتفاهم، وحكام ينفصلون عن شعوبهم يوماً بعد يوم، وبرامج للتحديث والتفريب لم تحقق دولة «الحدائث» تقدماً للأمام، بل صارت باباً تدخل منه التحديات «الخارجية» لتكسب نفسها «شرعية» ولتجد بيننا الكثير من «الوكلاء» عنها المتيمين بمشروعها، وهكذا أصبح في العرب (وكلاء)، من بين مهماتهم العظيمة التبشير بموت الأمة، رافعين مشروع «الحدائث» الذي وضع فشله وعدم تحقيق أي قدر من التقدم.

اليوم نشهد تحالفاً أمريكياً إسرائيلياً مع بعض من حكام عرب، مع نخب وكلاء الغرب، هذا التحالف الجديد يبشرنا «بالجنة الموعودة» ويدعونا لتعميم مادي استهلاكي، مع رهاوية مترفة... أما الثمن المطلوب فهو أن نتخلي عن هويتنا وتاريخنا وكرامتنا.. إنه «رخاء المبيد» ولا رخاء... أهـ.

الذين كانوا يتاجرون بالصلح مع إسرائيل كانوا يعدوننا بهذا الرخاء وإذا به «سراب بقيعة يحسبه العطشان ماء» إسرائيل مثل أي شحاذ في العالم، الشحاذ يحسن ويجيد (القبض) لكن لا أحد يمكن أن يقبض من شحاذ أبداً، والذين يراهنون على الصلح مع إسرائيل أنصحهم بقراءة المشروع الإسرائيلي (إسرائيل ٢٠٢٠م).

المشروع الإسرائيلي (٢٠٢٠م)

هذا المشروع الكبير الذي أعلن أن مداه ربع قرن يبدأ من (١٩٩٥ - ٢٠٢٠م). اشترك في إعداد المشروع (٢٥٠) خبيراً من داخل إسرائيل و(١٥٠) من الخارج.

(١) التغيير، د. رفيق حبيب، الطبعة الأولى (الشروق)، ص (١٢).

وشاركت الوزارات كافة ذات الصلة والجامعات ونقابة المهندسين، وكل من يعمل بتخطيط المدن، وشاركت بعض الجامعات من اليابان وألمانيا وهولندا والدانمارك والسويد، والكثير من الجامعات الأمريكية والغربية.

ابتدأ العمل التمهيدي عام ١٩٩٠م، والعملي ابتداء من منتصف عام ١٩٩٥م واستمر لست سنوات متواصلة.

أنتج المشرفون على المشروع (١٨) مجلداً، ترجمها المرء ب (٦) مجلدات.

مسارات التخطيط الأساسية

جعل المشرفون على المشروع ثلاثة مسارات أساسية، يجب أن تلتزم بشكل كلي، فلا يفقل عنها مشارك وهي:

١- إسرائيل في أجواء السلام وعكسه.

٢- إسرائيل في مسار الدول الصناعية المتقدمة.

٣- إسرائيل والتجمعات اليهودية في العالم.

والذي يهمننا من المسارات الأول والأخير، نظراً لخطورتها علينا وعلى مستقبلنا وعلى دولتنا وأجيالنا.

المجلد الخفي والظاهر

خصص المجلد الأول من (١٨) مجلد للأمن والشؤون العسكرية: لذا استبعد من التداول العام، يبقى مقصوراً على نخبة معينة. على حين جاء المجلد الأول «المعلن» ليشمل (٤٠٧) صفحات.

وقد قسم المجلد إلى ستة فصول مع مقدمة للطبعة العربية جيدة، استهلكت (٥٤) صفحة، تليها مقدمة للطبعة العبرية، يعقبها تمهيد وخاتمة وجداول ورسوم بيانية وخرائط وتقارير عدة.

المترجم والناشر

قام د. سلمان أبو ستة بترجمة المجلدات، وهو صاحب خبرة جيدة وله عشرات المؤلفات في الموضوع، كما قام «مركز دراسات الوحدة العربية» ببيروت بنشر الطبعة العربية، ويستحقون الشكر والثناء على عملهما.

كما يستحق مشروع (إسرائيل ٢٠٢٠م) أن يدرس بعناية ودقة، فكل نجاح يكتب لهذا المشروع فسيكون على حسابنا وحساب أجيالنا وتطلعاتنا.

السكان والأرض

كل تخطيط ينبغي أن يضع في حسابه عدد السكان ومساحة الأرض، وفي إسرائيل حيث تختلط الاعتبارات التوراتية بالتوجهات العلمانية، فإن إسرائيل تركز بشكل أساسي على (أرض التوراة وشعب التوراة): لذا فإن إسرائيل تعمل بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة للسيطرة على الأرض، وطرد الفلسطينيين بعيداً؛ لذا يرى دارس «المخطط» كيف أن القائمين يعيدون دون ملل دراسة «الأرض» مرة بعد مرة، حتى علق بعض الإسرائيليين على هذه الظاهرة بأن هناك عبادة جديدة هي إسرائيل هي «عبادة الأرض»، إسرائيل تريد أرض إسرائيل الكبرى خالية من الفلسطينيين، إن أمكن اليوم فمرحباً وإلا غداً أو بعد غد.

الملاحظ أنه لم يبق من العرب داخل إسرائيل سوى ١٥٪ من الفلسطينيين. حقوقهم لا يعترف بها، ووجودهم في السلطة التنفيذية «معدوم»، وكذلك في مؤسسة «التخطيط» وجود كأنه وجود «أشباح» ولا حقيقة له.

على الجهة الأخرى مطلوب هجرة اليهود من كل أقطار الأرض، وتقدم لهم كل التسهيلات وفي خدمتهم أكثر من دولة، والأموال تصب عليهم صباً، «المستوطنون» وهم مواطنون من الدرجة الأولى، تقدم لهم المساكن والأرض والخدمات، ويحرسهم جيش، ويزودون بالسلاح، وهم يتقرعون على دولتهم، وثلاثة أرباعهم جاؤوا من أمريكا!!

أي قطعة أرض مطلوب سلبها فإنها تحاط بالأسلاك ويكتب عليها منطقة عسكرية لا يجوز الاقتراب منها، وبعد تجهيزها تصبح «مستوطنة» وتصير لعنة على العرب الذين يسكنون قريباً منها.

الأرض الأرض

خطط إسرائيل كلها تدور حول السيطرة على الأرض من أيدي أهلها، مرة باسم الجيش وأخرى بالشراء (المزور)، وثالثة بسلبها بحجة أن المالك لا يملك أوراق «طابو» أو أن مالكها غائب، حتى أموال الأوقاف تأخذها بهذه الحجة - كما سيأتي - ومن الوسائل وضع ضرائب عالية على الأراضي التي يملكها كي يضطروا إلى بيعها والتخلص من الضرائب.

الأماكن الإسلامية المقدسة وغيرها

يتحدث المترجم د. أبو ستة^(١) عن الأماكن المقدسة الإسلامية وغيرها، فيذكر أن هذه المقدسات الكثير منها قد تهدم، وسياسة إسرائيل تمنع من إصلاحها، وبعضها دمر تماماً، فزرعت في المكان أشجار لمحو الأثر، بعض المساجد والمدارس الإسلامية حول بعضها إلى معابد يهودية أو متاحف أو مطاعم أو بارات، وبعضها إلى اصطبلات... هذا بالنسبة للمسلمين وأوقافهم، لكن أوقاف النصارى بقيت محفوظة ليس حياً ولكن خوفاً من إثارة الغضب المسيحي.

(١) إسرائيل (٢٠٢٠م)، ٤٤/١.

جل مقابر المسلمين صودرت وبني عليها فنادق وعمارات.

معلوم أن جل أرض فلسطين هي «وقف» لله تعالى فهناك ١.٧٠٠.٠٠٠ دونم موقوفة لله تعالى، وهذا يعادل ١٦٪ من مساحة فلسطين.

ولأن إسرائيل شرعت قوانين تعتبر كل من غاب عن ملكه تصير هذه الأموال ملكاً للدولة العبرية، ومنها الوقف.

تدمير المدن والقرى

لقد دمرت إسرائيل منذ قيامها (٥٢٠) بين مدينة وقرية فلسطينية، لكن الجديد الذي لا مثيل له في العالم: إن حكومة إسرائيل تعترف بقرى ولا تعترف بأخرى... بالنسبة للمدن والقرى المتبقية في إسرائيل للفلسطينيين، هناك (٨) مدن، وما يقارب (٩٠) قرية.

وقد أقام العرب (١١٢) قرية، إلا أن إسرائيل لا تعترف إلا بـ (٤٦) فقط ولا تسمح بإنشاء مدينة واحدة للعرب.

في جنوب فلسطين، في النقب يعيش (١٢٠) ألف عربي يعيش نصفهم في (٤٥) قرية غير معترف بها... ومن المتوقع أن يصل عدد العرب في النقب إلى (٣٠٠) ألف عام (٢٠٢٠م) وبحوزتهم حالياً (١٨٠) ألف دونم من الأراضي، من أصل (١٢) مليون كانوا يملكونها.

تعتبر إسرائيل عرب النقب «كمتطفلين» يحتلون أملاك الدولة الإسرائيلية؛ لذا فهي تحرمهم من أراضيهم الزراعية، وتريد تحويلهم إلى مجرد عمال. لا يملكون شيئاً من أرضهم.

والسؤال: لو فعلت دولة أي دولة بيهود يقيمون فيها، مثل هذا فماذا ستفعل إسرائيل وأمريكا وهيئة الأمم بهذه الدولة؟

وسؤال آخر لأيتام أوسلو وجرذان التطبيع: ما رأيكم دام فضلكم بما تفعله إسرائيل في عرب النقب خصوصاً وعرب فلسطين عموماً؟

الهجرة الهجرة

في المخطط يتكرر الحديث عن الهجرة بمناسبة ودونها، والمطلوب أن يهاجر اليهود إلى إسرائيل، ومن لا يهاجر فلا إله له... هكذا كان حتى الأمس القريب، وفجأة اكتشفت إسرائيل أن اليهود في الشتات شيء نافع مفيد بل دجاجة تبيض «ذهباً»، فهم رديف وخط دفاعي، يؤيد إسرائيل في كل ما تفعله بالفلسطينيين والعرب، يمدون إسرائيل بالتأييد السياسي والمال والرجال ويتجسسون على دولهم، وهي المقابل تقدم إسرائيل نفسها كحامية لليهود، وكل لص يهودي أو مجرم عتيد يستطيع أن يهرب من بلده إلى إسرائيل فلا تسلمه، وصار في الأمان، وخلال سنوات سيعود بجواز سفر جديد مزور وشخصية جديدة، والويل لمن يتعرض له.

في البداية كان المطلوب الهجرة ولا شيء غيرها، وقد نقل عن بن غوريون قوله: (لا جدوى من إسرائيل دون الهجرة، ولا معنى لإسرائيل دون القدس، ولا معنى للقدس دون الهيكل)... هذا وهو العلماني الذي لا يعترف بالصلاة... ومن أفكاره العظيمة الراقية: إن تدمير المجتمع الفلسطيني شرط أساسي لقيام واستمرار الدولة العبرية.

المهاجر في العالم إما مضطهد هارب بجلده، أو طالب للعمل يريد كسب المال، لكن اليهودي اليوم هو المدلل رقم واحد، فمن يجراً على إغضابه أو إزعاجه؟

إن إسرائيل شرعت قانون العودة عام (١٩٥٠م) وهو قانون لا مثيل له في العالم قديمه أو حديثه، بموجب هذا القانون «العنصري» يعتبر كل يهودي مواطناً في الدولة العبرية، فإذا وصل إلى أرض إسرائيل ولو (ترانزيت) فهو يكسب الجنسية له ولأولاده، ويلزمه الإعلان عن رفضها، وإلا «لصقت» به رغم أنه.

أما الفلسطيني الذي يقيم في فلسطين هو وأهله منذ قرون يمكن أن يبعد ويرمى خارج الحدود، وإذا سافر وغاب صودرت أملاكه ولا يسمح له بالعودة، ومع ذلك فإسرائيل هي الدولة الوحيدة «ديمقراطياً» ومن لا يعجبه فليشرب البحر.

المهاجرون لإسرائيل

إن مخطط إسرائيل (٢٠٢٠م) يذكر أنه وصل إلى إسرائيل مهاجرون من (١٠٢) من دول العالم، يتحدثون (٨٢) لغة.

هذا الخليط من البشر فيهم القوقازي الأبيض، وفيهم يهود الفلاشا من الحبشة، واليهودي الأصفر من الصين، والأسمر من الهند وسريلانكة، إلى اليهود العرب من اليمن والعراق والمغرب وغيرها.

وقد تبين أخيراً أن بعض المهاجرين من روسيا ليسوا يهوداً أصلاً، بل هاجروا للعمل والكسب والحصول على الامتيازات.

وعلى حين ترفض إسرائيل عودة فلسطيني مهجر. تفتح الباب لكل يهودي وتضغط أمريكا على دول العالم، وتربط المساعدات بالسماح بهجرة اليهود، وتشجع إسرائيل على رفض عودة الفلسطينيين.

كل هذا وأمريكا تتطلع لحكم العالم وإقامة إمبراطورية، تفتقد العدالة وتعمى عن الإرهاب الإسرائيلي اليومي... وفوق ذلك تتساءل لماذا لا نعشق سياستها، ولماذا نكره إسرائيل..!!

سلام أم استسلام

منذ قامت إسرائيل وهي تتفنن بالسلام، لتظهر العرب وكأنهم (أبطال حرب) وما إن رفعت أمريكا «الهراوة» بعد حرب الخليج الثانية حتى هروا العرب الأحياء والأموات، والكل راح يعلن عشقه للسلام، وهنا انكشف الزيغ الإسرائيلي - الأمريكي.

وبعد أن صارت إسرائيل القوة الكبرى ذات المخالب النووية وجدت أن السلام يشكل عبئاً ثقيلاً، وله متطلبات لا معنى ولا ضرورة لها وله.

من هنا بدأ التهرب من السلام ومتطلباته، ويساعد في ذلك الحليف الأمريكي سراً وعلانية... (د. إيان لوستك) في كتابه «الأصولية اليهودية»^(١) يسجل هذا الموقف من سلام عابر وسلام حقيقي عندما تحقق إسرائيل كل مطالبها في الأرض، والذي يسبق عودة السيد المسيح.

الدكتور (أبو ستة) يسجل أن المخطط الإسرائيلي يعترف بقلّة البدائل، مع التركيز على مبدأين أساسيين هما:

الأول: يتمثل بتعزيز الأمن القومي لإسرائيل، وذلك بضمان التفوق العسكري على العرب جميعاً وعلى المنطقة كلها.

الثاني: ضمان الملكية القومية على الأرض، مما يعني احتلال المزيد منها، إذ الأرض في فلسطين ملك للشعب اليهودي، وفق أي قانون؟

(١) الأصولية اليهودية، ص (٩٥).

كيان فلسطيني وليس دولة

يلاحظ أن المخطط يتحدث دوماً عن (كيان فلسطيني) يكون مقيد الصلاحيات في موضوع الجيش والأمن، ويزيد: من المحتمل توحيد هذا الكيان مع الأردن في فيدرالية أو كتفدرالية.

يفسر أبو ستة ما تقدم بأنه تجميع للفلسطينيين في معسكرات اعتقال كبيرة بحيث يتديرون شؤونهم الداخلية، مع حراسة إسرائيلية على الأسوار والبوابات، وليس للفلسطينيين سيادة على أرضهم أو ما فوقها أو ما تحتها أو حدودها أو علاقاتها مع العرب والعالم.

هكذا يرسم المخطط وضع «الكيان»، وعلى الفلسطينيين قبوله أو رفضه، هذا هو السلام ولا شيء فوقه ولا شيء معه ولا شيء بعده !!

ثمن السلام

مع هذه الصورة الكالحة للسلام يتوقع «المخطط» أن تدفع الدول العربية والإسلامية لتوقيع معاهدات مع إسرائيل، تعترف باحتلالها الأراضي العربية وبإسقاط الحقوق الفلسطينية، ورضا الفلسطينيين بكيان تقتصه السيادة، وستكون الحدود مع الدول العربية مفتوحة للإسرائيليين وبضائهم مغلقة أمام العرب وبضائهم.

ويقترح المخطط (١٣) نقطة محصنة على خط الهدنة، مجهزة بكل الاحتياطات الأمنية، لضبط الدخول والخروج للبلاد العربية، لكن لا يسمح بدخول العرب لإسرائيل. هذه البوابات تنصب على حائط حديدي حول إسرائيل، على حدود غزة، وشمال وجنوب القدس، وعلى حدود الضفة الغربية.

بعد هذا تبدأ «أحلام القحط» وكلها تدور حول «الفيران».

جرد المغانم

بعد كل ما تقدم حول الكيان «الهزلي الهزلي» تأخذ الأحلام طريقها لتعداد المغانم والمرايح، عسى أن يتعطف الشعب الإسرائيلي ويتلطف الشعب الأمريكي فيوافق على هذا المشروع... إنه «تسويق» حذر: لأن الشعب الإسرائيلي لا يريد السلام ولا يؤمن به، ويجد كامل التحريض ضده في أمريكا.

فما هي المغانم الكبرى التي تسوّغ أو تسوّق هذا المشروع «العظيم»؟^(١)

١- قيام مشاريع مشتركة بين العرب وإسرائيل، العرب يقدمون الأرض والمال وإسرائيل تقدم الخبرة.

٢- الأمر يتطلب قيام طرق وسكك حديد ومشاريع لاستغلال المعادن، وإنشاء منشآت سياحية . طبعاً وفق مواصفات معينة .

٣- العرب يزرعون . وسوف تنقلص الزراعة . وإسرائيل تقوم بخدمات مثل التعليب والنقل والتصدير .

٤- ستصبح إسرائيل مقراً للشركات متعددة الجنسية .

٥- ستكون إسرائيل الوكيل العام للشركات الغربية في الوطن العربي .

٦- في مقابل هذه «المغانم» ستسمح إسرائيل للعمال العرب بالدخول إلى إسرائيل للعمل فيها .

هذا الجود «الحاتمي» هو كل ما تعهدت وتتعهد به إسرائيل بدخول خدم أو «عبيد» عرب بعد أن انتهى عهد الرق منذ مئات السنين!

(١) إسرائيل (٢٠٢٠م)، ١/٢٧.

ولأن كل ما تقدم لا يفري الفرد الإسرائيلي بقبول السلام: لذا لا بد من تقديم مسوغات أخرى مثل:

١- تدفق المهاجرين اليهود، حيث لا قتل ولا قتال: لذا سيصل إسرائيل نصف عدد يهود الشتات.

٢- ستنتهي المقاطعة العربية نهائياً، وستتدفق الاستثمارات، وتفتح الأبواب الواسعة لإسرائيل.

إذا لم يتحقق السلام الكسبح

يدرس «المخطط» جملة احتمالات منها عدم تحقق السلام «الكسبح» بالشروط الإسرائيلية، فما العمل، وما الذي على إسرائيل أن تفعله^(١)؟

١- إعادة احتلال غزة والضفة الغربية، وتفكيك أجهزة السلطة.

٢- سيهرب عشرات الألوف من الفلسطينيين إلى الأردن.

٣- يجب زيادة الاستيطان خصوصاً حول القدس، وشريط خط الهدنة عند قتلبيه وطول كرم في الشمال.

٤- تجميد اتفاقيات السلام مع مصر والأردن.

٥- اجتياز ما يعرف بالحدود الآمنة لإسرائيل.

٦- منع وجود أسلحة فاعلة أو دفاعية تمنع الحركة الإسرائيلية، ومع كل من سوريا ومصر والأردن ولبنان.

٧- سيحصل توتر وتجدد العداء في غور الأردن مع مناوشات واختراق حدود قد تؤدي لإعادة احتلال جزء من سيناء.

(١) المرجع السابق، ٢٨/١.

٨- هناك احتمال لفرض عقوبات دولية على إسرائيل، بسبب احتلالها لغزة والضفة.

٩- هناك احتمال حظر للأسلحة؛ لذا على إسرائيل أن تعتمد عل نفسها.

١٠- ستوقف الهجرة لإسرائيل.

١١- ستعاني إسرائيل من أزمة اقتصادية كبيرة.

١٢- سيحدث ضغط على إسرائيل لاستئناف المفاوضات مع الفلسطينيين.

١٣- ستضطر إسرائيل للعودة للمفاوضات، ولكن بعد تحطيم المجتمع الفلسطيني، وإفقاده عناصر قوته، عندها تتفاوض إسرائيل بشروط أفضل... أهـ.

صورة واضحة لما يجب على إسرائيل أن تفعله عند وفاة «السلام الكسيح» والذي نرجوه ونتمناه أن يموت «الكسيح» ولو بحمى البقر أو أنفلونزا الطيور أو سواها، وأن تسارع إسرائيل لإلغاء معاهدات السلام مع مصر والأردن العلنية وباقي المعاهدات السرية.

الاحظ أن المخطط يتجاهل كلياً مقاومة الشعب الفلسطيني، وكأنه شعب مات وليس له وجود، ولا حركة ولا إرادة.

الاحظ كذلك أن ثقافة الشعب الإسرائيلي تدور حول الحرب؛ لذا جاء (المخطط) ليسوق له السلام الكسيح على خجل واستحياء، فمن تربى على الحرب والقتل نصف قرن، فلن يتحوّل نحو السلام، ولو كان «كسيحاً» هزياً، وسيسجل التاريخ أن أمريكا والكثير من شعبيها كان ضد السلام في فلسطين، وهم يتطلعون لتفجير الحروب، على أمل أن تكون مقدمة لعودة السيد المسيح حيث يقتل اثنان من كل ثلاثة أنفس في العالم، وتسيل الدماء حتى تصل رؤوس الخيل - كما سبق ..

إن سلاماً ظالماً كسيحاً لن يكون سلاماً، ولن يقبل به الشعب الفلسطيني الشجاع، ولن يفتتح به أحد في المنطقة باستثناء «أيتام أوسلو» ووكلاء التطبيع، وتجار الاستسلام من الجبناء.

إن مصير الشعوب لن يكتب هكذا، وإذا أمكن أن يفرض السلام الكسيح في أي مكان في العالم، فلن يفرض على الشعب الفلسطيني الشجاع، ونذكر بقول بعض اليهود: «يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جِبَارِينَ وَإِنَّا لَنْ نُدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ» (المائدة: ٢٢).

إن شعباً مجاهداً يقدم تضحيات منذ نصف قرن لن يستسلم ولو قادتته شجاعته للقاء.

حائز على جائزة نوبل يتهم

(هارولد بينتر) الكاتب المسرحي البريطاني المعروف، وجه تهماً خطيرة للإمبراطورية الأمريكية، خلال تسلمه جائزة «نوبل» إذ قال^(١): الحكومة الأمريكية أيدت أو أنشأت دكتاتوريات عسكرية «يمينية» في العالم، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ابتداءً من أندونيسيا واليونان وأورغواي إلى البرازيل وبارغواي وهايتي وتركيا حتى الفلبين وغوانتيمالا والسلفادور وتشيلي، وقد قتل مئات الألوف بسبب ذلك.

واليوم في معتقل غوانتنامو حيث يمتلئ المئات منذ سنوات دون تهمة ومصادرة لحقوق الدفاع، وهذه تصرفات غير شرعية وتناقض اتفاقات (جنيف).

أما احتلال العراق فهو عمل عصابات وإرهاب دولة، يعكس احتقار القانون الدولي... وقد شنت الحرب استناداً إلى سلسلة من الأكاذيب، أما هدفها فهو تعزيز سيطرة أمريكا سياسياً وعسكرياً على الشرق الأوسط، بزعم تحرير شعوب المنطقة... أهـ.

(١) صحيفة الحياة في ١٦/١٢/٢٠٠٥ من مقال لجهاد الخازن.

اتهامات خطيرة، يقابلها لا مبالاة أخطر وأكبر، فالذين اختشوا ماتوا، ودعاة الإمبراطورية لا تهمهم سمعتهم ولا سمعة بلادهم، المهم أن ينفذوا ما يرون، وماذا فعل هتلر وموسليني وستالين أكثر من ذلك؟

وشهد شاهد

المؤرخ الأمريكي الكبير «آرثر شلبنجر»^(١) يتحدث عن الإمبراطورية الأمريكية أيام الرئيس (بوش) فيراها قريبة جداً، وإلى حد مرعب من سياسة الإمبراطورية اليابانية في زمن «بيرل هاربر». حين قصفت الموانئ الأمريكية؛ لذا لا غرابة في أن يكون الرئيس بوش يشكل خطراً على السلام العالمي، أكبر بكثير من الخطر الذي يمثله «صدام»... أهـ.

حقائق موجعة خصوصاً وهي تصدر من مواطن أمريكي له وزنه العلمي والمعرفي وصراحة مؤلمة لو كانوا يسمعون !!

ناهوس خطر يدق بقوة، ولكن القوم جعلوا أصابعهم في آذانهم فما الحيلة؟

الحب أنواع والعداوة كذلك

المحبة أنواع والعداوة كذلك، وإذا كانت المحبة تبدو أحياناً غير مفهومة فالعداوة ليست كذلك، بل لها أكثر من سبب، وعلاجها يكون بحسب السبب، وليس بتجاهله أو البعد عنه أو «الزوغان».

١- عداوة أساسها العقيدة، وهذه أمرها عسير وتجاوزها صعب، والمثل القريب للذهن الكنيسة الشرقية والغربية، والعلاقة بين اليهود والكنيسة الكاثوليكية، وأخيراً العلاقة بين الاتحاد السوفيتي والغرب وأمريكا وكوبا... هذا النوع يصعب تجاوزه والتخلص منه، حتى ينتهي طرف أو تحل به هزيمة ساحقة.

(١) الخطر الاخضر، إبراهيم نافع، ص (٣٢).

٢- عداوة سياسية وهذه هي الأخرى لكنها الأكثر اليوم، لكن يمكن معالجتها بتعمق، والمثل القريب ما حدث بعد الحرب العالمية الثانية بين الغرب وألمانيا وإيطاليا واليابان (دول المحور)، فغالباً ما يكون خلف ذلك صراع سياسي على نفوذ، فيطلب الأمر معالجة مناسبة لينتهي الأمر.

٣- عداوة اقتصادية سببها المال والنفوذ المالي كما نجد ذلك بين اليابان وأمريكا، والصين وأمريكا، وربما غداً بين أوروبا وأمريكا أو بين الهند وأمريكا.

٤- عداوة سببها أكثر من سبب، حيث يمكن أن تكون العداوة عقائدية واقتصادية كما هو الحال بين أمريكا وكوبا، وهنا يكون الأمر أكثر صعوبة في الحل والاحتواء.

٥- هناك عداوات متغيرة، من عقائدية تتحول إلى سياسية وبالعكس، ويمكن أن تكون العلاقة الأمريكية الإيرانية كنموذج لهذا التذبذب والتغير، في زمن الشاه كانت إيران «صديق الروح» لأمريكا، فلما ذهب الشاه تحولت إلى عداوة سياسية حادة، خصوصاً خلال حصار السفارة الأمريكية بطهران واقتحامها ودخول إسرائيل على «خط التسخين» وبعد اجتثاث «البهائية» من إيران وقتل رجالها، بلغ التشنج الإسرائيلي مداه.

خف العداء بعد المعاونة الإيرانية لفرز أفغانستان والمراق، ثم عاد التصعيد مجدداً بسبب التدخل الإيراني في العراق، وبسبب النشاط النووي الممنوع في المنطقة، إلا إسرائيل وحدها.

يتساءل الكثير: إلى أين يسير التصعيد، للحرب والضرب أم إلى اتفاق على

تقاسم النفوذ؟

يتردد كثيراً: لا توجد صداقات دائمة ولا عداوات دائمة، بل توجد مصالح تحكم العلاقات.

هذا الكلام صحيح فيما يخص العداوة التي سببها سياسي أو اقتصادي، أما العداوة التي سببها «العقيدة» فليس كذلك.

وربما كان «الشدوذ» الوحيد هو علاقة اليهود بالنصارى. فقد تحولت أخيراً خصوصاً مع «البروتستانت» إلى عشق صوفي يصعب فهمه، إلا ما يطرحه الصهاينة الإنجليبيون من أهل البيت الأمريكي، بالربط بين قيام إسرائيل وعودة السيد المسيح. واستعادة قرامة (رؤيا يوحنا).

يمكن التساؤل: هل هذا زواج كاثوليكي لا طلاق بعده، أم زواج «متعة» لفترة معينة، ويذهب كل طرف لوجهته؟

والذي يهمننا هنا: هل العلاقة بين أمريكا والعراق عشق وغرام أم موت زؤام، وعداء تهيجه إسرائيل واليمين الصهيوني، أم علاقة منفعة أساسها النفط، والنفوذ السياسي الإمبراطوري، وجعل العراق «وتد جحا»؟

كل جماعة متنفذة في أمريكا ترى في العراق أمراً يخصها ويعنيها وقد لا يعني غيرها، والأمل أن ينتفض الشعب الأمريكي كما انتفض على الحرب في «فيتنام» ويسوق اليمين المتطرف نحو التقاعد، ويحكم عليه بالفشل الذريع، وينسى الأمريكان عودة السيد المسيح، والأحلام «المنفوطة»، ليمود العراق فيصلح الخراب الذي حل به، والذي أعاده إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى.

لقد شهد العراق هجمات «بريرية» عسى أن تكون الهجمة الأمريكية آخرها، وإن كانت الأشنع والأسوأ، نعم إنها الأسوأ نوعاً وتوقيتاً، فمن هولاءكو إلى الرئيس بوش سيحفظ العراقيون ما حل بهم وبيلادهم، وسيطلب الأمر السنين الطوال كي

ينسى المراقبون معاناتهم، والذل الذي حل بهم وبارضهم وسيبقى أهلنا في العراق يتذكرون الحصار الذي ضرب عليهم، فكان حصاران، حصار من النظام المراهق الفاشل، وحصار من أمريكا وحلفائها، حصار كأنه المعنى بقول الصحابي الجليل «جابر بن عبدالله» إذا يقول: يوشك أهل العراق أن لا يُجبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل المعجم، يمنعون ذلك، ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يُجبى إليهم دينار ولا مُدى. والمد الحفنة. قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل الروم، ثم أسكت هُنية ثم قال: قال رسول الله عليه السلام: يكون في آخر أمتي خليفة يعثي المال حثياً، لا يعده عدأ. (أخرجه الإمام البخاري الحديث (٢٩١٢)).

وربما تكون الرواية من قبل «الأعاجم»، والعرب تعتبر كل غير العرب أعاجم، أما المعجم فهم الفرس كما هو معروف، وقد يكون «الراوي» ذكر المعجم ونسي «الأعاجم»، فالرواية تجوز بالمعنى. كما هو معروف ..

أحياناً أود طرح بعض القضايا عسى أن نجد من يفسرها، خصوصاً من «بني علمان»، ثم أتذكر المثل الشعبي المصري «ثور الله في برسيمو» فأتراجع، إن جل إخوتنا «إياهم» بين أمة لا يفهم شيئاً، وبين عاشق لا يعرف مبرراً لعشقه، وبين تابع اتعبه الركض حتى حفيت منه الأقدام.

أذكر أن في اليابان حزبين شيوعيين، أحدهما روسي الهوى والفرام، والثاني صيني القلب والوجدان، وقد وضعت اليابان «سياسة» كي تستثمر الحزبين، فكل قضية مع روسيا يكون «العرب» الحزب الشيوعي الروسي، وهكذا تعمل دوماً، أما رجالنا من «بني علمان» فتثور الله في برسيمو، لا من نساء الفراش ولا من نساء المعاش، لا يحسنون إلا النواح والصراخ، ونظم القوافي في هجاء الأمة وتاريخها وكل ما تملك، ولا شيء فوق ذلك والشكوى لله تعالى.

من عبادة الأصنام إلى عبادة الدولة

الإنسان مخلوق صاحب أشواق روحية، ابتدأ حياته يصنع صنماً ثم يعبده، ولعل الأظرف من ذلك أن بعض العرب في الجاهلية كان يصنع صنماً من «تمر» يحمله معه فإذا جاع أكله... الإنسان عبد الطواطم والأوثان والأصنام والبقر والعجل «الذهبي»، ثم جاء «هيجل» ليطالبنا بعبادة الدولة، ذلك «المطلق».

يقول د. عبدالوهاب المسيري^(١): إن الدولة أصبحت «المطلق»؛ ولذا طالب هيجل أن يعبدها الإنسان، كما لو كانت إلهاً سماوياً... أهـ.

لو عاش «هيجل» إلى يومنا ورأى فساد بعض الدول لفضل عليها عبادة العجل أو البقرة أو بوذا... الإنسان يريد إلهاً يعبد؛ ولذا فهو إما يعبد الله خالق الكون وسيده، أو يعبد المال أو الجاه، أو يعبد هتلر أو ستالين أو ماو، أو يصنع إلهاً من «الشكلاطه» ثم يأكله إذا جاع.

الإنسان «اخترع» الدولة وتنازل لها عن الكثير من حقوقه لتتشر العدالة وتحفظ للإنسان حياته وكرامته وأمنه وعرضه، لكن الذي حصل أن الدولة كبرت وكبرت، وضربها الفساد والمحسوبية والرشوة، فصارت «علة» من علل المجتمع... قديماً وقف شاعر لوذعي ليطلبنا على مفارقة كبيرة فقال:

وراعي الشاة يحمي الذئب منها فكيف إذا كان الرعاة هم الذئاب؟

من له غنم ترعى في الفلاة يتخذ كلب حراسة ليعرسها، ويدفع اللصوص والذئاب، هذا الأمر يستوي فيه مؤمن وكافر، لكن الجديد أن يتحول «الحاكم» إلى ذئب.

ثمة قصة رمزية تتداول: أن أهل قرية كان لهم قطيع غنم يرعاها راع، وكلما نقص عدد الغنم قال الراعي: أكله الذئب، فقرروا أن يصحب الراعي كلب حراسة،

(١) دفاع عن الإنسان، الطبعة الأولى، ص (١٨٩).

لكن فقدان أو نقصان الفئم مستمر، وحين سنل الراعي أجاب: ذهب الذئب لكن كلب الحراسة تولى ذات المهمة.

كان في العراق نظام هواياته قتل الناس وحبسهم وتعذيبهم وتجويعهم. فجاء من يقول للعراقيين: أنا مستعد لتخليصكم من كل ذلك، فلما سقط النظام وجد العراقيون «كلب الحراسة» يفتك بهم وبأمنهم ودمائهم، ينهب ثروتهم ويسلط عليهم ذئابه، يضربهم بطائراته ويكل ما يملك، ثم يمتن عليهم بأنه خلصهم من الطاغية.

نعم خلصتنا من طاغية «صغير» وحزب مراهق، لتسقط في طاغية أكبر وأحزاب أكثر مراهقة، وأعظم «شبق للدماء» وأكثر شرهاً للمال والجاه، فكنا كمن يعالج الصداق بجرائم الطاعون.

وصدق الله إذ يقول^(١): «إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاضَ أَهْلِهَا أُذًى وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ».

إن من يحتل بلدًا يحتاج إلى من يعاونه من أهل البلد، فيعمد إلى قلب المجتمع بحيث يجعل أعلاه أسفله، يرفع الأسفل إلى أعلى السلم، كي تدين له الطبقة الجديدة بالولاء، فتشعر أنه ولي نعمتها، بفضلها تصول وتجول، تنهب وتسرق ولا من يحاسب؛ لذا تكون «الطبقة الجديدة» خسيصة في أصولها وفي سلوكها وفي أهدافها، وربما كانت حاكمة تمتل الناس ثم تقتلهم وترميهم خارج المنطقة التي يمرهون بها، بعد أن تجردهم من كل ورقة تعرّف بهم.

إنه «الذئب» صار يرعى الفئم، فيوفر لها القتل والسلب والنهب والرعب!

والسؤال: ألها قامت الدولة وأنشئت، أم لهذا أريد التغيير والتبديل؟

(١) سورة النمل، الآية: ٢٨.

إفرازات الدول العلمانية

ما دمنا في الحديث عن «رعاية الذئاب» وعن الدولة وتسلطها حتى صارت «عندنا» تحولاً يخافه الناس، ويدعون الله أن ينجيهم من شرها؛ «عبدالإله بلقرز» الكاتب والمفكر المغربي لفت انتباهه أن «العلمانية» غريبة على مجتمعاتنا؛ ذلك أن الدولة «الثيوقراطية» الدينية، لم يمررها الإسلام ولا المجتمعات الإسلامية، فالدولة في الإسلام مدنية لا يحكمها «معصوم»... لا فرق في ذلك بين دولة الخلفاء الراشدين أو الدولة الأموية أو العباسية أو العثمانية، أما النموذج العلماني الذي عرفته الدول العربية الحديثة، فقد جاء نتيجة زراعته سياسياً في حقل «نابذ»^(١) فتسبب بصنع «تشوهات» في الدولة خطيرة، كما صنع مشكلات وأزمات وضمت استقرار الوطن ووحده أمام امتحان عسير، ولوحظ كيف أن البلاد «الأكثر علمانية» مثل مصر الخديوية والناصرية، ولبنان المارونية، وإيران الشاهنشاهية، وتونس البورقيبية، وجزائر جبهة التحرير، وتركيا الكمالية، كلها أفرزت أشد الحركات السياسية الدينية معاداة للعلمانية، بل أكثرها دفاعاً عن فكرة إعادة التوحيد بين السياسي والديني من خلال تطبيق شعار «تطبيق الشريعة الإسلامية»، وهكذا أخفقت (العلمانية الكسيحة) في أن تحقق قضيتها، التي من أجلها تبلورت، ولم يكن إخفاقها يتجلى في تأثيرها «الشاحب» والباهت في النظام الاجتماعي، وفي علاقة هذا النظام السياسي فحسب... أهـ.

قد تكون العلمانية ناجحة ومفيدة في المجتمع الغربي لأسباب تتعلق بذلك المجتمع وطبيعته، لكن لا يشترط أن تنجح في كل المجتمعات.

(١) أسئلة الفكر العربي. طبعة أولى، ص (١٠٢).

القضية الثانية أن الإسلام يرفض العلمانية، كما ترفضها الديانة اليهودية مثلاً... وهذه القضية يدركها الكثير من الذين درسوا الإسلام، فهذا^(١) «ارنست تملنر» العالم الأنثروبولوجي يطرح تساؤلاً: لِمَ يكون دين واحد بعينه «الإسلام» على هذه الدرجة الملحوظة من مقاومة العلمنة؟

وكانت أطروحته: أن في الإسلام إيماناً دينياً عميقاً، بمعنى الدين المؤسس العقدي القادر على تحدي أطروحة (العلمنة) وبشكل كلي ومؤثر.

إن عالم الإسلام يظهر بوضوح أن من الممكن إقامة اقتصاد عصري، تخترق بشكل معقول المبادئ التكنولوجية والتعليمية والتنظيمية المناسبة، ويعمل على ضمها وتوحيدها مع الإيمان الراسخ، والتماهي مع الإسلام، بكل ما يملكه من قوة وانتشار، وقدرة قادرة على الاندماج في الذات... أهـ.

«روجيه باسكويه» في كتابه الرائع «إظهار الإسلام» الذي كتبه بالفرنسية وقامت دار الشروق القاهرية بترجمته للمربية ونشره يقول^(٢): الوحدة هي المفهوم الرئيس للحياة في الإسلام، الوحدة الكلية، فالإسلام يشمل كل أمور الحياة، وهو يناقض نفسه إذا ترك أمراً خارج مداره.

ويظهر ذلك القصد الأساسي في كل أحكام الإسلام وشعائره، وفي مناهجه التي تشكل كل أنواع النشاط الإنساني، الذي يجمع التعدد حول «الواحد»، المحيط حول المركز، الإسلام يناقض «الثقافة الكمية» الحديثة في ميلها للتفتيت والتقسيم، وإنكار الوحدة؛ فالإنسان لم يعجز أن يعيش في انسجام مع رفاقه، وليس كما هو الحال في صراعتنا المعاصرة... أهـ.

(١) الإسلام والعلمانية، ممتاز الخطيب، (الحياة) في ١٧/١٧/٢٠٠٥م.

(٢) إظهار الإسلام، دار الشروق، ص (١٠٩).

الإسلام جاء عقيدة وعبادة وأخلاقاً وتشريعاً، والعلمنة تعني الاعتراف بالمبادء، وتصادر ما بعد ذلك وفوقه، وهي إيمان ببعض الكتاب واستبعاد لأكثره، وهي تمنى . في أبعادهما - التحول نحو عبادة الدنيا ونسيان الآخرة، من هنا اشتعلت الحروب، واشتدت الصراعات، واقتصر الأقياء الضعفاء وعدنا إلى بربرية لها مغالب «ذرية».

وقد آن أوان «تقويم» العلمانية، فمما يلاحظ أن الغرب يعمل جاهداً لفرض العلمانية علينا، فإن عجز حاول بمختلف الطرق أن يدفع العلمانيين إلى سدة الحكم، ولو كانوا غير مؤهلين، وقد أضر بهم هذا «التحالف» ضرراً بالفاً، بحيث صار وصولهم للحكم مستحيلاً عن طريق «صناديق الاقتراع» فاستمىض عنها بصناديق «التزلف والنفاق» فزادهم ذلك سقوطاً وارتكاساً، وصاروا وكأنهم من طبقة «المنبوذين» في الهند، وأسهم هذا في جعل خطابهم غريباً جداً.

خطاب فوقى يتمد شتم الأمة وفقدان الثقة بها كلياً، مع استدعاء الأعداء والاستقواء بهم، وكل ذلك يقتل ويفتال الثقة، ويجعل الجماعة أشبه بانتحار جماعي، فبدلاً من أن يدرس سبب الابعتماد والنفرة من العلمانية وأهلها، يصطنع خطاباً يزيد في المزلة ويقتل الثقة، وما هكذا تعالج الأمور!

انظر إلى الساحة من تركيا حتى المغرب ومن فلسطين حتى أندونيسيا، فلا أرى إلا هزائم متوالية للعلمانية ورموزها، أفلا يدفع ذلك (الواقع المر) لدراسة الظاهرة، ووضع اليد على مكان الخطأ والخلل؟

انظر للمراق وأفغانستان وفلسطين، بالرغم من الاحتلال، ومع ذلك فالعلمانية ورموزها في تراجع لا مثيل له، لقد دفع العلمانيون ثمن التحالف والاستقواء، ولن ينفع أن يقدمكم هذا الحاكم أو ذاك أو يفسح لكم الطريق.

من يداننا: أين الخلل

يوجد اليوم في الساحة الواسعة للعالم مواطنون كثيرة للخطأ والخلل، ومن مصلحة العالم أن يضع «أحد» يده عليه، حتى لا يقوم «حاوي أو دجال» فيصف الخلل بأنه صواب، أو يقوم مناقق كبير أو صغير فيسوق لنا الظلم على أنه عين العدل. وكفي لا يقوم كذاب أشر فيقول لنا إن الإرهاب الإسرائيلي مجرد دفاع عن النفس، وأن احتلال العراق كان لمنع الإرهاب ونشر الديمقراطية ليس إلا.. الصحفي «عبدالوهاب بدر خان» يتساءل: يا ناس أين الخلل⁽¹⁾؟

يبدأ حديثه باستنكار الاعتداء على كنيس يهودي، ويعتبره عملاً لا سامياً، ويطلب إبدانته، لكن هل يبزر هذا اللامبالاة إزاء الاعتداءات الأخرى. ويضرب لذلك مثله فيتساءل: ما القول في تدمير أكثر من جامع في رفح، وإطلاق النار على جامع في نابلس، والاعتحامات الشارونية للأقصى، والمذبحة في الحرم الإبراهيمي والمصلون سجدوا، ومثل ذلك الاعتداءات على جوامع في صفد وحيفا وطبريا، بل تحويل بعضها إلى (بازات) أو مقاه أو مطاعم، وما القول في حصار «كنيسة المهدي» وعدم النظر إلى حرمتها، بحجة وجود إرهابيين فيها؟

وهو يتساءل: هل هذه الجرائم مبررة لمجرد أن من يرتكبها «حليف إسرائيلي»؟ وهل أن الفلسطينيين الذين لم يتمرضوا لأي كنيس يهودي إرهابيون، لمجرد مطالبتهم بحقوقهم في أرضهم...؟

يا عالم، الخلل في السياسة الأمريكية واضح، وهو يجرح الأصدقاء والحلفاء... أهـ.

(1) صحيفة الحياة، ٢٢/١١/٢٠٠٢م.

الحقيقة لا تحرج ولكن (تقتل)، السياسة الأمريكية لها صديق واحد هو إسرائيل وكل من سواها لا وزن ولا قيمة لهم، رضوا أم سخطوا، فرحوا أو ماتوا حزناً وكمداً. قيل سنوات كان «كارل شميت» يدرّس في مدينة «كولون» الألمانية، وضع نظرية عرفت تحت اسم «مفهوم السياسي» جعل سيادة الدولة واستقلالها ترتكزان على التمييز بين «العدو والصديق»^(١).

بالمناسبة فإن أبا جعفر المنصور طرح النظرية نفسها قبل أكثر من (١٢٥٠) عاماً معللاً سرعة سقوط الدولة الأموية حيث قال: كان للأمويين أصدقاء وأعداء، أهملوا الأصدقاء ثقةً بصداقتهم، وتطلّموا للأعداء أملاً بكسب مودتهم، فلا احتفظوا بالأصدقاء ولا كسبوا الأعداء.

الولايات المتحدة اليوم تفعل ذلك على نطاق واسع، لا يهمها صديق ولا عدو، المهم أن تكسب صداقة إسرائيل وكفى، وكل ما عدا ذلك لا قيمة له ولا وزن!!

عندما يقتلهم الأمريكيون على إسرائيل

السياسة المنصرية النازية الإسرائيلية يراها العالم «صوت وصورة» مع كل نشرة أخبار، وإسرائيل لكونها محمية «بالفيتو الأمريكي» لم يعد ذلك يجرّجها أو يزعجها مجرد إزعاج، فالبيوت تهدم على ساكنيها في فلسطين، والأرض تجرف والقتل والاعتقال والاعتقال زاد يومي، وضرب الأماكن المزدحمة مثل غزة بقنابل زنة ألف رطل على قدم وساق، الإذلال على الحواجز، اعتقال الناس وربط عيونهم وأيديهم وتعذيبهم كل ذلك يسير ولا من معترض.

الجديد في الأمر أن القوات الأمريكية في العراق بدأت باقتباس هذه الوسائل الحضارية كلها، والإبداع فيها مثل ضرب حفلات العرس، وإطلاق النار على كل موجود متى استهدف جندي أمريكي واحد.

(١) حازم صاغبة. (الحياة) ١٤٢٧/٣/٢٩هـ.

صحيفة «لوس أنجلس»^(١) نشرت هذا «التلتمذ» الراقي في ٢٤/١١/٢٠٠٣م بنشرها تحقيقاً واسعاً عن «التعاون الأمني» المنقطع النظير بين إسرائيل والقوات الأمريكية، ونقل ذات الوسائل، بهدف قمع المقاومة العراقية، ومما أبرزته الصحيفة مشكورة، أن قادة الأجهزة في البلدين - أمريكا وإسرائيل - يفكرون بنفس المفاهيم، ويعملون بالتشاور وتبادل المعلومات... أهـ.

ومع ذلك فهناك «عميان» يتساءلون لماذا يكرهنا العرب ونحن طيبون؟

الفرق بين وضع الأمريكان في العراق ووضع الجيش الإسرائيلي أن في العراق جيشاً سرح، ومثله أجهزة شرطة، كما يوجد مقاتلون يقدرهم الأمريكان بأكثر من (٣٠) ألف، ويوجد في العراق (١٢) مليون قطعة سلاح - حسب ما يقوله الأمريكيون - والفلسطينيون محاصرون، والعراق مفتوح من كل الجهات.

تتميق الأكاذيب من مود إلى بوش

الإحتلال لعنة، ومن يقبل به ويتعاون معه «خنزير» نجس العين، في الحرب العالمية الأولى سقطت بغداد بعد حروب مشرفة، وجاء الجنرال «مود» فاتحاً وقدم بياناً حشاه بالوعود والعهود، ومع ذلك لم يخرج الإنكليز إلا بعد ثورات وانتفاضات، وبعد مضي أكثر من أربعين عاماً، وتكبير العراق بأكثر من معاهدة.

سقطت بغداد عام ١٩١٧م - ١٣٣٥هـ، وبعد (٨٦) عاماً أطل على العراق «بوش» بطلمته البهية، وحاول أن يجدد وعود (مود) بعراق ديمقراطي فيدرالي يشع على العالم بأنواره، وكان «المقبوض» دماء تسيل وحرب أهلية على وشك الاندلاع ولا ماء ولا كهرباء ولا ما سوى ذلك... موت ودمار وقتل على الهوية، وتهجير والقادم أكبر.

(١) صحيفة الحياة من مقال لعزمي بشارة في ٢٩/١١/٢٠٠٣.

الجنرال «مود» نشر على العراق منشوراً بالعربية والإنكليزية يقول^(١): إن الغرض من معاركنا الحربية دحر العدو . يقصد التركي . وإخراجه من هذه الأصقاع التي تحارب فيها جنودنا، إلا أن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم كقاهرين بل محررين، فقد خضع مواطنوكم منذ أيام هولاءكو ٦٥٦هـ لمظالم الفرياء، فتخربت قصوركم وتجردت حدائقكم، وعانت أسلافكم من الاسترقاق، وسيق أبتاؤكم إلى حروب لم ينشدها، وجردكم الظلمة من ثرواتكم، أولئك الأتراك.

إن أمنيات مليكي وشعوبه، وشعوب الدول العظمى المتحالفة معها تأمل أن تظلوا كما كنتم سابقاً، أرضكم خصبة، والعالم يتغذى بالبان آدابكم وعلوم أجدادكم، يوم كانت بغداد إحدى عجائب الدنيا .

لقد ارتبط قومكم بإيالات جلاله ملكي المعظم بعروة المصالح الوقتي، وتماطي تجار بغداد، وتجارنا منذ قرون الصداقة والمنافع، أما الألمان والأتراك فهم الذين نهبوكم وذويكم بعد أن اتخذوا بغداد مدة (٢٠) سنة مركز قوة يهجمون منه على نفوذ البريطانيين وحلفائهم في إيران والأمصار العربية؛ لذا لم تتمالك أن تضرب صفعاً عما يحدث في وطنكم حاضراً أو مستقبلاً، قياماً بواجبنا ومصالحة الشعوب البريطانية وشعوب حلفائها؛ لذا لا نستطيع المجازفة في دفع ما فعله الأتراك والألمان ببغداد في أثناء الحرب مرة ثانية، لكنكم أهل بغداد يا من يستوجب تأمينكم من الظلم والغزو أدق اهتمام حكومتنا، أبد الدهر، إن أمنية حكومتنا هي أن تحقق ما تطمح إليه نفوسكم وفلاسفتكم وكتابكم، ولسوف يسعد أهل بغداد حالاً، ويتمتعون بالفنى المادي بفضل نظم توافق قوانينكم المقدسة، وطموحاتكم القومية والفكرية، لقد طرد العرب الأتراك والألمان من الحجاز، الذين بقوا عليهم، ونادوا بعظمة الشريف «حسين» ملكاً عليهم، وعظمتهم يحكم بالاستقلال والحرية، وهو

(١) الفصل في تاريخ العراق، جماعة من المؤلفين، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ص (١٧٢).

متحالف مع الأمم التي تحارب الدولتين التركية والألمانية، وهذا هو حال أشرف العرب الذين راحوا ضحية في سبيل الحرية، على أيدي أولئك الحكام «الفرياء» من الأتراك الذين ظلموهم.... إن بريطانيا والدول العظمى مصممة على أن لا يذهب ما قاساه العرب الشرفاء هباءً منثوراً.

إن مأمولنا وأمنيتنا أن تسمو الأمة العربية مرة أخرى عظمة وصيتاً وأن تسمى كتلة واحدة وراء هذه الغاية.

يا أهل بغداد، تذكروا أنكم تألتم مدة (سنة وعشرين) جيلاً، حيث سعى الفرياء الظلمة دائماً بين أهل البيت ليستفيدوا من انشغالكم... توقيع: الفريق الأول ف.س. مود... أه.

حين كان هذا البيان ينشر كان الإنكليز والفرنسيون يوقعون معاهدة «سايكس بيكو» ويقسمون البلاد العربية بينهم، أما الحليف الشريف «حسين» فيوضع على متن باخرة لينفى إلى قبرص، والباقي معروف.

وبعد (٨٦) عاماً تطل علينا أمريكا، لتضرب العراق بكل ما لديها من أسلحة، ولتحتل العراق فتتشر ذات الأكاذيب الديمقراطية والحكم الفدرالي، وتكون العراق المنكوبة بالقتل والدمار نقطة إشعاع أو إشعال، قد تفجر المنطقة كلها وتضربها بزلازل أو إعصار لا يبقي ولا يذر، ومع ذلك ما زالوا يصرون على أن «مود الجديد» لديه خطط لنشر الحرية والديمقراطية، وهو عاشق للإنسان وحقوقه، وكذلك الحيوان والنبات والجماد، حتى الذباب والبعوض، وقل موتوا بفيظكم!!

فإلى الجنرال «مود» الجديد لم تنس بعد أكاذيبكم القديمة، فهل تطمعون أن تصدق أكاذيبكم الجديدة؟ والعهد قريب!

(نسخة من بيان الجنرال مود إلى السفير بريمر) فهل من جديد؟

وكلاء عميان يروجون بضاعة فاسدة

في الصفحات السابقة تحدثنا عن الجنرال مود وخليفته بوش، وقد وجدت الكاتب (فرج بو العشة) يتحدث بمرارة عن وكلاء يدبجون قصائد مدح وهجاء ثم يوزعونها توزيعاً غريباً، المدح والشاء والشكر للجنرال (مود) وخلفه الجنرال «موت»، والهجاء على طريقة الحطيئة الذي هجا الكل حتى نفسه وجماله القاتل، يقول الكاتب فرج، فرج الله عليه وعلينا وخلصنا من الجنرال مود «أو موت»، فرج يقول^(١):
إن الإدارة الأمريكية اليوم صنيعا (الأصولية المسيحية) المتصهينة، والمحافظون الجدد قد اختطفوا الديمقراطية من أجل الهيمنة الامبريالية، ورخصة للحروب، ولكن الجديد أن يقوم مثقفون عرب «متأمركون» بالترويج للمشروع الأمريكي باسم «تحديث العرب من الخارج» وتوصيل الديمقراطية إلى البيت . على طريقة بعض البقالات ..

الديمقراطية . يا سادة . نتاج غربي معروف، استحدث عندنا بواسطة السيد المستعمر، الذي اخترع أوطاناً، ورسم حدوداً، ونصب حكاماً، وصاغ دساتير، وأقام برلمانات، ولفق أحزاب بلاط وأحزاب معارضة، عبارة عن «إكسسوارات» لديمقراطية مصطنعة، تابعة لوصاية المندوب السامي... وذات يوم جاء «طويل العمر بريمر» ليعيد العملية مجدداً.

اليوم تتكرر اللعبة، حيث يمود الاستعمار في صورة احتلال مباشر للعراق ليعزز احتلالاً قائماً في فلسطين، فتظهر في الساحة طائفة من مثقفي «ديمقراطية رامسفلد» وبحجة نقد الأوضاع العربية المزرية حقاً، يستخدمون حقاً يريدون به باطلاً أمريكياً فيممدون إلى تسفيه تاريخ العرب، وتراثهم وثقافتهم وقبحهم، ثم

(١) الحياة في ٢٠٠٣/١١/٣٠م.

يحتبرون كره الشارع العربي للسياسة الأمريكية، يعتبرونه موقفاً عاطفياً انفعالياً، يتبناه غوغاء، إننا اليوم أمام متأمركين «يطوبون» غزو العراق «فتحاً مبيناً» جاء بالحق ليزهق الباطل، إنهم يؤلفون أناشيد في مدح النموذج الديمقراطي اللبرالي في العراق، ولعل كتابات السيد «هؤاد المعجمي» ترشحه ليكون الكاتب الأبرز.... أهـ.

موقف «رث» يجده الإنسان عقب كل هزيمة، وربما في كل أمة. وبدلاً من أن يقف المثقف مع أمته يشجعها على الصمود، فهو يعلمها النواح، النواح والبكاء والمويل، سلاح لبعض الناس، لكنه لا ينهض بأمه، ولا يقيمها من عثرة، ولا يأخذ بيدها، لكنه يسهم في قهرها، وإيصال الهزيمة إلى قلبها وتجذرها في نفسها، وهذه خيانة كبرى للمثقف ودوره في حياة أمته.

ما أسباب الكره

في الغرب كل قضية ولو كانت «بدهيه» تبحث وتدرس وتمحّص. لكن بعض القضايا تمنع دراستها بشكل سليم؛ لأن النتائج معروفة، ويتضرر منها نعر «عزيز».

والمثال القريب جداً قول أكثر من رئيس أمريكي: لماذا يكرهوننا ونحن طيبون؟

القضية ناقشتها أكثر من جهة، لكن التجاهل ظل هو الأساس والتهرب هو

المطلوب.

وقد رفعت الاستخبارات الأمريكية تقريراً إلى الرئيس «بوش»^(١) بينت فيه أن الانحياز الكلي لإسرائيل هو السبب الأول لكراهية العرب والمسلمين للسياسة الأمريكية؛ لذا فمن الضروري المسارعة لتعديل هذه السياسة، من أجل الحفاظ على المصالح الحيوية في المنطقة... أهـ.

(١) صحيفة الحياة في ١٢/١/٢٠٠٢م، من مقال افتتاحي لمرغان نظام الدين.

أولبرايت . وزيرة الخارجية الأمريكية . ومثلها الرئيس الأسبق «كارتير» يرى أن السياسة «غير المحايدة» تضر بالمصالح الأمريكية، ومع ذلك فإن هذه السياسة تزيد في الانحراف، وتغالي في استخدام الفيتو الأمريكي، وقد وصلت هذه السياسة حدها الأعلى في الانحياز بإعلانها الحصار على الشعب الفلسطيني؛ لأن (حماس) وصلت إلى الحكم، على حين لا تخلو حكومة إسرائيلية من صقور شاس، ومن ملوك العنصرية في حزب الليكود وكاديفا، ومليارات الدولارات تزخ على إسرائيل، والفيتو الأمريكي يحميها من كل أذى مهما صغر .

والإنسان قد يفهم هذا الانحياز المطلق لإسرائيل، ولكن كيف يفسر اصطفاً بعض العرب مع أمريكا وسياسة أمريكا؟!!

حتى الموقف الأوروبي الذي كان يتحرك على استحياء، انحاز للسياسة الأمريكية، وسار خلفها بعد أن كان يسير في ظلها .

فبالى المتسائلين جميعاً هذه أسباب الكره (وليس يصح في الأذهان شيء + إذا احتاج النهار إلى دليل) ويبدو أنه يحتاج إلى أكثر من دليل: والشكوى لله من هذا (العمى والصمم) في وقت واحد...!!

عندما صار الإرهاب نظاماً دولياً

أن يكون السلام هو «القاعدة» والخروج عليه «شذوذاً» مقبول، ولكن أن يصير الإرهاب هو القاعدة والقانون، وأن تمارس الدولة الأقوى، والحاملة ببناء إمبراطورية تقود العالم، فهذا تكون الطامة .

(جورج حداد) الكاتب اللبناني يتحدث عن صيرورة الإرهاب نظاماً دولياً، تتولاها الولايات المتحدة، وتمارسه بكل شوق وحرية، ثم ترضه على العالم فتلك قضية كبيرة إن لم تكن هاجمة، كتب «جورج» مقالة على شكل نقاط: (١)

(١) الحياة في ٢٠٠٢/١٢/٢م.

١- الإدارة الأمريكية الحالية، وخلفها الطبقة المحتكرة الصهيونية تتصرف لتأمين مصالحها، وفرض «زعامة» أحادية على العالم مستخدمة «الهجوم على الأبراج» كذريعة.

٢- القوة التي وقفت خلف التجبيرات، عبرت عن نفسها بهذه الطريقة، لكن الملفت للنظر أنه سبقها تجبيرات، لم تعط هذه «القيمة».

٣- قامت ضجة كبرى في العالم ضد العنف والإرهاب، مساندة لأمريكا ومجاملة.

٤- ظاهرة الإرهاب «هدف ووسيلة» هي مظهر من مظاهر العنف، الذي ينتشر في العالم طولاً وعرضاً.

٥- ومع الاعتراف بإيجابيات الليبرالية والديمقراطية «المجتزأة» وكل الجوانب التقدمية للثورة الصناعية والجوانب الإنسانية المشروطة للعولمة، فإن النظام الأمبريالي المعاصر، لا يمثل انقلاباً نوعياً معاكساً، على القاعدة الوجودية التاريخية «للعنف» بل قام بتكريسها.

٦- ذلك أن النظام يقوم على التمييز الاقتصادي المطلق: لذا كرس أشكال «التمييز» كافة، بكل ما تعززه من صراعات وآليات تحقق «العنف».

٧- إن الطبقة الطفيلية الأمبريالية . الصهيونية . ذات المصالح الضيقة تتخذ من الإنتاج المستمر والمتوسع وسيلة لتفوقها العسكري الكاسح، تتخذ منه وسيلة لفرض إرادتها على العالم، وتقسيمه قياساً على هذه المصالح، وبالقوة «المتجلببة» زوراً بالقانون الدولي، ويتجاوزوه حين ترغب وتريد، كما هي فلسطين والعراق.

٨- هذه الطبقة تعيد إنتاج الاستعمار وهمجيته بشكل مفضوح، بعيداً عن التطور التاريخي، وعن مصالح الغالبية من شعوب العالم.

- ٩- هذه الشعوب التي تخنقها الأزمة الاقتصادية للرأسمالية والتي ترفع شعار: (كل من ليس معنا فهو ضدنا) والمعنى: إما أن تخدمونا أو تموتون.
- ١٠- هناك اليوم همجات معاصرة، فقد عرف العالم «همجات» ضد دول مثل الدولة الرومانية والعباسية، فدمرت حضارات، والدافع كان الشعور بالفقر مع الدونية، ووجود قوة كبيرة تسمح بتقويض تلك الحضارات.
- ١١- شهد العالم مثلاً رمي الكتب بالنهر أو حرقها، واليوم يتكرر في العراق حرق المكتبات ونهب المتاحف والجامعات وحرق وزارات بكل ما فيها.
- ١٢- الحكومة الأمريكية تستحوذ حالياً على حصة الأسد من اقتصاد العالم، وهي بطريقتها للحصول على ما تبقى.
- ١٣- يجري العمل على تدمير البيئة واقتصاديات الدول الفقيرة، وجعلها تعيش على ما تقدمه لها أمريكا من معونات عينية، بحيث يتحطم اقتصادها.
- ١٤- قبل سقوط الاتحاد السوفياتي كان هناك نوع من «تقنين» للعنف، ومنع غير الشرعي منه، بما هي ذلك الإرهاب.
- ١٥- مع مضي الوقت صار الأمن والاستقرار من حق الأغنياء، دون الفقراء، والأقوياء دون الضعفاء... ومن هنا جاء الاستتار الكبير لتفجير الأبراج الأمريكية... ولو حصل مثله لفقراء لما حصل عشر هذا الاستتار.
- ١٦- لقد شهد العالم أمريكا تضرب بقوة ليبيا والسودان وأفغانستان وغيرها فلم يعم العالم ذلك الاستتار !!
- ١٧- بعض النظم في العالم سميد، بالإرهاب؛ لأنه يطلق يدها لتفعل ما تشاء في المعارضة والنظم المشاكسة، وأمريكا تريد تجفيف منابع الإرهاب ضدها وضد حلفائها، كما تريد استقلال ذلك لفرص مصالحها.

١٨- بعض حلفاء أمريكا يستعمل قوانين الطوارئ منذ أكثر من ربع قرن دون اعتراض، وإن جرى الاعتراض فهو يهدف تسجيل موقف فقط، وفي فلسطين فالإرهاب ما يفعله الفلسطينيون تحديداً، أما ما تفعله إسرائيل فمجرد دفاع عن النفس!!

١٩- معتقلون يموتون تحت التعذيب، أو بسبب الإضراب عن الطعام، فلا يذكرهم أحد... والمطلوب عسكري المجتمع، للحصول على مزيد من القمع، وإطلاق أيدي الشرطة لتفعل ما تشاء..

٢٠- يحدث هذا بشكل يومي لدى أصدقاء أمريكا - غير المغضوب عليهم - وأمريكا سعيدة بهذا القمع وهذه «الإنجاسات الكبيرة»، وهي تحرض على ذلك ليل نهار، لتخلص من الإرهابيين والمشاكسين المعاكسين، والعمل «لتدجين» الباقين (وإذا كان رب البيت بالدفع ناقرأ...)^(١) أهـ.

صورة مرعبة مخيفة، الكبار كالحوت يأكلون فلا يشبعون والضعفاء يختنقون، فإن تحركوا ضربوا بسيف الإرهاب، إرهاب الكبار المتاجرين بشعار «محاربة الإرهاب»... ما الذي يحدث لو شكلت لجنة لمحاربة «الفساد» من الفاسدين الكبار؟ سيطاردهم ويحاكم من يسرق «بيضة» ويفلت من يسرق الملايين، أفراد وجماعات يقبض عليهم، ويمارس عليهم تعذيب، فإما أن يعترفوا بجرائم لم يقترفوها فيحكم عليهم، وأما الموت يومياً تحت التعذيب، أو الاعتقال بسجون سنوات دون محاكمة وفي حبس انفرادي، فإذا أطلق بعد سنوات فإما أن يكون مجنوناً أو ممتوهاً أو نصف مجنون، أو مصاب بأكثر من عاهة.

والسؤال: أهكذا تكون قيادة العالم؟ أم هذا «سيرك» لترويض حيوانات متوحشة؟

(١) الحياة من مقال افتتاحي لجميل معرفي، ٢٨/١٢/٢٠٠٣ م.

بريجنسكي يتنقد سياسة بلاده

مستشار الأمن القومي الأمريكي «بريجنسكي» منزعج أشد الانزعاج من سياسة بلاده، ومن محتوى الخطاب السياسي «الرسالي» المتعالي على كل البشر، وهو ينقد هذا الخطاب نقداً عقلانياً، حيث يعتبر «إدارة بوش» تعتمد في خطابها السياسي والإعلامي الكثير من الكلمات غير المألوفة، والتي لها أسوأ الأثر على علاقات أمريكا بالعالم، ويضرب لذلك مثلاً اليمين الإنجيلي المتطرف، فسيتكرر جداً القول بأن دولاً «تكره الحرية»، فهذا مما لا يصدقه أحد. وتكون النتيجة فقدان «الصدقية» للسياسة الأمريكية، ومثل التحدث باسم الرب، وتنفيذ إرادته، فهذا الخطاب الديني لا يقبل من رئيس (علماني)، ومثل إن أمريكا يحسدها الفاشلون لغناها وقوتها، ولما لديها من العدل والحرية والمساواة والإرادة السماوية، فمن ينكر ذلك فهو عدو لأمريكا... أهـ.

هذا الخطاب لم يعد يسمعه العالم من (الفاتيكان) مثلاً، وهو خطاب «دراويش حنايش» كانوا يتعلمون في «تكية»، وليس كل ما يقال في «تكايا» مغلقة يصلح لدولة تريد إقامة إمبراطورية. وتتطلع لقيادة العالم والإبحار به صوب السلام والاستقرار!

في بلد عربي وفي ضيعة كان ثمة «درويش» أطلق عليه «شيخ حنا» رجل أمي لا علم ولا معرفة. استهواه «اللقب العظيم» فراح يتساءل باستغراب ويكرر ذلك: ما الذي حصل للناس حتى لم يعودوا يسمعون لأحد ولو كان «شيخاً»...!!

الذي حصل يا شيخ حنا أنه بعدما كثر «الشيوخ» ووصل إلى المشيخة «زعران» وراحوا يتحدثون باسم الله، سقطوا وسقط ما يقولون، فادع الله تعالى أن يخلص العالم من أمثال هؤلاء (الشيوخ)، وإلا فعلى العالم السلام يا شيخ حنا.

هل صحيح

مراسل صحيفة الحياة في لندن كتب^(١): خبراء إسرائيليون يدربون فرق اغتيالات خاصة تابعة للجيش الأمريكي مهمتها مطاردة وقتل رجال المقاومة العراقية، فإذا أضفنا لهذا نقل وسائل التعذيب وأولها وضع أكياس «الخيش» في رؤوس الناس، مع كل أصناف التعذيب الإسرائيلية، المنقولة عن وسائل التعذيب الروسية والألمانية الشرقية وغيرها، علمنا النهاية العظيمة للاحتلال الأمريكي، وكل احتلال.

إن العالم يمكن أن يحترم أو يحتقر دولة ما لحسن تعاملها أو حقارة ذلك، والتعذيب القائم في فلسطين والعراق وأفغانستان، وأي ممتل سري، يمكن أن يقتل أو يتسبب في جنون العشرات أو الألوف من البشر، ولكن هذا العمل الحضاري العظيم هل سيحل المعضلات التي يعاني منها الجيش الإسرائيلي أو الأمريكي أو أي جيش محتل؟ القضية لا يحلها التعذيب ولا القتل، ولا بد من البحث عن وسائل جديدة، ولنتذكر جيداً ما كان سائداً في روسيا وتوابعها، فهل نجح الأسلوب؟

محاولة للفهم

الناس قد يتفقون على الوقائع، لكنهم لا يختلفون في تفسيرها، من هنا نشأ «تفسير التاريخ»: فالناس لا يختلفون أن الدولة الأموية سقطت عام (١٣٢) هـ لكنهم يختلفون حول أسباب هذا السقوط السريع.

ومثل ذلك سقوط الدولة العباسية والإمبراطورية البيزنطية وغيرها .

واليوم مع انتشار وسائل الاتصال والمواصلات، ومع ذلك بقي الخلاف وربما زاد

وتوسع .

(١) الحياة في ١٠/١٣/٢٠٠٢م.

وما يحدث في عالمنا القريب داخل فلسطين وفي العراق وما حوله يسبب الحيرة، فما تقوله جهة تهدمه جهة ثانية، وما يدعيه طرف منتفع، ينفيه طرف متضرر، وخلال ذلك توشك الحقيقة أن تضيع، فإذا أضفنا أن دولاً كبرى راحت (تخترع) معلومات وأحياناً تسميها (حقائق) ثم تتشرها، ثم لو أضفنا الحرب الإعلامية وألتهها الكبيرة، وما يوظف فيها من مال وأكاذيب، علمنا كيف يمكن أن تختفي حقائق، وتروج أكاذيب، ويتقدم دجالون، ويختفي رجال أشرف.

على سبيل المثال يوجد مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في القاهرة وله أكثر من مئيل في العالم العربي وخارجه، أصدر «التقرير الاستراتيجي العربي» وأنجز الطبعة عام (٢٠٠٣)م... التقرير جاء موسعاً بحيث غطى أكثر من (٤٦٠) صفحة^(١) يهمننا هنا ما ورد عن (الأزمة الأمريكية العراقية).

فخلال عام (٢٠٠٢)م حتى الربع الأول من عام (٢٠٠٣)م حيث اشتعلت الحرب الأمريكية العراقية، وأول ما يلفت النظر أن النظام الدولي تطور بحيث صارت حركته تسير باتجاه صراع «إرادات» بين الولايات المتحدة وبريطانيا، ومعظم القوى العالمية من جهة، بالطبع لم يكن «الصراع» يتعلق ببقاء النظام السياسي الحاكم بالعراق، فهو كان يعيش أيامه الأخيرة، وكذلك لم تكن الترتيبات العسكرية والسياسية حول ما ينبغي فعله في العراق، ولكن الخلاف يتعلق بالنفوذ، وعلاقات القوى ببعضها.

فثمة قوة دولية كبرى تريد وتعمل للسيطرة على العالم، وقوى أخرى لا ترضى بذلك، وتعمل على منعه، وهذا التصارع شمل كيفية إدارة العلاقات الدولية وكيفية التعامل مع القضايا الساخنة في العالم.

(١) التقرير مسؤول التحرير عنه (حسن أبو طالب)، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

الإرهاب الدولي

يذكر التقرير أنه كان لسطو عناصر اليمين الديني السياسي، على إدارة الرئيس الأمريكي جروج بوش، نتائج سياسية «خطيرة» تمثلت بممارسة سياسة «محافظة» ذات طابع هجومي، وهو ما بلور لاحقاً مفاهيم (استباقية) تحمل نذر فوضى شديدة، في العلاقات الدولية، وفي توظيف كل شيء، من ثروة وقوة عسكرية، وعلى صورة «فجة»، وقد أصابت هذه الإستراتيجية قضايانا المربّية بمقتل، وعلى رأسها القضية العراقية والسودانية والفلسطينية والأفغانية...

هذا الشعار يصلح بنفسه أن يصنف بأنه «إرهاب»، فالعالم منقسم إلى معسكرين لا ثالث لهما: معسكر خير، يقابله معسكر الشر، ودول خيرة في مقابل دول مارقة، ودول محبة للحرية، ودول معادية للحرية وهكذا.

هذا التقسيم «الثاني» علقته بنفسه وبما يحمل من معان، وستكون له عواقب وخيمة على صراع القوى في العالم، وقد يدفع من جديد لتكوين قوى وتكتلات جديدة تعيد للعالم صورة ذلك الصراع بين الاتحاد السوفياتي والغرب الرأسمالي. وقد يدفع هذا نحو حرب كونية جديدة لا تبقّى ولا تذر، يقودها مهووسون وتجار حروب، وقادة يحلمون ببناء إمبراطورية جديدة، في زمن ماتت فيه الإمبراطوريات، وتفتت فيه دول صغيرة، ويفتقد فيه العالم (العدالة) وترتفع فيه آيات القوة، مع شعارات غريبة: أنا قوي فأنا على حق، وأنت ضعيف فلا حق لك!!

هذا التصور يمكن أن يسود في الغابة، أما الحضارة فلا تعيش مع هذه الشعارات، والمطلوب على الأقل لون من التماثل والتعايش بين (القوة والعدالة) وإلا فإن حضارة العالم ستتخس إلى «بربرية» جديدة، تفوق كل البربريات السابقة، وربما ترحم الناس على هولاءكو ونيرون وربما هتتر وستالين!!

القضية جد، ومستقبل العالم اليوم بأيدي «مهووسين» وتجار حروب، فإما أن يبعدوا عن القيادة، وإما أن يحرقوا العالم، والصراع على أشده، بين عقلاء يخافون ومجانين يجازفون، نسأله تعالى العافية والسلام.

أمريكا وإسرائيل من الجار ومن المجرور

ما طبيعة العلاقة بين أمريكا وإسرائيل؟ من يقود من؟ ومن يستعمل من؟ إن المواقف راحت تتطابق بين أمريكا وإسرائيل، حتى زالت الفوارق واختفت، ولولا ما يسببه هذا التطابق لنا من أذى، لما أشغل أحد منا نفسه بذلك، وكذلك فإن «القيتو» الأمريكي لم يعد يستعمل إلا ضدنا، ولمنع محاسبة أو لوم إسرائيل، وقد رفع هذا الدعم من عدوانية وعنصرية إسرائيل، فصارت تهدم البيوت على ساكنيها في فلسطين، فهتدم (٤٠٠٠) بيت على مدى أربع سنوات وتقتل من تشاء وتعتقل من تشاء، والعالم المناهق لا يزيد عن المطالب بضبط النفس، فإذا أخذنا بنظر الاعتبار ما نشرته الصحف المبرية، ومنها تقرير لمراسل «هآرس» من واشنطن أن الحرب على العراق أول ما طرح كان من قبل (٢٥) مفكراً أمريكياً من المحافظين الجدد «جميعهم تقريباً من اليهود...»^(١).

مستشار الرئيس الفرنسي الراحل «فرانسوا ميتران» له كتاب جيد عنوانه (اليهود: العالم والمال)^(٢) جاء فيه: لقد لقت التجربة اليهودية يهود العالم درساً يتوارثونه جيلاً بعد جيل، خلاصته: من يرد السيطرة على العالم فأمامه طريقان:

الأول: امتلاك المال.

والثاني: امتلاك الإعلام.

(١) صحيفة الحياة، ٢٢/٣/٢٠٠٣م.

(٢) حصاد الكتب. إعداد موقع الإسلام اليوم لعام ١٤٢٥هـ. ص (١٧٠).

ويضيف المستشار، وبالمناسبة فهو كاتب يهودي مرموق؛ ولذا فهو ليس متهماً، وهو يضيف موضعاً ما تقدم طرحه أن قادة أوروبا في القرن التاسع عشر كانوا أشبه «بالعرائس المتحركة» في أيدي اليهود، فحروب «بسمارك» مولها وشجعها رجال أعمال يهود، ومشروع السكك الحديدية في أمريكا قام به يهود.

ومع بروز الإعلام بأنواعه كقوة طاغية، اتجه اليهود لإحكام القبضة على أجهزته وفي كل دول العالم تقريباً، حتى لا تكاد تخلو مؤسسة إعلامية من وجود عنصر يهودي أو أكثر، كل ذلك مدفوع برغبتهم في «التسيد» على العالم، وتنظيف وتلميع السلبيات، وإضافة الإيجابيات، وكما يقول «جورج أورديل» بأن الروايات عندما تردد القضية بشكل متواتر، فالكذب يصبح حقيقة، لكن الجانب الأخطر في الموضوع كان يتمثل في إسكات الصوت المخالف أو المختلف مع الصوت اليهودي، ومحاصرة كل فكر يناقض فكرهم، ومن الأمثلة إجبارهم وزير التعليم الفرنسي على سحب درجة الدكتوراه من الباحث «هنري روك» في جامعة «نانت»؛ لأنه ناقش في أطروحته وثائق نازية، نافياً وجود أفران للغاز.

ويبحث «جاك» في نشاط اليهود الاقتصادي لينتهي: لولا المساعي اليهودية لما تحققت «العملة المؤمركة» أو الأمركة العمولة. لا فرق بينهما ..

بعد ذلك يتحول إلى موضوع الساعة الساخن «الإرهاب»، فيؤكد أن كل الشواهد تؤكد أن «حرية الفكر مخنوقه» هي العالم أجمع، وهي مهددة بشكل أو بآخر بنموذج العمولة، الذي فرض فرضاً على المرحلة الراهنة، مع رفض (الاختلاف) والتعددية في السياسة والثقافة.

ويحمل «جاك» قادة الفكر مسؤولية التردي الفكري؛ لأنهم أسرفوا في تأييد الإيديولوجيات المختلفة، واتخذوا مواقف متناقضة، تبعث على السخرية.

يقرر بعد هذا أن (العولة) اليوم تشهد الإرهاب الفكري من نوع خاص؛ فالعولة أو الليبرالية الاقتصادية صارت «الدين المسيطر» بعد أن صار العالم «سوقاً واسعة» وهي التي تقرر: ما هو دور السياسة إذن؟... أهـ.

قديماً كان يقال لنا ولغيرنا. يتوجه المبشر أولاً إلى أقطار الأرض، ثم يتبعه الجيش الاستعماري، ليوطد الأرض للاستعمار الاقتصادي.

اليوم يقال لنا ولغيرنا: افهموا يا... العولة تتطلب أسواقاً مفتوحة، وهذه تتطلب اقتصاداً قوياً، والكل يتطلب قوة عسكرية ناشطة، ومن هنا يدخل (شيطان الحرب) أو إله الحرب «مارس» عسكر مدجج بأحدث الأسلحة في خدمة الاقتصاد، واقتصاد قوي يمد العسكر بالمال، وتعود القضية إلى التساؤل: الدجاجة من البيضة أم البيضة من الدجاجة، والسؤال الجديد: ما العلاقة بين أمريكا واليهود، من الجار ومن المجرور؟

أمريكا وموجة الجنون

أسارع للقول بأن العنوان للكاتب والروائي البريطاني الشجاع «جون لوكاريه» فهو يقول بملء الفم: إن الولايات المتحدة تشهد «موجة جنون» هي الأسوأ، بين كل ما شهدته في تاريخها، ويحتمل أن تكون على المدى البعيد أشد وقعاً من حرب الفيتنام... وهو يعزو ذلك لمجموعة من الأزمات الكبيرة، كشرعية رئاسة بوش، وانهيار شركة «إنرون» وصلتها بالمسؤولين الأمريكيين، والانحياز الكبير للشركات الكبرى، وعدم الاهتمام بفقراء العالم، ولا المعاهدات الدولية، ثم العلة الكبرى وهي «الانحياز المطلق لإسرائيل» وما يجره من خطايا وبلايا.

ينتقل «لوكاريه» لذكر ما يسميه (الجانب المقزز في الحروب الاستعمارية الأمريكية للهيمنة على العالم) وهو ق هذا وذاك بروز «التفاق الديني» حيث يفتي به

المحافظون الجدد إرسال الجنود إلى القتال، وتعميم أن (الله أوكل إلى أمريكا إنقاذ العالم) وكل من يتشكك في ذلك فهو إما عدو للسامية أو عدو لأمريكا وإرهابي..

إن من يدرس سيرة «بوش» والمحيطين به سيكتشف تورط «الجماعة» في فساد الشركات الكبرى، التي من أهدافها البحث عن حرب جديدة تنقذها من الخسائر التي تضربها، وكفي تغطي على الفضائح والفشل السياسي والإعلامي...

يمتد (لوكاريه) ويشاركه كثيرون أن العراق لم يعد يشكل تهديداً لجيرانه، ولكن سوء حظه سببه وفرة (النفط) في بلده، وبكميات هائلة، يسيل لها لعاب أمريكا يمارسون أبشع الانتهاكات لها، ومعها الحريات والديمقراطية^(١)... أهد.

ومعلوم أن الجنون فنون، منه وعلى رأسه جنون العظمة، وعدم الاعتراف بخطأ ولو خربت الأرض، ومات من على وجهها، ومن الجنون «المراهقة السياسية» المتمثلة بتجاهل الواقع، ومعالجة الأمور بعيداً عن ذلك، وقد عرف العالم مراهقين عاشوا وماتوا كذلك، فجلبوا للعالم ولبلادهم الكوارث والويلات، وكان الواجب كف هؤلاء وإبادةهم عن السلطة، ولكن جيوش النفاق والمنتظمين ظلت تحول دون ذلك، فهي المستفيد الأول من هذا (الجنون) بالرغم مما يسببه من كوارث، ومن المفارقات أن «المراهق جنسياً» سرعان ما يتجاوز هذا الدور، لكن المراهقة السياسية تتجذر وتعمق مع مضي الوقت، حتى يصبح المصاب هو الزعيم الأوحدهم، والزعيم الملهم، والرجل الرجل، والأخ الأكبر، ألقاب تخترعها زمرة «النفاق» وتجدها يوماً بعد يوم، وكلما بليت أعيد ظليها بدهان «نفاقي» يعيد لها البريق واللمعان.

سمعت من اللواء «حسن النقيب» أن مجموعة من الضباط كانوا مجتمعين مع الزعيم الأوحدهم «عبدالكريم قاسم» في وزارة الدفاع، وفجأة جاء مرافق الزعيم وطلب بحماس وقوة أن يتحول الضباط إلى «شرفة»، وهناك أشار للقمر. وكان بديراً - وقال: انظروا صورة الزعيم على وجه القمر.

مسكين أيها القمر: فقد حولك النفاق إلى «مستودع» للدجل والشعوذة..!!

(١) المرجع السابق، ص (١١١).

الإرهاب: داء أم دواء

عنوان غريب دون شك، فالطبول تفرع دون توقف، والراقصون كلهم يلعبون الإرهاب، والفيلسوف الفرنسي «جان بودريان» يتحدث عن (ذهنية الإرهاب)^(١) الإرهاب قضية ذهنية، والغريب أن من يمارسه ليس كمن يمارس الحرب بجنود وقيادة، أما الإرهاب فإن «بودريان» يطرحه وسط فرضيات حول العنف والموتة والغرب والإسلام... الجديد لدى (بودريان) أنه ينص على أن النظام العالمي المهيمن يقتضي بالضرورة وجود «إرهاب» كي يستمر هذا النظام في العمل والسيطرة؛ لأنه «دون إرهاب» سينهار هذا النظام، فهل ثمة تواطؤ بين الإرهاب والنظام العالمي؟ وينبه (بودريان) أنه ليس بالضرورة وجود خطة مسبقة، لكن نظام الهيمنة والموتة والسلطة، يحمل في ذاته نقيضه..

والأمريكيون يحتاجون - في نظر الفيلسوف - لأن يكونوا ضحايا، كي يتعاطف العالم معهم، فيتخلص «الضحايا» من عقدة الذنب تجاه ما يفعلون، فكل ما يفعلونه رد فعل على (إرهاب مجنون)، وبالمناسبة فهناك مثل هندي يقول: فلان يقتل والده ليحصل على لقب «يتيم»..

في حرب «البعث» ضد البيشمركة الكردية جندت أكراداً وعرباً، تدفع لهم رواتب جيدة وتقدم لهم السلاح والذخيرة، بعد مدة اكتشفت الحكومة أن «الفرسان» وهذا «اسمهم» تفاهموا مع البيشمركة، بحيث يدفع الفرسان قسماً من راتبهم الحكومي مع بعض الذخيرة، كي تستمر الحرب ويستمر قبض الرواتب والذخيرة، بل صاروا يحاربون عقد أي هدنة أو وقف الحرب؛ لأن الحرب واستمرارها صارت وسيلة معيشة جيدة وجديدة.

(١) المرجع السابق، ص (١١٢).

فهل وصل الأميركيان إلى استثمار «جِنّ الإرهاب» المختفي، كي تشن أمريكا الحرب على من تريد، وحينما تريد؟

أولاً: لا ينكر وجود الإرهابيين، ولكن هل كل حرب تشن باسمهم تكون ضدهم؟

وماذا يسمى ما تفعله إسرائيل ضد الفلسطينيين من قتل وخطف ونسف البيوت على ساكنيها، وتجريف الأراضي، ومهاجمة المدن المزدهمة كغزة بالطائرات والمدفعية الثقيلة، وضرب المدارس وحتى سيارات الإسعاف، وترك الضحايا تنزف حتى الموت؟

أليس هذا إرهاباً متقدماً عالي المستوى، ومن دولة ضد مدنيين تحتل أرضهم، وهي مسؤولة عنهم حسب معاهدة «جنيف» وغيرها؟

يعود «بودريان» للحديث عن الموقف الافتراضي القائم على وجود قوة (غامضة) تهدد بالإبادة، كان موجوداً بالفعل في الذهن أو اللاوعي الأمريكي، وكان قائماً لديهم فقط، ولا يشاركونهم فيه أحد، حتى تحول الافتراض إلى حقيقة بفضل العنف والإرهاب، تلك هي أمريكا - كما تحسب نفسها - في ظل غياب الغير، وترمق نفسها بتعاطف يكاد يقارب «العتة».

وهناك رواية أخرى متطرفة مفادها: أن أحداث (١١ سبتمبر) هي مؤامرة إرهابية (داخلية) نفذها اليمين الأصولي المتطرف في أمريكا، بالتعاون مع الاستخبارات الأمريكية... ولكن لو كان التفسير حقيقياً، وثبت أنه من تدبير متطرفين أو عسكريين من أمريكا، فالمحصلة تعود لتصب في الافتراض الأول، وهو أن «النظام يحمل عناصر تدمير ذاتية، ويبقى علامة على عنف داخلي مدمر للذات، ليؤكد صحة الافتراض الأول».

يعتبر «بودريان» كل استراتيجيات الأمن ليست سوى (استكمال للإرهاب) وهو انتصار فعلي، ذاك الذي حققه الإرهاب، حيث أغرق «العرب في الهاجس الأمني» بحيث سقط في شكل مقنع للإرهاب المستمر.

لقد نجح (شبح الإرهاب) على أن يرهب العرب نفسه، فاتخذ من الإجراءات ما جعل الكل ليعيش هذه الحالة، والتي قد تدفع نحو حرب عالمية جديدة.

إن تحطيم (البرجين) لم يسقط الأنظمة السياسية أو الاقتصادية لكن الفريب أن النظام والإرهاب تحولاً معاً إلى (شبحين)، يتعذر إمساحهما، أو تحديد موضعها، وربما كانت هذه (المحصلة) هي ضربة الصميم التي تلقاها النظام... أهـ.

تفسير جيد لما حصل، فالإرهاب أفلح في صنع «قلق» كبير في العالم، تدفع النظم المليارات لدفعه وتوقيه، وتضع النظم والتشريعات لتفاديه، والإرهاب يبدو وكأنه غير مهتم بكل ذلك، لقد جعل العالم في توتر دائم، وخوف من مجهول قادم، الكل يده على قلبه، وهو يدعو (اللهم حوالينا ولا علينا) !!

وهذا يرضيه ويكفيه، حتى يضرب ضربة جديدة في مكان قريب أو بعيد.

وربما يمكن القول بأن (الإرهاب) يعيش ويقتات على فقدان العدالة وكثرة أخطاء النظم، فكل ذلك يصنع المبرر للإرهاب ويسر تجنيد شباب ليس عندهم من مال أو جاه يخافون عليه، ولا يمكن تخويفهم، فهم يرمون أنفسهم على الموت رمية، فمن يجلس في سيارة مفخخة يعرف سلفاً ماذا سيحصل له، ومع ذلك يقدم على نسف وتفجير السيارة، فمن ماذا يخاف؟

قس أعمى

أذكر أنني قرأت أن قساً إيطالياً كتب مستهجناً: كيف تقوم أم فلسطينية بتفجير نفسها؟ ولأنه أعمى البصيرة فالمفروض أن يجعل تساؤله: ما هو الضغط والأذى

الذي يحمل أمأ على تفجير نفسها وعلى ترك صفارها أيتاماً، هذا هو المفروض، ولكنَّه عمى القلوب، جعله يستنكر ما تفعله بنفسها، إن حب الأم لصفارها ليس فوقه حب، فإذا مورس عليها من الضغط ما يجعلها تنجر نفسها، فالمسؤول من دفعها لذلك دفماً، وهو ليس إرهابياً عادياً، ولكنه (ملك الإرهاب والعنصرية) غير منازع.

فهل يفهم الأب الإيطالي الأسباب وراء ما تفعله أم تترك خلفها أيتاماً صفاراً، ليس بسبب قلة «الحنان» ولكن بسبب الموت الذي تزرعه إسرائيل منذ نصف قرن وحتى اليوم.

وسكوت العالم وصمته على ما يحصل!

ولي أمر العراق يبيعه بسوق النخاسة

(بريمر) ولي أمر العراق تصرف مثل تاجر في سوق النخاسة، حل الجيش العراقي والشرطة وسرح الألوف بالشوارع وإن تظاهروا وطالبوا بحق أمر بضربهم، فقدم خدمة كبرى لا تشمن للمقاومة، وشجعه على ذلك، على حد قوله. بعض الأصدقاء ممن لديهم مليشيات طائفية أو عنصرية كي يحلوا مكان الجيش والشرطة، وربما صفق لذلك بعض جيران العراق... من المصابين بعمى الألوان !!!

الجديد في الأمر أن «بريمر» أصدر قراراً رقم (٣٩)^(١) ليعلن عن وجود أكثر من (٢٨) شركة حكومية عراقية معروضة للبيع، وباستطاعة أي شركة أجنبية أن تمتلك هذه الشركات أو البنوك كاملاً ومثلها بعض المناجم، وتحول أرباحها كاملة إلى خارج العراق.

وجاء الرد على هذا التصرف من «نوموي كلاين» في مقال نشر في صحيفة (الفارديان) ومجلة «ذي نيشن» جاء فيه: العراق ليس ملكاً للأمريكيين ليبيعموه... وقرار «بريمر» ينتهك القانون الدولي بما يجعله غير شرعي.

(١) صحيفة الحياة، من مقال لجهاد الخازن في ١٥/١٢/٢٠٠٢ م.

فالقانون الدولي والمعاهدات لا تسمح للمحتل أن يبيع ممتلكات (غير عسكرية) واستعمالها كيف يشاء.

(بريمر) استولى على أجهزة الجيش العراقي وسلاحه، ثم جرى تقطيعها بمناشير لتباع (خردة) سعر الطن (٣٥) دولاراً، والعائدات تقسم بينه وبين بعض المواطنين ليجرى بعد ذلك بيع معدات أمريكية بملايين الدولارات على العراق!

يقال . والمعهد على الرواة . إن طويل العمر (بريمر) خرج من العراق يحمل ملايين الدولارات... أما مخازن السلاح ففتحتها لمن يريد .

وبعد كل هذا وذاك يتساءل بعض العميان: لماذا لا يحبونا ونحن طيبون؟

كنا نحبكم قبل أن تزورنا ومعكم ملك الموت ووسائل التعذيب، والسلب والنهب، أما بعد اليوم فتحن نعتقد أن الله تعالى قد رضي عنا حين يفارقنا آخر جندي لكم، ومعكم كل أصدقائكم ووكلائكم، عندها سنعيد الحساب والتفكير فيما كسبنا وخسرنا، وستكون ذكراكم أمر من «الحنظل» ولن ننساكم حتى يموت جيل كامل.

عندما فتحت نافذة على جهنم

منذ سقطت بغداد بأيدي الجيش الأمريكي والناس يتساءلون: كيف سقطت بغداد بهذه السهولة، وفي مدة وجيزة؟

الجيش العراقي المنهك والمشكوك بولائه للحزب الحاكم، دفعه حاكم مدني لا يعرف عن الحرب شيئاً، وقرر أن يقود الدفاع عن بغداد هو وأولاده، وتعطف وتلطف فأشرك معهم وزير الدفاع، والذي كان مدرساً في كلية الأركان، وكلما اختلف الوزير مع أولاد صدام التزم صدام جانب أولاده ضد الوزير.

وكي يعلم الناس لماذا وكيف سقطت بغداد، أعود بالذاكرة إلى قدوم اللواء الركن نزار الخزرجي ، وهو بعثي قيادي غير أنه ضابط ركن محترف، جاء للممرة فنزرت مع بعض أصدقائه وسمعت من فمه، وقرأت ذلك في الصحف فيما بعد، حيث يقول الرجل: إن مكتبه في وزارة الدفاع اتصل به صباح الخميس وطلبه أن يحضر، سارع وفي وزارة الدفاع رأى «شنتشل» وزير الدفاع، وسمع أن القوات العراقية دخلت «الكويت» ليلاً، فمسأل الوزير، فقال: (علمي علمك) صدام المدني يرسل جيشه للكويت، دون أن يعلم وزير دفاعه ورئيس أركانه «الحزبي»، وسمعت من اللواء «وفيق السامرائي» أكثر من مرة أن صداماً كان يردد: لا تخافوا ليس هناك حرب، وحين يقال له إن الحشد في الكويت بلغ كذا وكذا يضحك ويكرر: لا تخافوا، (ماكو حرب).

وكنت ولا زلت أتمنى لو قاتل صدام كما قاتل أولاده ولم يستسلم، ويقول بأن الأميركيان أهانوه وعذبوه، وأن آثار التعذيب ما زالت على جسده. كرر ذلك أكثر من مرة خلال محاكمته.

«رجيف سيمونز» في كتابه «عراق المستقبل» ترجمته ونشرته دار الساقي بلندن وقلت بالتعريف به في مجلة «الفيصل».

رجيف كتب قائلاً^(١): دخلت الدبابات الأمريكية بغداد في غضون أقل من ثلاثة أسابيع بعد أن أطلقت القوات الأمريكية حوالي (٨٠٠) صاروخ توماهوك، مع (٢٠) ألف طلعة جوية، ألقت أكثر من (٥٠) قنبلة عنقودية، وأطلقت (١٢) ألف قذيفة ذات توجيه دقيق، واستخدمت قنابل «بمزيج من الوقود والهواء» تعادل قوة انفجار كل منها قوة «نووية تكتيكية»، وبلغت الخسائر البشرية العراقية عشرات الآلاف مقابل (٨٨) قتيلاً للحلفاء، منهم (٣٤) قتلوا بنيران صديقة... أهـ.

(١) عراق المستقبل، طبعة ٢٠٠٤م، ص (٢٩).

هذه القنبلة من مزيج وقود وهواء، أطلق «رامسفلد» وزير الدفاع الأمريكي على هذه القنبلة اسم «قنبلة جهنم»، وهي تحرق الأوكسجين في دائرة قطرها معروف، بحيث لا تبقى حياً، فالإنسان والحيوان والنبات، يعيش على الأوكسجين إذا احترق ماتت الأحياء، ويبدو أن القيادة العراقية حين جوبهت بهذه القنابل وبالقيادة الجاهلة السيئة لصدام وأولاده: لذا قررت إنهاء الحرب التي تفتقد المكافأة، كما تفتقد القيادة التي لا علم لها بالحرب ولا بمتطلباته.

وقديماً قال شاعر:

خلق الله للحروب رجالاً ورجالاً لقصعة وثريد

أمراء المليشيات في أفغانستان قاتلوا قتال الأبطال، فلما استلموا أفغانستان ظلوا على العقلية نفسها حتى خربت البلاد وهلك العباد.

مثلهم أمراء القتال في الصومال ما زالوا يقاتلون حتى مع عدم وجود شيء يستحق القتال... وهنا توجد «طرفة» رجل ذهب للصحراء وعاد، سأله أصحابه ماذا رأيت؟ قال: رأيت ذئبين يتقاتلان، أكل كل واحد منهما صاحبه فلم يبق منهما سوى الذيل... والكثير من هواة القتل مستعدون للوصول لهذه النتيجة.

عقدة العراق اليوم والحل

يعيش العراقيون اليوم على «حافة الموت» مليشيات طائفية وعنصرية تقتل على الهوية، مما دفع بالعراقي أن يحمل أكثر من هوية حتى يبقى حياً.

القوى العسكرية متكافئة، وكل طائفة عددها عشرة ملايين أو أكثر، والسلاح موجود في البيوت والمساجد والكنائس والحسينيات، وإلحاق هزيمة من طرف لآخر غير وارد؛ ولذا فالحل يجب أن يكون سياسياً وليس عسكرياً.

منذ قامت الحكومة الوطنية العراقية . بعد الحرب العالمية الأولى . ظل الأكراد يثورون، تماهقت الثورات دون حل، وقد وجد الأكراد لهم حليفاً بشخص شاه إيران، فكلما حاصرهم الجيش العراقي تدخل الجيش الإيراني وهك الحصار، حاول (صدام) حل المعضلة، وذات يوم اجتمع مع الشاه عام ١٩٧٥م في الجزائر طالباً حلاً سياسياً للقضية، اتفق الطرفان، وعاد كل إلى بلده، وبدأ تنفيذ الاتفاق، فانتهت الثورة الكردية كلياً وحاول كل من لحق به الأذى أن يتحرك ولكن دون جدوى، آية الله الخميني حليف صدام سحب منه كل شيء أعطيه، فغضب وتوجه إلى الكويت كي يفادر من هناك، فلم يسمح له، وهكذا كان الحل السياسي سحرياً.

واليوم لا حل في العراق إلا «الحل السياسي» أو حرب . على النمط اللبناني . تستمر عشرات السنين وتقسيم العراق إلى ثلاث دول، والخرائط جاهزة في واشنطن، وقد اطلع عليها وزير العدل العراقي السابق د . مالك دوهان الحسن .

فإن حصل ذلك فستقوم في جنوب العراق «دويلة» تتحول من الحماية الأمريكية إلى الحماية الإيرانية، وسوف تستأسد المليشيات، وكل حزب وكل ميليشية سيستولي على (أنبوب نفط) أو أكثر، وبالمناسبة فإن أنابيب نفطنا اليوم تعمل دون عدادات، وفقاً (لقانون العشائر والمليشيات) وستشتعل الحرب، فلا يبقى من ذئاب المليشيات سوى «الذيل»، وسيقول ناس: لا كان النفط ولا المليشيات ولا القتل على الهوية وغيرها .

سيقول بعضهم: لماذا ترهق الرايات السود، ولماذا لا تتفاهل؟

فأرد بحزن: من أي الطرق يأتي التفاؤل؟ من القتل اليومي أم من التهجير الطائفي، أم من القصف الذي تمارسه الطائرات الأمريكية ليل نهار؟ فإذا شبع الناس قتلاً وتهجيراً وقصفاً، فقد يأتي الحل السياسي . كما جاء لبنان . وقد يستمر القتال إلى أمد يعلمه الله وأجهله .

أناشد كل عاقل في المنطقة أن يعمل لحل سياسي، يقوم على العدل، وإعطاء كل صاحب حق حقه، أما المليشيات فإن أصغر «بعضها» على دمجها في الجيش أو الشرطة، فستكون النتيجة تحول الجيش والشرطة إلى مليشيات وليس ذوبان المليشيات. أما الفيدرالية فالمقصود الأبعد منها «أنايب» النفط وليس الفيدرالية، وكل فيدراليات العالم لا تساوي أنبوب نفط واحد يشتغل دون عداد.

من أبحث عن المرأة إلى أبحث عن النفط

حين كانت المرأة محتشمة لا تقادر بيتها إلا لحاجة، كانت «عملة نادرة» لكنها بعد أن تركت البيت وساحت في الشوارع، وركضت خلف الوظائف، صارت رخيصة، وصار البحث جارياً عن (الذهب الأسود) بسببه تقوم الحروب ويقتل البشر، وتعمد الصفقات سراً، وقد يعيد التاريخ نفسه، فبعد احتلال العراق من قبل بريطانيا كان النفط «الدرة الجديدة» عندها تحركت الحكومة الأمريكية نيابة عن شركة «ستاندر أويل» الأمريكية وقالت أين نصيبنا؟

هنا شعر وزير خارجية بريطانيا آنذاك اللورد «كورزن» بما يكفي من الثقة والاعتداد بالنفس ليعلم في ٢١/٤/١٩٢١م: إن الشركات الأمريكية الراغبة في الوصول إلى منابع النفط في منطقة الشرق الأوسط البريطانية، لن تعطى أي امتيازات^(١)... أهـ.

اليوم تتقدم الجيوش الأمريكية لتقول: لن تعطى امتيازات نفطية في العراق إلا لمن أيد حرب العراق، أو أسهم فيها، أفهموها يا ...

ومع ذلك يريد منا بعضهم أن نصدق أن الأمريكان يموتون وينفقون المليارات من الدولارات من أجل أن نتمتع بالديمقراطية وحقوق الإنسان والحيوان، وأن نتعلم

(١) المرجع السابق، ص (١٣٢).

التمددية «النفاقية»، وأخيراً كيف ناكل الهمباركر مع البيسي أو الكولا، ونستمع بفضائية «الحرّة» وإن لم يكن لدينا كهرباء إلا ساعة واحداً يومياً.

ونسأل . مجرد سؤال . لو كان هي العراق آبار «دبس» بدلاً عن «النفط»، هل كنا نتشرف بزيارة الرئيس صاحب الطلعة البهية كل شهر، ووزير دفاعه ووزيرة خارجيته، وأن ترسل لنا أمريكا أكثر من (١٥٠) ألف عسكري ولتتفق عليهم خمسة مليارات شهرياً، وأمريكا تصرخ «لله يا محسنين» !!.

وسؤال آخر وأخير: هل كان النفط نعمة أم نقمة، وهل الأفضل أن يكون «دبساً» مثلاً أو حتى «بيسي»؟.

«رجيف»^(١) الكاتب يرى أن النفط بدلاً من أن يساهم في تحرير العرب والإيرانيين وأمثالهم كما ينبغي، فقد أدت . هذه الثورة . إلى إخضاع هذه الشعوب، وامتهان كرامتها.

فهل العيب في الثروة نفسها أم بالقائمين عليها؟ أم بنهب وشبق القادمين من وراء البحار؟.

(١) المرجع السابق، ص (٣١٥) .

الفصل الثالث

الشنن والتحرير

الفصل الثالث

الشحن والتحريض

حين تدرس القوى الفاعلة في الساحة الأمريكية، لا يسع باحث أن يتجاهل اللوبي الصهيوني ومراكز بحوثه وسطوته، وملفات الفساد التي يمتلكها، ويخوف بها الكبار قبل الصغار.

يضاف لذلك ما تملكه إسرائيل من قوى فاعلة، قد تغفلت في كل مفاصل الدولة والمجتمع الأمريكي، وهي تدفع باتجاهات متعددة تخدمها في الحقيقة وتدعي خدمة أمريكا تبعاً، تساندها في ذلك جماعة ما كان بالأمس يعرف «بالمجانين»؛ ذلك النفر من الصهاينة الإنجليين الذين تسيطر عليهم «أساطير» عمرها آلاف السنين، نصوص توراتية غامضة، ومثلها نصوص في الأناجيل، تقرأ أو تأول فتصبح مباشرة بعودة السيد المسيح، بعد أن تقع حروب دامية تاكل الثلثين من نفوس العالم، بحيث تسيل الدماء حتى تصل رؤوس الخيل، وتقسم (بابل) إلى ثلاثة أقسام، ووقوع معارك طاحنة على ضفاف نهر الفرات، هذه الهلوسة كان بالإمكان تجاهلها لو أنها لم تصل إلى البيت الأبيض، ورجال صنع القرار في أمريكا.

هناك شحن مستمر، وتحريض تقوم به مراكز بحوث، وشخصيات وشركات كبرى ترى أن الدفع بالولايات المتحدة الأمريكية نحو الحرب يجلب لها منافع كبرى، وامتيازات لا يمكن الحصول عليها في الأوضاع العادية التي يسود فيها السلام

والتعقل، لكل ذلك سقط العراق وقبله أفغانستان وبعده سيأتي الدور على سوريا وإيران ولبنان، وهكذا تتسع الدائرة مع الشهية المفتوحة.

وهنا يجري «اجترار» مقولات: لأنها تخدم في هذا الاتجاه: لذا من المفيد مثلاً إعادة طرح ما قاله الرئيس الأمريكي السابق «نيكسون»^(١): من أن الرب دعا أمريكا كي تقود العالم، ولا جدال في أن الهيمنة «الطيبة» - كذا - التي تمارسها أمريكا هي أمر مفيد ورحيب في مصلحة الأغلبية الساحقة من سكان العالم.. أهـ.

طبعاً لا أحد يسأل الرئيس: كيف حصلت الدعوة ولا متى ولا من كان النبي الذي حملها.

وماذا لو قام الرئيس الصيني فأعلن أن الرب امره أن تفزو الصين تايوان أو الفلبين أو حتى أندونيسيا وكوريا الجنوبية؟

ماذا لو قام الرئيس الهندي وقال: إن بوذا زاره وأمره أن يحتل إيران ودول الإمارات كي ينقذ العالم من دمار موشك بآبار النفط والغاز، وتعطيل الملاحة في الخليج والمحيط الهندي وبحر العرب والبحر الأحمر؟

وسؤال أخير للرئيس نيكسون: هل أمرك الرب بالتجسس ودفع بك للفضيحة والاستقالة؟

طيبة الذكر «أولبرايت» وزيرة الخارجية السابقة، تحدث العالم، وكأنها تتكلم في روضة أطفال فتقول^(٢): هدف أمريكا هو الحرية، ونحن الأمريكان نعمل مع الآخرين - من هم؟ - لتحقيق تقارب بين الأمم حول مبادئ الديمقراطية والقانون

(١) حصاد الكتب، طبعة ١٤٢٥هـ، ص (١٦٦).

(٢) المرجع السابق، ص (١٦٧).

والأسواق المفتوحة. ونحن نفضل ذلك ليس فقط لأنه أمر عادل. ولكن أيضاً لحماية أفضل لمصالح أمتنا... أهـ.

«أولبرايت» اكتشفت بعد خراب البصرة أن سياسة بلادها جلبت العار والشنار وتطالب اليوم بتغييرها.

إن صف الكلام الجميل ليس صعباً، وهتلر وموسليني كانوا يحسنون أفضل من هذا الكلام بكثير، ومشهود لهما بالخطب البليغة، فهل غيّر ذلك من حقيقة عنصريتهما وجريمة إشعالهما حرباً كونية راح ضحيتها ملايين البشر؟

المهم ثمة تحريض وتهييج تمارسه إسرائيل كطرف أول فاعل، وطرف ثان هو الإعلام الغربي السائر «بالزفة» يبحث عن متشجع «مسلم» معتوه أو هارب من بلده، يستمزونه ليقول أقبح الكلام، فإذا كان عاقلاً وكلامه مقبولاً تجاوزوه ولم ينشروا له كلمة.

الصحافة البريطانية تشعل الإسلاموفوبيا

هذا العنوان لمحطة الإذاعة البريطانية B.B.C وهي معروفة أكثر من ثلث دول العالم، ذكرت في 16/12/1998م - أي قبل الهجوم على الأبراج الأمريكية -⁽¹⁾ أن الصحافة البريطانية تشعل «الإسلاموفوبيا» - مرض الخوف من الإسلام - إنه بعد تقجير السفارتين الأمريكيتين في كينيا وتزانيا عام 1998م شعر العالم بصدمة، وعندما وجه الاتهام إلى ساحة ابن لادن تزايد القلق لدى المسلمين من أن تؤدي مثل هذه الأعمال إلى رد فعل سيئ ضد المسلمين، ممن لا علاقة لهم بتنظيم القاعدة لذا أصبح المسلمون في بريطانيا يشعرون بالخوف، وهم يعتبرون وسائل الإعلام البريطانية مسؤولة عن ذلك، ويعتبر قادتهم أن الصحافة البريطانية تميل إلى إقفال

(1) صناعة الغداء للإسلام، رجب البناء، ص (274).

الحديث عن مسلمين معتدلين، بينما تركز على مقالات وأخبار وتعليقات لمسلمين متطرفين، وضربت مثلاً بمدير مؤسسة إعلامية للرعاية الاجتماعية اسمه «يوسف بهلوي» يقول: إن عدداً من الصحفيين اتصلوا به، وسألوه عن رأيه في حادث تفجير السفارات، فلما أخبرهم برفضه قتل المدنيين والإرهاب، وذكر لهم أن الإسلام دين سلام، لم يعجبهم كلامه: لذا لم ينشروا عنه كلمة واحدة.

إنهم يريدون مسلماً يقول لهم ما يريدون، ويعلن تأييده للإرهاب، وابتهاجه به، من هنا فإن قلق المسلمين يزداد نتيجة تزايد مشاعر العداء للإسلام في بريطانيا... أهـ.

الإذاعة حصرت بحثها في بريطانيا، لكن هذا المرض صار عاماً، بل اندفعت وسائل الإعلام لاتهام المسلمين بمجرد حصول واقعة في أقصى الأرض، لكن هل يجزأ أحد أن يذكر ما يحصل في فلسطين على أيدي الإسرائيليين؟

«روينشتاين» يحمل سلاحاً حكومياً ويتوجه إلى مسجد الخليل، وفي صلاة الصبح فإذا سجد المصلون حصدتهم بسلاح الحكومة، ويشيع كيطل، ويبني على قبره «مزار» كبير، ومع ذلك فصحف العالم تصفه بـ «رجل مختل وتسمى أنه طبيب أمريكي الأصل يهودي الدين»!

من هو العدو: الإرهاب أم الإسلام

كتب «وليام فاف» مقالاً في صحيفة «الهيرالد تريبون» في ٢٠٠٢/١٢/٥م تحت عنوان «توقفوا عن اعتبار الإسلام عدواً» جاء فيه^(١): إن مجموعة من أهل الفكر في واشنطن يعملون على تمويل الحرب ضد الإرهاب -التي تشنها حكومة بوش- إلى حرب ضد الإسلام وضد الحضارة الإسلامية، ومن هذه المجموعة شخصيات مؤثرة

(١) المرجع السابق، ص (٨٢) .

في الفكر والقرار السياسي في أمريكا مثل «ليوث كوهين وكثيث أديلمان» مستشار هيئة السياسة في وزارة الدفاع، وهذه المجموعة توجه النقد للرئيس بوش: لأنه يقول بأن الحرب الأمريكية موجهة ضد الإرهاب، وليست ضد المسلمين، وهم يقولون بأن الإسلام نفسه هو العدو لأمريكا؛ لأن الإسلام وحضارته يقومان على التعصب، ومعاداة القيم الغربية وعلى دعوة الناس لدخول الإسلام، وعلى التوسع بالقوة والعنف.

ويرى هؤلاء أن الإسلام كان معادياً للغرب قبل أن توجد إسرائيل؛ ولذا فالصراع الفلسطيني الإسرائيلي لا علاقة له بهذه الأزمة مع الغرب... وهناك قطاع من الإنجليز البروتستانت يؤكدون أن «الإسلام هو الشر» وهم يعجزون عن تفسير موقفهم من الإسلام، أي ضد أكبر دين يبلغ عدد أتباعه أكثر من مليار من البشر، ينتشرون في العالم.

إن الحكم على المسلمين يجري بحسب الهوية، وليس بحسب السلوك؛ ولذا فالحرب «حتمية».

«فاف» يعلن أن المسلمين لا يتحملون مسؤولية حكاهم المستبدين، مثلما لا يتحمل الشعب الأمريكي مسؤولية ما تفعله حكومته. وإن التفكير بهذه الطريقة تفكير عنصري، ينظر للهوية، وليس للفعل... أهـ.

فإذا كان الإسلام قائماً على التوسع بالقوة والعنف، فمن أشمل الحروب في أوروبا، ومن استعمر الشعوب خارج أوروبا، وهل أشمل الإسلام الحرب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت أو بين الكنيسة الشرقية والغربية؟

وهل كان هتلر وموسليني وستالين من الخلفاء المسلمين؟

أما الدعوة للإسلام واعتبارها جريمة فإن صح ذلك فالمسيحيون كلهم يدعون لدينهم، وفي كل مكان في العالم، وأولهم الرئيس «كارتر» وحتى اليهود الذين

يحتقرون الشعوب خارج بني إسرائيل راحوا اليوم يدعون هذه الشعوب لليهودية، ويعتبرون من يدعو إسرائيلياً لأي دين مجرماً يعاقب بالحبس أربع سنوات.

أما أن يعد الأنجيليون الإسلام هو الشر، فهذه عنصرية طائفية، وقد قالوا مثل ذلك في الكاثوليك والبابا، وإلى عهد قريب كانوا يقولون ذلك في اليهود واليهودية، وهم اليوم ينشرون (هلوستهم) ومنها أن السيد المسيح عائد وسيحكم ألف سنة، وسيقتل غير المسيحيين، لكن الخوف يمنعهم وكذلك النفاق من ذكر اليهود بالاسم (يلاحظ الفصل الأول من الكتاب).

أما الصراع مع إسرائيل فأساسه نقل ألوف المهاجرين اليهود، واغتصاب الأرض الفلسطينية وطرد أهلها، واضطهادهم وقتلهم يومياً، وكل ذلك على شاشات التلفزة، فإذا كان ذلك يحصل برضا الغرب ودعمه بكل الوسائل ولا يثير الغضب ولا العدا، فما الذي يثير إذن ذلك؟

أسببك أرضك واقتلك وأهجرُك وأجوعك، عليك أن تمسقتني، فإن غضبت فانت عنصري توسعي... ياهو عندنا مثل: من استغضب فلم يغضب فهو حمار... وكل إنسان ينظر لما تفعله إسرائيل مؤيدة بقوة من أمريكا ومن النفاق الغربي ثم لم يغضب فهو «خنزير» وليس حماراً.

تبقى قضية مهمة إذا كان الإنجيليون يعتقدون هذا فإن الفاتيكان وأتباعه، والكنائس الشرقية كلها، والكثير من الكنائس في أمريكا، ممن يقاطعون التعامل مع البضائع الإسرائيلية كل هؤلاء الملايين، لا يشاركون الإنجيليين هذا الاعتقاد... وقد أخبرنا الله تعالى في كتابه عن هؤلاء وأمثالهم فقال: «تَتَّبِعُونَ هِيَ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَتَتَّسِمِعُونَ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا...»^(١) وهذا الذي يقوله الإنجيليون «خدم للصهيونية».

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦ .

وأتمنى على كل محب للسيد المسيح أن يسأل «الصهاينة» أين يوجد السيد المسيح حالياً؟ ولماذا حوكم من قبل المحكمة اليهودية وحكم عليه بالقتل؟ وأخيراً ما الفرق بين ما يقوله الإسلام في السيد المسيح وأمه الطاهرة، وما يعتقده اليهود ويقولونه فيهما؟!

صورة رائعة للمسلمين

جيمي سواجارت» كتب في ١٠/١١/٢٠٠٠م يرسم صورة «كاريكاتورية» لمشايخ المسلمين فقال^(١): إن العرب يلضون حفاظات الأطفال حول رؤوسهم -إشارة للمائم- وحزام مراوح السيارات على بطونهم، ويجب علينا أن نقول لكل مسلم، ممن يعيشون بيننا، إذا نطقت بكلمة فستختفي فوراً، وأن رسولكم مارق شاذ.

«بات روبس» من المرشحين للرئاسة الأمريكية -الفاشلين- والذي يعتبر من رموز الإنجيليين يقول: المسلمون أسوأ من النازيين، والنبي محمد متطرف ولص وقاطع طريق، والإسلام «خدعة كبرى» والقرآن مجرد سرقة من اليهودية... يقال الكلام صفة المتكلم، وإذا كان هذا منطلق المرشح لرئاسة الجمهورية، فما منطلق الموم، وإذا كان رسولنا عليه السلام يحمل كل هذه الصفات فلننظر ماذا يحويه القرآن حول السيد المسيح عليه السلام: ﴿... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ...﴾^(٢).

ولن يتم إسلام أحد حتى يؤمن بأن السيد المسيح رسول الله، أرسله بالحق وأعطاه الإنجيل، ومن شتمه أو شتم أمه فلن يكون مسلماً، فهل يعرف هذا خدم الصهيونية من الإنجيليين وغيرهم، وهل يتساوى هذا مع قول «بعضهم» إن السيد المسيح هو في أسفل جهنم في... يقلي؟

(١) صناعة العداء، ص (٤٠٢) .

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١ .

القرآن سلاح للعدوانية

هناك طرفه خلاصتها: أن مسؤولاً سورياً يحاور مسؤولاً أمريكياً، فراح الأمريكي يفاخر أنه من بلد فيه الحرية، لدرجة أنه يستطيع أن يذهب ويقف أمام البيت الأبيض، ويقول في صاحبه من الشتائم ما يشاء، ولا يخاف ولا يسجن، فرد السوري: ثم ماذا وأنا أيضاً أستطيع مثلك الذهاب للبيت الأبيض وأفعل ما فعلت دون خوف ولا وجل.

لجنة متابعة لما يكتب في الغرب ضد الإسلام وأهله ترصد العمل العنصري فسجلت من هذه «العينات» العنصرية أن «فاي ويلدون» يتحدث على طريقة المسؤول السوري الذي لا يخاف من سب البيت الأبيض وسكاته. يقول هذا «البطل»^(١): إن القرآن غذاء لعدم التكفير، وهو ليس شيئاً جميلاً يمكن الاعتماد عليه، لكنه سلاح قوي للنوايا العدوانية المسكرية... أهـ.

وأسال «البطل» هل يقرأ التوراة والتلمود، ما الجمال فيهما، وما مقدار العنصرية التي تفوح منهما، وهل يجراً البطل وكل أمثاله من الحثالات أن يقولوا كلمة، أم أن أبي لا يقدر إلا على أمي؟

أرجو من هذا البطل أن يقرأ هذه النصوص القليلة من كتاب «الصحوة» لكتابه «ديفيد ديوك» ترجمة د. إبراهيم الشهابي فقد جاء فيه^(٢): رفع بلام - عيسى عليه السلام - من بين الموتى، وعوقب بسلقه في «مني» يفلي، وكل أولئك الذين يسخرزون من كلام الحكماء اليهود ويذنبون بحق إسرائيل، يسلقون في «براز» يفلي... ومع «ديوك» فهو ينقل عن التلمود أن السيد المسيح دجال مشعوذ شرير، يمارس الجنس مع «حمامته».

(١) صناعة العداء، ص (٦٩) .

(٢) الصحوة، دار الفكر، الطبعة الأولى، ص (٧٩) .

وأن «الأغيار» أنجاس بالفطرة، وأما نساؤهم فهن مومسات... ومع ذلك فالمسلمون وحدهم عنصريون والقرآن وحده عدواني، إنه الممى والمنصرية، زائداً الخوف والنفاق، ولتنة الله على النفاق والمنافقين وكل الجبناء وتجار المنصرية.

عنصري يفخر بعنصريته

البطولات كلها اليوم تسجل أهدافاً ضد الإسلام وأهله، والتهم تنهال عليهم كالطرر، هذا بطل آخر اسمه «كيلسروى سيلك» نشر في صحيفة «ديلي اكسبريس» يقول بصوت عالٍ^(١): المسلمون متخلفون وأشرار، فإذا كنت بقولي هذا أعتبر عنصرياً، فانا ساكون سعيداً وفخوراً بقولي هذا... أهـ.

والسؤال: هل يستطيع البطل وأمثاله أن يستنكر -مجرد استنكار- ما ورد بشأن الأغيار والسيد المسيح في التلمود؟

لقد جمعت في كتيب متواضع نماذج من هذه «العينات» وأطلقت عليه اسم «إسرائيل الخطر والمخادعة» ثم أتبعته بكتاب جعلت عنوانه «مطايخ الكره والعنصرية» جمعت فيه «تحفاً» نادرة لا مثيل لها بين عنصريات العالم، وقديماً قيل (لو ذات سوار لطمتي)!!

فملوك الكره والعنصرية يبدجون قصائد هجاء في الإسلام وأهله؛ لأن حفنة من المسلمين فعلت كذا أو قالت كذا، ويتعامى «الأبطال» عما تفعله إسرائيل وأمريكا يوماً بالاسلمين من القتل والتعذيب والحصار حتى الموت.

بعد كل هذا يقال لنا إن إسرائيل الديمقراطية لا تفعل شيئاً سوى الدفاع عن النفس، وأن أمريكا لا هدف لها سوى نشر الديمقراطية والحفاظة على حقوق

(١) صناعة العدا، ص (٦٩).

الإنسان ومحاربة المنصرية والاستفلال والاستبداد، وكل المستبدين هم خلفاء أمريكا ومعشوقها في العالم، قديماً وحديثاً.

اقتلوا رعاة الإبل وجامعي التمر

شمار حضاري مجيد، له طعم العسل ومذاقه، أما سبب إطلاقه فقد سقطت طائرة ركاب أمريكية في ١٧ يوليو ١٩٩٦م، وعلى الفور ارتفعت الأصوات بوجوب معاقبة أربعة من الدول العربية والإسلامية: العراق، إيران، سوريا، وليبيا، وبشرط أن يعاملوا «ككيان واحد»... وقد كتب «جيفري هارت» - صاحب عمود في صحيفة «الواشنطن تايمز» - قائلاً^(١): يجب أن يكون الرد الصحيح على كل عمل إرهابي إسلامي هو شن هجوم فوري مدمر ضد دولة شرق أوسطية، ومعلوم أن الضرب سيسفر عن ضحايا من المدنيين، والرد: ماذا يضيرنا من تدمير رعاة الإبل وجامعي التمر... أهـ.

ونسجل هنا أنه ما إن تحصل واقعة كسقوط طائرة أو ما يماثلها حتى تصدر إدانات واتهامات للمسلمين، دون أساس ولا انتظار تحقيق، فإن كان خلف الحادث مجرمين من غير المسلمين، فهنا تسب الجريمة لمجرم أو مختل عقلياً أو شاب متهور وكفى.

هذا كاتب عمود شجاع في مجلة «نيوزويك» وصاحب عمود فيها يقول^(٢): إن الصورة النمطية التي تتكرر عن العرب والإسلام قد تفوق التوصل إلى سلام حقيقي في الشرق الأوسط، من نتيجة مشاعر التمييز الصريحة المعادية للعرب، والتي صارت ظاهرة عامة في أمريكا الآن، وإن من الأخطاء الجسيمة النظر للعرب والمسلمين - عند رسم السياسة الخارجية الأمريكية - على أنهم جميعاً مذنبون، وأمة مذنبية... أهـ.

ثم يأتي من يتساءل باستكثار شديد: لماذا لا يحبونا ونحن طيبون؟

(١) المرجع السابق، ص (١٢٢).

(٢) صناعة العدا، ص (١٢٤).

خطر التعاطف مع العرب

نظراً للجو المحموم الذي يتم شحنه عنصرياً من قبل إسرائيل ولوبيها، وكبار المناهقين من الإنجيليين، فقد صار التعاطف مع العرب يشكل خطراً على مستقبل الشخص أو الشركة أو المؤسسة، فمن يدافع عن العرب وقضاياهم يتهم باللا سامية ومعاداة الحضارة الغربية، ومناصرة الإرهاب... ثم لا يلبث أن يخسر مركزه وقد يقتل أو يطرد من أمريكا، فإن لم يكن هذا ولا ذلك فيوجد في غواتامو فندق رائع من (خمس نجوم) مجاني، لكن النهاية الموت أو مستشفى الأمراض العقلية.

الأستاذ (جاك شاهين) باحث معروف في مؤسسة «فولبرايت» وبروفسور أمريكي، وأستاذ «للاتصال الجماهيري» بجامعة «النيوي الجنوبية» وله من المؤلفات أكثر من (٣٠٠) مؤلف.

هذا الرجل قام بدراسة استمرت عقدين من الزمن، درس خلالها أسباب «كره العرب» فردها إلى جملة أسباب، وليس لسبب واحد، منها^(١٥٥):

١- الجهل. ٢- التعصب. ٣- الخوف من الاتهام باللاسامية.

وذكر أن مولاة العرب تهمة خطيرة، فإذا أضيف لها معاداة السامية، فلن تتفجع صاحبها شفاعاً، فتصبح حياته مهددة، والحملة عليه ستتسع، والسياسيون يفتنون ذلك كله، بدلاً من أن يحاربوه... أهـ.

ليس هذا هو الإرهاب بعينه، وإن لم يكن فماذا يمكن أن نسميه؟

هذا نموذج جيد، رجل معروف، فمن يستطيع أن يقف بصف العرب ويتحدى اللوبي الصهيوني، ثم لا يسقط أو يقتل أو ينفى؟

ومع ذلك فنحن العنصريون الوحيدون في العالم!!

(١) المرجع السابق، ص (١٢٥).

من دزرايلي إلى بوش

الغرب لديه مجموعة من التهم، يلقيها كالقنابل المنقودية لتنفجر فيما بعد. ومن هذه التهم إننا نعادي التحديث وضد الحضارة الغربية، ومن الجديد البديع إننا ندعو للإسلام، أما من يدعو للمسيحية أو اليهودية أو البوذية فذاك حلال... الكاتب «أوليفه روا»^(١) في كتابه الجيد «تجربة الإسلام السياسي» يقرر بصراحة ووضوح أن الغرب لم يوفر جهداً لإعاقه الدول الإسلامية من التحديث، ابتداءً من الدولة العثمانية مروراً (بمحمد علي) حتى الإطاحة بمحمد مصدق الإيراني إضافة لترسيم الحدود بشكل متعسف، وهذه الجهود «الخيرة» كانت وما زالت تعيق قيام دول مستقرة في المنطقة، وكانت النهاية السعيدة «حروب الخليج» باختصار لم يلب الغرب ورقة «التحديث السياسي» في الشرق الأوسط ابتداءً من دزرايلي وانتهاءً بجورج بوش، مروراً بكيسنجر.

المهم أن «روا» ليس بمربي ولا مسلم ليسهل اتهامه، وهو الذي يتهم الغرب بعدم الاهتمام كلياً بالتحديث، ثم نتهم نحن بمعاداتنا للتحديث والحدائث بأنواعها «الرثة الجديدة»!!

والتفت إلى مواطنينا من «بني علمان» باعتبارهم من تجار «الخرذة الحدائثية»، فأسألهم ما قولهم بهذه الشهادة وهم من «البكائين» ليل نهار عليها وعلى كل ما يأتي من الغرب من بضائع؟

وقبل أن أختتم أجد «روا» يسجل جملة أمور منها أن العناصر «الإسلامية» التي تقود الحركات الإسلامية، تعلمت جلها في الغرب، وهي تقدم الإسلام اليوم تقديماً

(١) تجربة الإسلام السياسي، ترجمة: نصير مروء، دار الساقى، الطبعة الأولى، ص (٢٥).

عقلاً جيداً، ثم يسجل بأمانة أن الإسلام لم ي عرف يوماً الحكم «الثيوقراطي» الديني كما عرفته الكاثوليكية مثلاً، وأسأل الأخوة في «بني علمان» ما قولكم دام فضلكم في هذه الصفة «الحلوة» من الكاتب «روا»؟

كذلك يسجل «روا» أن الحركات الإسلامية والأحزاب الإسلامية -باستثناء إيران- هالقادة مثقفون وليسوا من رجال الدين، ولا من تلك الطبقات التي «طحنها الفساد» طحناً.

هل يعجب ذلك بعض «النواحين الندابين للطمين»؟

يجب إلغاء مادة الدين

مطلوب منا أشياء كثيرة «متجددة» منها تغيير المناهج، والدفع بالمرأة لترك البيت وسكنى الشوارع، وتعديل القوانين... مطالب لها أول، ولكن ليس لها آخر، وربما جاء وقت لنطالب بأن لا ينام الزوج مع زوجته إلا مرة في الشهر؛ لأننا نتكاثر «كالقطة»، وهذا يكر على العالم «سعادته»، لذا لا يجوز هذا.

وقد يطلب منا نزع الملابس الداخلية وترك لبس «الشباشب» ونزع العمائم والعقال؛ لأنها تذكر «بحفاظات الأولاد» ويسير السيارات -كما مر-.

ونقول للسادة في الغرب ووكلائهم عندنا وهم قلة لكن «معرفة»: هل يستطيع أحد أن يقول لليهود في إسرائيل: لطفأً غيروا مناهجكم المنصرية، وبطلوا شتم «الغرباء» ووصفهم بالحيوانات ووصف نساتهم بالمومسات، وغيروا القوانين التي تتحدث كلها عن اليهودي وغير اليهودي؟

الأوروبيون يطالبون تركيا بإلغاء مادة «الدين» من المناهج، كذلك فإن تركيا تفرض على مواطنيها الإفصاح عن دينه^(١)، وهذا غير مقبول، فهل تفعل أوروبا بالشريك الإسرائيلي مثل ذلك؟

(١) مجلة المجتمع الكويتية في ٢٠٠٥/٣/٥ م.

المسلمون قتلوا المسيح

يحتفل القرآن الكريم بذكر عطر وثاء جميل على السيد المسيح، لكنه يرفض أن يكون إلهاً، فهو رسول مثل سائر الرسل، ولا يقبل النصارى ذلك حتى يؤمن الإنسان بالوهية المسيح وبصلبه، اليهود يرفضون الاعتراف بكل ذلك جملة وتفصيلاً، لكن النفاق والخوف يكمن الأضواء، ويكسر الأقدام، ولأن أبي لا يقدر إلا على أمي، فكل قصائد الهجاء من نصيب المسلمين، وكل قصائد المدح والغزل لليهود.

الجديد في الأمر إنني وجدت د. عبدالوهاب المسيري، وهو اليوم خير من يتحدث عن اليهود واليهودية في كتابه «دفاع عن الإنسان»^(١) فيذكر أن المسيحيين يعتبرون المسلمين واليهود كفاراً لرفضهم عقيدة «التثليث»، وهذا لا جديد فيه، لكنه يذكر وجود كتابات تتهم المسلمين بصلب المسيح، كما توجد رسوم لواقعة الصلب. وقد وقف النبي محمد -عليه السلام- وهو يضرب السيد المسيح... أهـ.

والكل يعلم أن رسولنا عليه السلام لم يولد إلا بعد أكثر من ستة قرون. واليوم قد يقوم دجال كبير مثل «برنارد لويس» اليهودي ليقول نعم إن محمداً ولد بعد قرون، لكن ذلك مما يعرفه أصحاب الكتاب وصوروه، ليكون تعبيراً رمزياً على إنكار المسلمين لألوهية السيد المسيح، فهو يعذب دوماً بسبب هذا الإنكار وبغيره.

وقد يقوم «مهبول» وما أكثر المهابيل اليوم، فيلعب في البيت الأصفر أو الأخضر ويقول: السيد المسيح «شكا» له من أن المسلمين يؤذونه دوماً وأبداً، وإنه كلفه بإعلان الحرب عليهم وضربهم بقنايل «جهنم» وغيرها.

عندها سيظهر ألف إنجيلي ليبارك هذه الحرب، فهي لنصرة السيد المسيح وللدفاع عنه، وإعلان عن قرب عودته للحياة وحكمه ألف عام، وكل من يشك في ذلك فهو زاني وابن زانية.

(١) دفاع عن الإنسان، طبعة الشروق ٢٠٠٣م، ص (٢١٩).

وبمدها تكتب في أمريكا «روايات» يباع من كل واحدة أكثر من خمسين مليون نسخة وعاشت العلمانية والديمقراطية.

غيروا المناهج وإلا...

«إيلينا رومانسكي» مسؤولة عن مبادرة المشاركة والديمقراطية بوزارة الخارجية تقول بأن الإدارة الأمريكية تسعى لتغيير المناهج التعليمية في الدول العربية.

وتعتبر «إيلينا» مبادرة وزير الخارجية الأمريكية الأسبق «باول» عن الديمقراطية في الشرق الأوسط هدفها «تغيير المناهج» مما سيؤدي إلى التخلص من الحقد والكراهية والعنف في المنطقة^(١)... أهـ.

الجدير بالذكر أن المسؤولة «إيلينا» لم تشر بكلمة للمناهج الدراسية في إسرائيل، وفي المدارس اليهودية في أمريكا وخارجها.

أطلعت على مشروع عنوانه لا يدل على محتواه عنوانه (مشروع الشرق الأوسط الكبير) ملخصه أن العرب صاروا يعرفون اللغة الإنجليزية وغيرها جيداً، لكن الأمريكيان وأمثالهم يصعب عليهم تعلم العربية؛ لذا قرروا تغيير «الحرف العربي» إذ تبين أنه المسؤول عن «الكره والعنصرية» فإذا تم تغييره، حل السلام في العالم. كما حصل حين انتشر الكنتاكي والببسي، حتى كتب «فريدمان» يوماً: أن الدول التي تنتشر فيها مطاعم الكنتاكي، لم تشهد حروباً بينها، وطلبت يومها من هيئة الأمم بدلاً من إرسال قوات سلام للمناطق الساخنة، وزعوا الكنتاكي وكان الله يحب المحسنين والمفلسين معاً.

لقد أفردت «للموضوع» كتاباً متواضعاً عنوانه «مطابخ الكره والعنصرية»^(٢)

(١) جنون الخطر الأخضر، إبراهيم نافعه، طبعه ٢٠٠٤م، ص (١٠).

(٢) الطبعة الأولى عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ومتوفرة في جل مكتبات الرياض.

فأنا -العبد الفقير- لم أفهم ربط الكره والعنصرية بالخط العربي أو المسامري أو العبري أو الصيني، كل هذا «تخريف وهلوسة».

سألت خبيراً كيف يمكن الربط بين «الخط» وبين الكره والعنصرية، غضب الأخ وارتفع صوته وقال (باخوا نازنم) وفهمت أن الأخ ينفي هقلت عفواً: أنا زانم.

للكره أسباب موضوعية وكذلك المحبة، بعض مسببات الكره قديمة متجذرة (اقرأ مثلاً التوراة والتلمود) ستمرف نموذجاً، وبعضها جديد وعرضي يزول بزوال أسبابه، وأسارع للقول لدى كل أمة «قدر» من الكره والعنصرية، يزيد هنا وينقص هناك، لكن من الضحك على الذقون أن يكون بينها وعلى رأسها الخط العربي أو اللاتيني أو الصيني، هذا كلام معناه ليس لنا عقل!

القضية وما فيها تتعلق بالسياسة الخارجية لأمريكا، والانحياز التام لإسرائيل، هنا مربط الفرس أو البفل لست أدري ولا المعلم يدري!

غيروا هذه السياسة، وأسقطوا هذا الانحياز، والتزموا «الحياد» ولو لمدة إن كنتم قادرين -وسيتين لكم أين الداء-.

الإنسان يأسدة -خلف البحار- قد يكذب على غيره، قد يخادعه، وقد يجامله، وقد ينافق له، كل ذلك مفهوم، ولكن من القبح والشفاعة أن يخادع الإنسان نفسه وشعبه وأمته، فيروج للأكاذيب تهرباً من قضايا يفهمها الكل، وليست من المعضلات... سياستكم الخارجية هي أساس البلاء، وإن لم تعالج بصدق وصراحة فالكره سيزداد والعنصرية ستنتشر، ومصالحكم ستدمر ووكلاؤكم سيصيبهم من الإفلاس ووجع الرأس، ما يجعلهم ينفضون عنكم ويبحثون عن غيركم.

أنتم مخيرون بين إسرائيل والعالم العربي والإسلامي، ولن تستطيعوا الجمع بين الاثنين إلا إذا التزمتم «الحياد الصارم»، وفي شعبكم من يدرك ذلك ويريده، ولكن

زمرة النفاق وتجار الهلوسة من الإنجليين، يدفعون بكم نحو الانحياز الأكثر نحو إسرائيل، والاستجابة الأكبر للوبي اليهودي الصهيوني، الذي يدفع ببلادكم نحو شراء عداء العالم كله، ليقولوا في النهاية: انظروا ليس لكم صديق ولا حليف سوى إسرائيل.

كانت سياستكم تحوي قدراً من الحياد والشجاعة، لكنها مع أيام صارت منحازة بل «ذيلية»، فما تقوله إسرائيل هو سياستكم حتى قال «متهمك، منكم: لو قالت إسرائيل الأرض مسطحة وليست كروية، لأصدر الكونجرس خلال يوم واحد قراراً بالإجماع بأن الأرض مسطحة تسطياً كاملاً.

إسرائيل تقرر وأنتم تتفدون، فإذا عجزتم حولتم القضية لبعض الحكام العرب «الخائبين» ليقوم بعملية التسويق.

أنتم تسيرون في العالم وإسرائيل خلفكم وفي ذلكم، تقدم الخدمات وتقبض الأجر بلايين من الدولارات غير الهدايا والعينات.

في العالم العربي يحصل انقلاب، الإسرائيلي يمشي «منتفشاً» كالتاووس والأمريكي يمشي خلفه وفي ظله، الإسرائيلي هو السيد الأمر، والأمريكي هو المأمور المنفذ، ونحن ننظر ولا نعرف لهذا تفسيراً، فهو مما تحيرت فيه العقول على حد قول بعض شعرائنا:

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

أما الذي حارت وتحيرت البرية فيه أن تكون دولة مثل أمريكا تملك قارة، وتطلع لتكوين إمبراطورية تحكم العالم، ثم تعجز أن تقول لدولة مثل إسرائيل: لا.

يقال: إنه كان في بلد حاكم متسلط مستبد، يخاف جوره الكل، سأل صديق له: من أكبر وأعظم من مولانا؟ قال: السيدة أم ولدي، قال الصديق: وهل يوجد من

هو أقوى منكم؟ قال: نعم ذلك الطفل، إذا أراد شيئاً فإننا وأمه ركضنا لتوفير ما يريد.

والسؤال: إلى متى سيستمر هذا الوضع الشاذ؟

قد يطول الأمر وقد يقصر، فهو رهن بثورة وصحوة أمريكية تعيد وضع البلاد إلى وضع سليم صحيح، لا تتحكم به فئة صغيرة، ولا تخلف الحكم فئة «معتوهة»، وحتى يأتي ذلك اليوم ستعرف أمريكا ويمرف العالم أنواعاً من الأوضاع الشاذة المنحرفة التي لا يرضاها عاقل شجاع.

شهادة لنيكسون

أردت أن أنهي هذا (الموشح) بشهادة للرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون، يشكو فيها ما تعانيه بلاده إذ يقول^(١): «قد تكون أمريكا غنية، لكننا فقراء روحياً والتربية والتعليم رديشان، الجريمة في تزايد، والعنف في تصاعد، والانقسامات العرقية في ازدياد، الفقر يستشري، والمخدرات في انتشار، والتسلية في انحدار، وتآدية الواجب المدني هي هبوط، والفراغ الروحي في انتشار، وجميع ما تقدم ساهم في تغريب الأمريكيين، عن بلادهم ودينهم وعن بعضهم... أهـ».

والسؤال: من هذه «حاله» هل يقدر على قيادة العالم، وإن فعل فإنه أي وجهة سيكون، السلم أم الحرب أم الضياع؟

من يهاض إسرائيل: عدو لله تعالى

الأصولية اليوم تضرب الغرب وتسمّر الحرب ضدنا، وتدفع باتجاه نصره إسرائيل والوقوف ضدنا وضد كل مصالحننا المشروعة، وقد أفلحت في حشد ملايين

(١) الجنون الأخضر، إبراهيم نافع، ص (٢٢٠).

في أمريكا لخدمة إسرائيل تحت «قشرة دينية» وقراءات متمسفة لنصوص غامضة وإشغال الحرب بحجة أن ذلك كله يجعل بعودة السيد المسيح، ويذهبون في هذا إلى أبعد مدى حين يدّعون بأن إسرائيل وشعبها المقدس يملكون أرض فلسطين، وأن إسرائيل «العهد القديم» هي إسرائيل اليوم، بينما كانت حتى أمس هي «أمريكا» كما يعتبرون قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م هو تأكيد لنبوءة التوراة، ومقدمة لعودة السيد المسيح، وهم اليوم يعيدون رسم عقائد سياسية «مغلقة» بقشرة دينية ويرتبونها ترتيباً يخدم أحلامهم وأحلام إسرائيل، وقد قام د. يوسف الحسن بتطعيم هذه «المعتقدات» على الوجه التالي^(١):

١- اختيار الله تعالي لليهود كشعب مفضل.

٢- اختيار فلسطين كمكان لمعبد الله تعالي، وموقع لمملكة إسرائيل.

٣- معاقبة اليهود لمخالفتهم تعاليمه؟

٤- مع ذلك لن يخلف الله وعده لشعبه المختار (هذا مخالف لصريح التوراة).

٥- أرسل الله السيد المسيح لإنقاذ العالم، فرفضه اليهود في ذلك الوقت (بل مازالوا يرفضونه).

وبناء على ما تقدم ستحدث أمور:

١- إن خطة الله تتضمن العودة الثانية للمسيح، للتبشير بمملكة الله.

٢- إن ذلك مشروط باستعادة إسرائيل -كشعب مختار- لأرضها الموعودة من أجل تمهيد المكان للعودة الثانية.

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية، الطبعة الأولى، ص (١١).

٢- إن قيام إسرائيل ووجود القدس كاملة تحت الحكم الإسرائيلي، لأول مرة منذ أكثر من ألفي عام من أبرز الإشارات للعودة الثانية للمسيح الموشكة.

٤- اعتبار كل الأشخاص والمجموعات الدولية التي تمارض «إسرائيل» أعداء لله: لأنهم يعوقون تحقق النبوة التوراتية.

تحفظات وتحفظات

أتحفظ على ما تقدم جملة وتفصيلاً، ويمكنني الادعاء، لو أن وزارة خارجية إسرائيل أعدت «البيان السابق» لجاه أكثر معقولية، وبأسلوب أنعم والطف وأقل عدوانية، وأقل خرافية وتوراتية. ومع ذلك، مازال لدينا «عميان مفلسون» يمشقون أمريكا، ويموتون كمدأ وحسرة إذا تكلم أحد عن انحياز سياستها وعميان الكثير من نخبها، فانسحب ذلك العمى إلى «الوكلاء عندنا» والشكوى لك، وسانقل بعض «الحقائق» التي تذكرها «غريس هالسل» في كتابها «يد الله»^(١) وقد أضيفت أشياء من التوراة وغيرها.

أولاً : حضور (٦٠٠) مندوب عام (١٩٨٥م) في مدينة «بال» بسويسرا، وفي القاعة نفسها التي عقد «هرتزل» فيها مؤتمره المعروف، المؤتمر الصهيوني الأول.

ثانياً : القدس هي العاصمة الروحية والسياسية للشعب اليهودي منذ (٣٠٠٠) سنة، والبيان نشر في صحيفة «نيويورك تايمز» وموقع من قبل رموز القدرية المسيحية -تجار النفاق- أمثال: فولويل وبات روبرتسون ووالف ريد وأمثالهم.

ثالثاً : في عام ١٩٩٨م عمل «فولويل» على تنظيم لقاء بين «نتنياهو» مع الرموز المسيحية المؤيدة لإسرائيل، أبلغ (فولويل) نتياهو بوجود (٢٠٠) ألف كاهن إنجيلي في أمريكا سيطلب منهم استخدام نفوذهم لدعم إسرائيل.

(١) يد الله: الصفحات ٨٨، ٨٩، ٩٠ .

رابعاً : عام ١٩٩٨م ألغت إسرائيل التزاماتها باحترام اتفاق السلام (واي رفر) مع الفلسطينيين، وعلى الفور أشاد «التحالف المسيحي» بإسرائيل لتشددها ورفضها السلام.

هذه «عينة» تذكرها كاتبة أمريكية معروفة في كتاب واحد .

وأنافش ما ورد في البيان «الهمايوني» للمسيحيين القديرين الإنجليين .

وأبدأ بتفضيل الله تعالى لشعب، فالله تعالى عادل وتفضيله لشعب يكون لأنه صاحب عقيدة سليمة وسلوك قويم، فمتى غيّر أو بدّل في عقيدته وانحرف في سلوكه خسر الأفضلية؛ لأنها لا ترتبط بالولادة والجنس. يقول تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ (آل عمران: ١١٠).

فخيرية الأمة ترتبط بالإيمان والسوك وليس بالنسب، ومن هنا فإنها قد تفقد وتضيع؛ لأن شرط تحققها قد ذهب وضاع.

أما اختيار المكان فهو تشريف له، وقد اختار الكعبة وحرمها، كما اختار بيت المقدس وشرفه.

والقضية الثالثة تتعلق بالعدل الإلهي، فالله تعالى يعلم أن البشر يستقيمون على تنفيذ أوامره، وقد ينفلتون، من هنا وضع لكل جريمة عقوبتها.

والتوراة مملوءة بما أمر الله، وبالمخالفات التي وقعت؛ لذا استحق اليهود العقاب ومن يقرأ أسفار «النبي إرميا» وعددها (٥٢) سفسراً يعرف جيداً نوع وحجم المخالفات، ونصيب «القدس» منها وهو الأكبر، لذا عوقبت بالهدم والحرق، ومن أكبر المناقضات أن التوراة تذكر أكثر من مرة أن القدس بنيت «مدينة للرب لا تهدم ولا تحرق إلى الأبد» وبعد قليل تشرع التوراة يذكر ما حصل للقدس وأهلها من عقاب وحرق وتدمير .

القضية الرابعة: أن الله تعالى أرسل السيد المسيح «لهداية خراف بني إسرائيل الضالة» لكن هذه «الخراف» رفضته ومازالت ترفضه، وتشتمه وتقول فيه وفي أمه ما يعف الإنسان عن ذكره، ومع ذلك فهناك من المميان ممن يدعون عشق السيد المسيح، يمشقون أعداءه وينافقون لهم ويخدمونهم خدمة «مجانية»، وفي كل مرة أتعرض للمسألة أتساءل: ماذا كان سيقول هؤلاء المنافقون لو صدر عشر ذلك عن مسلمين؟

القضية الخامسة: عودة السيد المسيح، ألف مرحباً بالسيد المسيح، ولا أشك أنه متى عاد ووجد «ملوك النفاق» ممن يدعون اتباعه ومحبهه فسوف يكون له منهم موقف لن يسرهم ولن يشرفهم، وربما «بصق» في وجوه بعضهم.

القضية السادسة: قضية افتراضية، وبسببها النفاق لإسرائيل، فهؤلاء مع اعتقادهم بأن السيد المسيح سيقتل المخالفين، وأحقهم في ذلك من لا يزالون يسيونه وأمه ويزعمون أنه (في قصر جهنم في... يغلي)... لكن متطلبات النفاق تتجاهل ذلك.

والقضية الأخيرة تشكل بياناً سياسياً انتهازياً، لو كتب في إسرائيل لكان اللفظ وأظرف وأقل تعصباً وعنصرية.

وكل ما تقدم يقدم خدمة «سياسية» لإسرائيل، ويضرب مصالحنا ويؤذينا أكبر الأذى، ولو صدر هذا البيان عن الفاتيكان مثلاً لجاء أهون وألطف ألف مرة.

إن (متصهينة) أمريكا هم اليوم أكبر خدم لإسرائيل وأحلامها في العالم، بل إن الكونجرس الأمريكي أكثر صهيونية من الكنيست الإسرائيلي. ففي الثاني معارضون لا نجدهم في الأول، وعلينا حكومات وشعوب أن ندفع الثمن لهذا العشق، بل على العالم كله أن يدفع الثمن والإلا...

أنطوني برجس وحيوية الإسلام

التحريض والتهيج ضد الإسلام وأهله قد نجد له «تفسيراً» لدى بعض المفكرين الغربيين ممن لا يخفون أو ممن لا تملأ المنصرية قلوبهم، أو تستحوذ على عقولهم.

المفكر «أنطوني برجس»^(١) يدرس حالة الغرب وما يعانيه، وعلى رأس تلك العلل فقدان «الكواكب» والسلطات ابتداءً من سلطة العائلة المنهارة، إلى سلطة الكنيسة، إلى سلطة القانون، ويشاركه في هذا أكثر من مفكر. وقد تقدم رأي الرئيس «نيكسون» ومثله تويني وغيرهم.

يرى «برجس» أن الشباب (في الغرب) فقدوا القدرة على الإبداع، فاتجهوا نحو التخريب والعدوان، وممارسة أنواع العنف والشر، وبسبب ذلك كانت الفوضى وفقدت المجتمعات الإيمان، وهم اليوم يبحثون عن إيمان جديد. ويتساءل «برجس» ماذا سيجدون أمامهم؟

ويجيب بوضوح: سيجدون أنفسهم وجهاً لوجه مع الإسلام، الذي يتصف بالحيوية الذاتية. كما سيسرون في حركات البعث الإسلامي أعظم دليل على توثب هذا الدين.

يتحدث بعد ذلك عما يملكه المسلمون من إمكانات، وأولها السيطرة على البترول ووجود قوة بشرية شابة عظيمة، هذا فضلاً عن أن دينهم يرتكز إلى عقيدة واضحة صلبة، لا تنهاون مطلقاً مع المجرمين، بل تعاقبهم بشدة.

وينتهي حديثه قائلاً: يدرك المسلمون بأنهم يواجهون عالماً مسيحياً قد ضل الطريق، ويفلب عليه الضعف، ويفتقد الكثير من النزاهة الفكرية.

(١) صحيفة الشرق الأوسط في ١١/٤/١٩٨٢م.

ويتقبأ «برجس» بأن الوقت لن يطول قبل أن يجد الغرب نفسه وجهاً لوجه مع الإسلام المتوثب.

فهل هذا ما يخيف الإنسان الغربي من الإسلام؟

حادٍ من بعيد

من المعروف عن الإبل . والتي يعبرنا بعضهم لأننا نرعاها . نعم نرعاها ونحبها، وغيرنا يرمي «الخنازير» وشبيه الشيء منجذب إليه، وللناس فيما يعشقون مذاهب، الإبل سفن الصحراء، حين تجد صاحب صوت جميل يحدوها، تنسى نفسها، وتغذ السير ليلاً ونهاراً وقد تموت.

وإذا كان الغرب يموج بمن يكرهنا ويسب ويشتم يوماً ديننا ونبينا، فهناك «حادٍ» أو أكثر يوجه لنا «حدوه» ويقول كلاماً، من حق صاحبه علينا أن نسمعه ونصفي له أولاً، ثم نتدبره بعد ذلك.

هذا الحادي أستاذ جامعي يعمل بجامعة «تسي الأمريكية» اسمه (ت.ب.ايرفنج) وقف في تجمع لشباب مسلم في مدينة «جلاسكو» ببريطانيا، ثم راح «يحدوه» ومن حقه علينا أن نسمع له لنعي ما يقول: ^(١) إنكم لن تستطيعوا أن تناقسوا الدول الكبرى علمياً أو تقنياً أو اقتصادياً أو عسكرياً، لكنكم تستطيعون أن تحملوا تلك الدول على أن تجثو أمامكم «بالإسلام»... انتبهوا وأفيقوا لقيمة هذا «النور» الذي تحملون، والذي تتعطش إليه أرواح الناس في مختلف جنبات الأرض، تعلموا الإسلام وطبقوه ثم احملوه لغيركم، تفتح أمامكم الدنيا ويدين لكم كل ذي سلطان... أعطوني مجموعة من الشباب يفهمون الإسلام ويعيشون به، ويحسنون عرضه بلفة العصر، وأنا أفتح بهم الأمريكيتين... أهـ.

(١) مجلة الأمة القطرية، من مقال للدكتور زغلول النجار، العدد (٦)، السنة الأولى، ص (١١).

هذا الكلام يكرره سيد قطب ورشدي فكار برحمهما الله .

بالإسلام دخلنا التاريخ وبه عرفنا، واستلمنا قيادة العالم مدة من الزمن ثم دار الفلك دورته، فصار المتقدم متخلفاً، والبربري متقدماً، وكل من لا يسوس الملك يخلمه، وكل من لا يمتلك شروط القيادة يصير في ذيل القافلة، الريادة والقيادة لها شروط فكل من أخذ بها تقدم وإلا .

وبضاعتنا الإسلام، هذه البضاعة الربانية، وعلينا أن نعرف ذلك جيداً، وأن نحسن العرض نجود ونجدد في «التسويق»، علينا أن نتقن لغة العصر، دون هزيمة، ونتمتز بأنفسنا وبما نملك دون تشنج ولا عنصرية، لقد كنا المثقف رقم واحد لقرون، وما زالت البضاعة بأيدينا، وما زال عليها طلب فلنحسن العرض والتسويق، وأتمنى على أهلنا من «بني علمان» أن يقرؤوا ما يقوله هذا الرجل وأمثاله، وأن يكتفوا عن الطواف حول الأصنام في واشنطن ولندن وباريس، أطالبهم بالكف عن النواح ولطم الخدود، وشمم الأمة وتاريخها ولغتها، فهذا خطاب «جاهلي انتحاري» لن يقبل عليه أحد، ولن يقدم خيراً، أنتم في (عزاء) دائم وفي مناحة ليس لها نهاية ولا نتيجة وأختم: أحسن الله عزاءكم وألهمكم الصبر والسلوان وإنا لله وإنا إليه راجعون.

د. نعوم يتحدث عن التهيج

د . نعوم تشومسكي لا يخاف ولا يهاب ولا ينافق، وقف حياته لكشف وفضح السياسة الإسرائيلية وسياسة بلاده أمريكا، يحاوره «دهيد بارساميان» حواراً طويلاً حول حرب الخليج الثانية فيذكر أنه كان يطوف في أمريكا فيرى التعبئة العسكرية والتهيج الذي لا مثيل له، يقول د . نعوم^(١): إن أعظم وأقوى دولة في العالم كانت

(١) تواريخ الانشقاق. ترجمة: محمد نجار، طبعة ١٩٩٧م، ص (٢١٣).

تخشى من أن تأتي العراق فتقتلنا جميعاً، كان الناس مذعورين حقاً، أرى الناس يرتجفون مرعوبين مرهقين؛ لأن صداماً سيأتي ويقضي عليهم، كانوا في خوف حقيقي، بل في ذعر شديد .

كان «شوارتكوف» يدلي بتصريحات حول قلة عدد قواتنا، لكننا سنحارب سنقاتل.... كانت الصورة تقول: إن (العراق) يملك أسلحة فعالة فتاكة، لم يعلم بها أحد من قبل، ومرة يكون الإيحاء... لا لا ليس هناك حرب، فلما بدأ الهجوم البري كان الخراب الكبير، وبعد أسبوعين من قصف ذلك العدو المخيف. (ورابع جيش في العالم) تشتت وضاع بسرعة.

إن الإدارة الأمريكية تمتد أن من يريد الحرب فعليه أن يكبر العدو كثيراً، كي يخاف الناس ويؤثر ذلك على نوع التفكير، ويكون ذلك بسرعة، والقتال بسرعة والانهاء بسرعة.

تخويف وتكبير لحجم العدو، وإنزال ضربة قاصمة ثم الحديث عن الانتصار السريع، والهدف تخويف وإرعاب الآخرين.

إن سياسة التهيج وافتعال أسباب لا وجود لها مثل أسلحة الدمار الشامل العراقية، واختراع علاقات بين صدام والقاعدة لا وجود لها، والحديث عن محاولة للحصول على يورانيوم من النيجر وتهريبه للعراق، ووجود صواريخ محمولة على سيارات متحركة، وأسلحة جرثومية وغيرها، كلها كانت لتبرير حرب مطلوبة، تحطم خصماً ضعيفاً لتخيف عدواً غيره، أكبر منه.

فإذا وضعت الحرب أوزارها سريعاً. يأتي الإعلان عن الانتصار، ثم وضع شعارات جديدة ومطالب لم تكن مطروحة، والويل لمن يعاكس أو يشكك... أهـ.

والسؤال: أهذه هي الدولة التي تريد أن تقود العالم، وإن قادته فإلى أين؟

د. نعوم يرصد بدقة

د. نعوم راصد جيد لا تقوته صغيرة ولا كبيرة، ولأنه شجاع يسمي الأشياء بأسمائها لذا فهو يرصد ما يحدث بعد (١١ سبتمبر) ٢٠٠١م فيسجل نوعاً من التحالف بين «مدرستين» اليمين الأمريكي المسيحي واليمين المحافظ الجمهوري، أو ما يعرف «بالأصولية الريفانية» نسبة للرئيس «ريغان»^(١).

يرى د. نعوم أن المدرستين أبرمتا تحالفاً بينهما يرفعان شعار (الدعم المطلق لإسرائيل، لأسباب أخلاقية واستراتيجية، في وقت واحد).

الأصولية المسيحية تعتبر دعم إسرائيل ضرورة أخلاقية ودينية، والأصولية الريفانية تنظر لإسرائيل كحليف ذي أهمية استراتيجية في إطار الحرب على الإرهاب، هنا دخل طرف ثالث على الخط هم «الأصوليون اليهود» في أمريكا، الذين يقفون إلى يمين شارون في توجهاتهم نحو العرب وقضيتهم.

يقود هذا التحالف «غاري باور» - المرشح السابق لرئاسة الجمهورية الأمريكية (وليام كريستول) مع صقور الحزب الجمهوري، وهم يعتقدون:

أولاً: أن حروب إسرائيل لا تضعف أمريكا وموقعها في الشرق الأوسط بل تمزحها وتقاوم الأصولية الإسلامية.

ثانياً: إن هذا التحالف سيؤدي إلى (السطوة) الأمريكية ما بين المغرب وإيران.

ثالثاً: بعد تحييد أمريكا للعراق وإيران فإن الفلسطينيين سيقبلون السلام المعروض عليهم... أهـ.

أحلام مبنية على قراءة لنصوص غامضة، فتختلط الأحلام السياسية بالهلوسة الدينية، والثمرة حروب وحرائق هنا وهناك.

(١) ملحق الحياة (الوسط)، العدد ٥٢٥ هي ٢٩/٢/٢٠٠٢م.

رسالة غربية: قتال إسرائيل قتالنا

يذكر د. نعوم أن الأصوليات التي مرَّ ذكرها بلورت موقمها في رسالة مشتركة، وقعها كل من: غاري باور ووليام كريستول - وزير التعليم السابق - ووليام بنيت ومدير «C.I.A» السابق ودانيال بايب وغيرهم من الشخصيات المسيحية اليهودية المتنفذة والمتطرفة، وقالوا: إن قتال إسرائيل ضد الإرهاب، هو قتالنا، ولا يمكن أن تواصل أمريكا الحث على إسرائيل لاستئناف التفاوض مع الفلسطينيين، ومثله لا يمكن التفاوض مع أسامة بن لادن.

ولأسباب خلقية واستراتيجية يجب أن نقف إلى جانب إسرائيل في قتالها الجاري ضد الإرهاب، فلإسرائيل وأمريكا عدو واحد هو الإرهاب ومحور الشر.

ومعلوم أن هذه الرسالة وأمثالها - كما يرى د. نعوم - تدفع بالحزب الجمهوري الأمريكي باتجاه الانحياز الأكثر تطرفاً لإسرائيل^(١)... أهـ.

قد يقول البعض: وأنت ما لك، شاغل نفسك بهذه التحالفات، لنفترض الأخذ بالمثل الشعبي المصري (وكع المتعوس على خايب الرجا) والمثل الآخر (إن الطيور على أشكالها تقع)، تحالفات أصولية تلتهم على بعضها، وأنت ما لك؟

هذه التحالفات وهذه الرسائل كلها تدور حولنا، وتخرب بيوتنا، فنحن الضحية وقد قيل: (تتعارك الخيل فيموت السائس).

هذه الأخلاق تسخر ضدنا وضد شعوبنا وضد أحلامنا، وجل ما نعانيه ونقاسي منه بسبب من هذه التحالفات، فهل علينا أن نفعل كما تفعل النمامة؟

القضية جد والثمن غالٍ جداً، إن ما ندفعه في فلسطين وفي العراق، والصفوف

(١) المرجع السابق.

على حكوماتنا كله يأتي من هذا التحالف، ومن تحريضه وتهييجيه، وفي العالم ملايين من المناهقين لا تحرك ساكناً إلا إذا جاء الأمر من وراء المحيط.

إن أمريكا تتدخل في أصغر القضايا وأكبرها، الكونغرس الأمريكي يناقش اختيار السائقين والشغالات، التي تعمل عندنا ومن أي البلاد يجب أن تأتي، ولعل في الحصار على الشعب الفلسطيني إشارة لكل نائم ومفتل: أيها الناعسون، أيها النائمون، الإحصار الأصولي يقترب منكم، وسيضرب الكل الحاكم والمحكوم ولن يفلت منه أحد... ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

هؤلاء المجانين - وهكذا كان اسمهم - يحكمون اليوم أمريكا ويتصرفون بها، قرؤوا في (رؤيا يوحنا) - وقد تقدمت - أن ملاكاً أو عفريتاً ينفخ بوق ويعلن: قسمت بابل إلى ثلاثة أقسام فتوضع بناء على ذلك خرائط لثلاث دول في العراق، كردية وشيعية في الجنوب وسنية في الوسط الغربي، وقد اطلع عليها وزير العدل العراقي السابق مالك الحسن، وسمعه يتحدث عنها، قبل الحرب العراقية وقبل سقوط بغداد.

المشكلة أن يجتمع متموس تميمس، وخائب رجا، لا يرجى منه خير، وعنصري حاقق على البشرية كلها، ثم يسوسون أمريكا، وأمريكا تسوس العالم... هنا تسكن المبررات.

لو كان هؤلاء يتسكمون في حانات نيويورك، ويلوكون هلوسة، من أي نوع لما شغلوا بال بعوضه، لكنهم اليوم يحكمون أكبر دولة ويتصرفون بها وهنا الخطر.

أشعلوا الحرب في أفغانستان واتبعوها العراق، وغداً سيأتي الدور على إيران ثم سوريا ثم السودان، ثم يأتي الدور على الصين وروسيا وندخل حرباً كونية كتلك التي قادها هتلر وموسليني وستالين.

الذي أتخيله مجنون مهووس يحمل «رشاشاً» ويده على الزناد ويتجول في شارع عام، ولا يعرف أحداً إلا لله حتى يطلق النار، أو على من من الناس؟

أحزن والله أشد الحزن كلما تذكرت «هؤلاء» وكونهم يحكمون بلداً مثل أمريكا وحققهم أن يشتغلوا بمزرعة لتربية الخنازير، وهذا كثير عليهم أيضاً... فهل مات الرجال العقلاء في أمريكا ليحكم هذا «العفن»؟

وهل قدر المليارات البشرية أن يقودها هؤلاء، ويتحكموا بها وبالسلم العالمي؟ اللهم أدم لنا نعمة العقل والإسلام، وأبعدنا عن المنصرية والتشنج، وأبعد اللهم أمريكا أن تتسلط علينا أو على غيرنا، وهين اللهم قيادة للعالم عاقلة تخافك ولا تتجراً عليك ولا على الفقراء من عبادك، اللهم دمر هذه الأصوليات النتنة النجسة وخلص العالم من قياداتها العفنة إنك القادر على ذلك يا كريم ويا عظيم.

فريد هاليداي: المسلمون يحتجون على السياسة

«فريد» رجل شجاع يحترم نفسه وقلمه ومن يقرأ له، يعرف العربية؛ لذا تمكن من الوصول للمعلومة دون وسيط، واضطر هنا للقول، إن المستشرقين أنتجوا كتباً مهمتها أن تصد القارئ عن الإسلام؛ لذا لم نسمع أن شخصاً وصل إلى الإسلام عن طريقهم، فلديهم قناعات «مسيقة»، وبعثهم جله يبحث عن دليل لها، فإن أعياهم ذلك تلاعبوا بالدليل، والخلاصة المستشرق «مدع عام، وليس طالب حقيقة والقليل من يشذ عن ذلك».

(لفريد) أكثر من كتاب جيد عن الإسلام والغرب، وهو يناقش المتصهين (صموئيل هنتون) وأمثاله وعلى الأخص في كتابه (الإسلام وخرافة المواجهة) والعنوان يعبر عما بالكتاب، وتظهر له كتابات جيدة في الصحف العربية، قرأت له وهو يتحدث عن الإسلام والقانون الدولي فينفي اتفاق المسلمين ضد الغرب،

ويستعرض احتجاجات المسلمين فيراها سياسية، يشاركون فيها الكثير من أمم العالم، وينفي أن تكون مثل احتجاجات السوفيت مثلاً.

المسلمون - كما يرى «فريد» - يهاجمون «الإمبريالية» الغربية، وتشاركهم أمم لا حصر لها، بل يشاركونهم مفكرون غربيون، فكل «أهل اليسار» يهاجمون الإمبريالية الغربية في شكلها التاريخي، ويصيبون غضبهم على السياسة الغربية، ولهم في كل ذلك شركاء وشركاء، ويحاول حصر الاعتراضات السياسية في ثمانين تقاطعاً^(١):

- ١- ماضي وحاضر السيطرة والتدخل الغربي في الصغائر والكبائر من الأمور.
 - ٢- تقسيم البلاد الإسلامية، ويضرب المثل بفلسطين وباكستان من بلد، ومنع الوحدة.
 - ٣- الإهتمام ببلاد مثل تيمور الشرقية، ونفوسها في حدود ثلاثة أرباع مليون نسخة، مع عدم المبالاة بمعاناة الشعب الفلسطيني والبوسني والكشميري والأرتيري وإقليم سنجياغ في الصين.
 - ٤- العمل على الإفساد الثقافي بطريقة سمجة.
 - ٥- دعم إسرائيل دعماً أعمى مهما فعلت.
 - ٦- دعم الأنظمة الدكتاتورية لأنها موالية للغرب.
 - ٧- ازدواجية المعايير فيما يخص حقوق الإنسان وعقوبات مجلس الأمن.
 - ٨- شيوع نماذج معادية للإسلام في الإعلام الغربي، ومهاجمته دون وجه حق.
- يرى «فريد» أنه بالإمكان رد هذا النقد إلى «العولمة» التي يعتبرها آخر فصل في تاريخ «إخضاع الغرب للعالم الإسلامي وتقسيمه».

(١) صحيفة الحياة في ٩/٥/٢٠٠٢م.

وقائمة الاتهام هذه مهمة، لكنها جزء من الصورة وليس كلها، فالصراع القائم بين الإسلام والقرب ليس دينياً، فالكثير من الاعتراضات (التي مرت) هي في الصين مثلاً والهند أو إفريقية أو أمريكا اللاتينية أشد منها في العالم الإسلامي... حتى نظرية «المؤامرة» نجدها في الصين وصربيا؛ لذا لا تخص العالم الإسلامي.

ويشدد «فريد» أن نقاط الخلاف بين العالمين الإسلامي والغربي «علمانية» ويمكن رد كل قضية إلى قيمة كونية، فالشعب الفلسطيني يبرر مطالبه كلها حسب «حق تقرير المصير»، وكل نقد للعملة في العالم الإسلامي لا يخرج عما نجده في العالم الثالث، وفي أوروبا نفسها، والمظاهرات الغربية ضدها خير دليل، بل تجد (العملة) لها معارضين أشداء في أمريكا نفسها، إذن فالقضية لا تخص العالم الإسلامي.

ينهي «فريد» بحثه في العلاقات الدولية، فيرى أن الإسلام يقدم منظوراً متميزاً للعلاقات الدولية، وهو يوفر لغة ومفاهيم لبحث العلاقات الدولية، كما يقدم - وهو أمر مهم - شعوراً بالهوية المشتركة لمجموعة إنسانية، تتخطى الحدود والقوميات، وفيها مرونة وانفتاح، وتستعمل لأغراض متنوعة، ويقدم نموذج «الامة» مثلاً... أهد.

هذا البحث الجميل المتوازن ينم عن معرفة جيدة، وعقلية ترفض التشنج واختراع الأعداء وتوليدهم عن عمد وسبق إصرار.

العالم اليوم لديه من المشكلات والمصائب ما يكفيها وزيادة، وبالتالي ليس هو بحاجة لتجار الأصولية الخرافية العنصرية، ولكنه بحاجة إلى مثل «فريد» يبحث عن نقاط التقاء، وليس عن نصوص غامضة عمرها آلاف السنين، ثم يقسرها تفسيراً متعسفاً، ويتأولها تأويلاً فاسداً مفرضاً.

البشرية تبحث عن إنسان عقله كبير وصدوره واسع، يسمى لكسب الأصدقاء وليس لتصنيع الأعداء.

الإسلام السياسي والإسلام الأمريكي

مات الشيخ محمد عبده وهو يلمن السياسة والسياسيين؛ لأنها تفسد الدين ولا تصلحه، لكن هناك حقيقة كبيرة لا تستطيع أمريكا ولا «أيتامها» ولا الأميين من وكلائها حججها أو التشويش عليها، هذه الحقيقة أترك الحديث عنها لأستاذ من أساتذة علم الاجتماع في جامعة «نورث كارولينا» الأستاذ «تشارلز كورزمان» فهو ينصح الغرب لأنه يتجاهل حقيقة مهمة كبيرة في سعيه لتجاهل أن الإسلام دين ودولة وبشكل متشابك وثيق، ويمتد على رقعة واسعة تمتد من شمال إفريقيا إلى جنوب شرق آسيا، وإن تغيير هذه الحقيقة والعمل على تزييفها بنشر «العلمانية» قضية أكبر بكثير من مناهج التعليم أو قضية وقف الحملات ضد الغرب^(١) (إن الإسلام السياسي هو أهم قوة أيديولوجية في هذا الجزء من العالم) ... أهـ.

وعلى هذا الجدار ستتحطم رؤوس جاهلة؛ لأنها مكلفة «بالنطح» اليومي، ويشارك حكام فاسدون حتى نخاع العظم؛ ولذا يفضل «علمان بني علمان» في الفوز ولو بنقابة حمالين أو زبالين، فلماذا المكابرة؟

إن وكلاء الغرب تتوالى هزائمهم يومياً؛ لذا راحوا يتصارخون، ويتحدثون بعصبية وتشنج يدل على ما هم فيه من مأزق كبير، أيها الأخ العلماني، كن رأساً في قرية ولا تكن ذليلاً ذليلاً هي رئاسة دولة.

محمد مصدق رئيس وزراء إيران المعروف مات وهو يكرر: يشرفني أن أكون شرطياً في دولة مستقلة ولا يشرفني أن أكون وزيراً في دولة مستعمرة.

(١) ملحق صحيفة الحياة (الوسط) في ٢٩/٤/٢٠٠٢ م .

وهمسة أخيرة: هذا الرئيس بوش الملماني صار يتكلم: الله أمرني، الله أخبرني، فهل ستحول أمكم أمريكا إلى دولة «دراويش وحنافيش» ومتى؟ وهل يعجز بعض وعاظ السلاطين من الوصول إلى ما وصل إليه الأستاذ (تشارلز كورزمان).

من باتريك سيل: إلى بوش

باتريك سيل الكاتب والصحفي البريطاني الشجاع والمتخصص بالشرق الأوسط يرسل رسائل حرة للحكام العرب، وأخرى لحكام الغرب، وثالثة للمم بوش، وتمتاز رسائله بالصراحة والجدية لمن يخاطب، وهو يكتب لبعض الصحف العربية مقالات افتتاحية أسبوعية، فيها الكثير مما يستحق القراءة، كما فيها الكثير من التحذيرات هنا وهناك، وأنقل عن مقالة تحت عنوان (هل يقود بوش العالم إلى كارثة) وأبادر للقول بأن وجود الرئيس بوش على رأس دولة علمانية كبيرة، على حين يحكمها رجال عنصريون مهلوسون لا حديث لهم إلا متى يمود السيد المسيح ويقتل الكفار، وتسيل الدماء حتى تصل إلى رؤوس الخيل ويقتل اثنان من كل ثلاثة من البشر.

هذا النوع من الهلوسة يستحق صاحبها العيش أبداً في مستشفى للأمراض العقلية، لا أن يكون في أعلى الهرم في أكبر دولة في العالم.

«باتريك» الشجاع الذي لو وزعت شجاعته على الحكام العرب لأصاب كل واحد منهم حمل (بمير) يقول - لا فض فوه^(١): إن بوش يهدد ويوزع تهديداته في كل اتجاه، من دول المروق والشر إلى دول الإرهاب، وحينما ينقل «صليبيته» الأخلاقية إلى شعوب الأمة المسلمة - وهذا نص عبارته - تلك الأمة التي تريد وتستحق الحرية وهرص الإزدهار، كبقية الشعوب^(٢)، ويقول مساعون «لبوش» - والبوش بالتركية

(١) صحيفة الحياة في ٢٠٠٢/٦/٧م.

(٢) هذا بالرغم من أنف أمثال فؤاد المعجمي وحازم صاغية وكافة «بني علمان».

يعني الإناء الخالي من كل شيء . إن انتقاداته المبطنة يوجهها للسعودية، طمعا من اللوبي الصهيوني زجها في المعركة، واتهامها بأنها خلف العداء لأمريكا، ينتقل (سيل) للحديث عن الجرائم الكبيرة التي تقتربها أمريكا وعلى رأسها إرهاب (الدولة) ويقرر أن ذلك أكبر وأخطر من عنف الإرهابيين، بل يتجاوزهم بمراحل، كما يشهد بذلك سقوط الكثير من الأبرياء في فلسطين وغيرها .

يقول «سيل» قد يكتشف «البوش» أن الإرهابيين غير معنيين بتدمير الحضارة الغربية، بل بتوفير العدالة لشعوبهم وأمتهم .

أما إبراز العضلات، والتوجه نحو الضربات الوقائية، فكلها لن تحول دون الهجمات الجديدة، بل يمكن ذلك عن طريق الاعتراف بالظلم الفادح الذي تعانيه هذه الشعوب: لذا ينبغي التسارعة لتبني سياسة تزيل هذا الظلم .

ينبغي تكرار القول للولايات المتحدة الأمريكية مرة بعد مرة أن جذور «الإرهاب» لا توجد في المجتمعات الإسلامية، ولا في فشل الحكومات العربية في التأقلم مع النموذج الغربي للديمقراطية، بل هو موجود في أعماق السياسة الأمريكية، وفي الدعم غير المحدود لإسرائيل، وفي اضطهاد الفلسطينيين، ومعاقبة العراق .

إن جنون الإرهاب كامنة في معالجة أمريكا ما حصل في أفغانستان . قبل اجتياحها . وأخيراً على الرئيس (بوش) أن يعلم جيداً أن انتصاره أو هزيمته في حربه للإرهاب، يتقرر في فلسطين، وعليه أن يعلم أن شارون لا هدف له سوى تدمير السلطة الفلسطينية وفرض الحل الذي يريده، فشارون الإرهابي لا يهمه إيقاف الهجمات، بل هو يحرض عليها دوماً عن طريق الاستفزاز، وعن سابق تخطيط، يفعل ذلك تهرياً من مفاوضات جادة تضطره لتقديم تنازلات لا يريدها ولا يؤمن بها .

ويختم (سيل) حديثه الشجاع قائلاً: إن العنف قد يتوقف عندما تنهي إسرائيل احتلالها للأراضي الفلسطينية، وأمريكا وحدها القادرة على تحقيق ذلك إن أرادت، وهو متروك لها، فإذا استكفمت بهذا الدور، فمليها أن تدفع الثمن... أهـ.

الغريب، أن أخطر قضية تركها العالم بأيدي إسرائيل والحييف المنحاز أمريكا، وجلس الكل يتفرج، وإذا قالت إسرائيل شيئاً، تردد الصدى في واشنطن وقال العالم المناق «أمين» ومد بها طويلاً لتسجل ذلك تل أبيب وواشنطن، حتى العرب «الغلابة» صارت سياستهم التزم الصمت قبل أن يطير رأسك أو تفاجأ كما فوجئ «البعض» عندما وجد نفسه داخل المحكمة أو اضطر لتغيير اتجاهه (١٨٠) درجة فصار سخرية للناس.

إن السياسة الأمريكية عبارة عن حقل لتربية «المقارب» ومصنع لتفريخ الأعداء، في برنامج من لندن طلب مقدم البرنامج من الحضور أن يذكروا ثلاث دول حليفة لأمريكا، ذكر الحاضرون إسرائيل وتوقفوا، واستكفوا أن يعدوا بلدهم كحليف، وانفرد قلة على استحياء وقالوا: كندا... ولكن مقدم البرنامج لم يقنع، هذا هو حال أمريكا وحال العالم، كسبوا مودة إسرائيل وخسروا العالم، إنها تجارة عظيمة كتجارة الأسهم في الخليج، الربح فيها خسران، فهل هذا قدر أمريكا، أم سينتفض الشعب الأمريكي ويدفع باتجاه مستشفيات الأمراض العقلية والنفسية، ومتى يكون ذلك؟ اللهم عجل وفرج فقد بلغت الروح الحلقوم!

حل رائع لمشاكل العالم

البشر يتكاثرون كما تتكاثر البراغيت أو الضفادع، ومع هذا التكاثر، تتكاثر المشكلات، البلاد الفقيرة تتدب حظها وتلتمن الفقر ويومه الأسود، لكن الجديد أن

الأغنياء، فيلسون والمتطلبات في ازدياد، الشركات الكبرى -خارج اليابان- تطرد الموظفين كي تتخلص من رواتبهم، وهكذا استوى مؤمن وكافر، فقير وغني في الحل؟

خطر الإسلام على العالم

فريد هاليداي في كتابه الجيد (الإسلام والقرب) يقول: الإسلام دين بلا خصوصية إثنية أو إقليمية، وهو يطمح أن يعم البشرية، إذ هو دعوة موجهة للبشرية كلها .

ولأن الدين نصوص، وأن أهله يحملونه ويسوقونه للعالم، وهم اليوم مشغولون بالف قضية وقضية، والتهمة تأتيهم كأنها صواريخ عابرة للقارات، وكما في القنابل هناك ذكية تصيب الهدف، وثانية غبية يطلقها الأمريكان على بغداد فتسقط في إيران، أو ترمى على العدو فتصيب الأصدقاء، ومن لا يجد صواريخ تضره يخترع معارك، كي لا يبقى عاطلاً باطلاً، والناس يتحركون .

«إلفريد شيرمان» مستشار السيدة (ماركريت تاتشر) المرأة الحديدية، بعد أن تحول الرجال إلى «رجال نايلون» هذا المستشار الشخصي للمرأة الحديدية كتب عام ١٩٩٣م مقالاً «عنترياً» عنوانه (الزحف الإسلامي الجديد على أوروبا)^(١) يحذر قومه ويتذرم، فهناك خطر إسلامي على أوروبا المسيحية، خطر يمكن لجمه، لكن السياسات الغربية تساعد على تناميها، ثم يتحدث عن العوامل التي أوجدت هذا الخطر فيذكر:

(١) الإسلام والقرب، فريد هاليداي، ص (١٨٨) .

- ١- وجود سياسة للهجرة غير مسؤولة خصوصاً في أوروبا الوسطى والغربية.
- ٢- هذه السياسة صنعت بسرعة أقلية متزايدة التطرف لما يقارب من (١٥) مليون مسلم.
- ٣- الصد والبعد لتركيا مما اضطرها للتوجه للعالم الإسلامي، بينما كانت تريد الإفلات منه.
- ٤- وجود سياسة ألمانية صدامية في البلقان، هدفها تفكيك يوغسلافيا وإخماد صربيا وتحقيق هيمنة على المنطقة.
- ٥- دعم الفاتيكان لهذه السياسة، وغزل البابا مع الدول العربية، بصرف النظر عن مصالح الأقليات المسيحية هناك... أه.

السيد المستشار يدين (الاستيطان الإسلامي) وسط وغرب أوروبا، ويشكو من انحدار القيم المسيحية بسبب الجهل بتاريخ الغرب، ومنه وعلى رأسه التهديد القادم من الإسلام، وبسبب انهيار الإيمان بين مثقفي الغرب وسياسيينه، كثير التأييد للإسلام... أه.

هذا التهيج والتخويف صار الزاد اليومي، حتى صار الإسلام شيئاً مخيفاً مرعباً، والكل يعلم أن ثمة أعمال يعتبرها الفرد الغربي لا تناسبه ولا تناسب كرامته، وهي لا بد منها، فالشوارع بحاجة لمن يكتسها يومياً، والأوساخ والنفايات والأثاث المستعمل لا بد له من يتعامل معه، الصحنون في المطاعم تريد من يفسلها، وهكذا؛ فلما تقاعس الغربي واشتغل بالمخدرات وعاش على «الأنشورنس» دفعته الضرورة للبحث عن من يقوم بذلك خارج البلاد، وكذلك المصانع والشركات بحاجة إلى بشر يعمل، ولم يكن أحد يريد الوافدين ويرحب بهم لولا ذلك.

هذا الوضع نجده في الخليج وبشكل يفوق ما هي أوروبا، فالواحدون أكثر من أهل البلد بأضعاف، لكن لا أحد يخاف ولا أحد يصاب بالذعر، مما يدل على أن العملية في الغرب (سياسية عنصرية دينية)، فلو كانت هذه الجاليات من غير المسلمين فلن يخاف أحد، ولن يتشجع أحد، إنها سياسة تختلط فيها العنصرية بالطانفية، ويتاجر بها سياسيون أكبر بضاعتهم النفاق والتحريض.

أمراضنا والطب البيطري

مثلنا مثل كثير من الأمم لدينا أمراض وعلل، وكل مرض عضوي أو اجتماعي، إذا أهمل وأزمن يفرض أمراضاً أخرى، ومهمة الطبيب البدني والنفسي أن يشخص المريض ويصف العلاج.

الحاصل عندنا أن بعض أطبائنا هم جزء من «العمة»، فهم ممن يداوي الجروح بالقدوح، والإيدز بحبة «بندول»، وإلى الله المشتكى، بعض أطبائنا تخصصهم (بيطري) ولقمة (الخيل شدوا على الكلاب سروج)... لا يحسنون ولا يجيدون التشخيص، فجاءت «وصفاتهم» قاتلة.

د. برهان غليون رجل شجاع لا يجامل ولا يداهن، يحب أن يسمي الأشياء بأسمائها: لذا سمى بعضاً من رموز «الطب البيطري» فهو يقول^(١): لا يعمل المثقفون العرب في تقدمهم (التخلف) وتمثيله بالمجتمع عامة، إلا على ترسيخ أفكار (رجال اليقظة) في أوروبا، الذين كانوا يجدون في الخرافة والجمود العقلي، مصدر تأخر

(١) مجتمعات النخبة، ص (٢٥) .

وفتور، (عالج الإسلام) هذه الخرافة -التي لا يمكن أن يحملها إلا شعب مغلوب- أصبحت اليوم ذات أشكال متعددة، فهي (الضلوعية) عند صادق جلال العظم، والسلفية وفقدان الوعي التاريخي عند «العروزي»، وهي الجمود والتعصب والثبات عند «أدونيس» وأحمد عباس، وهي الرجعية والتعلق بالماضي عند «محمود العالم الماركسي»، وهي العقد النفسية المختلفة عند «مصطفى حجازي» وأمثاله من أولياء المدرسة النفسية العربية، المفتونة بتعريفها الجديد على علم النفس والتحليل النفسي... أهـ.

وبالنسبة د . غليون كان ماركسياً ماوياً حتى الأمس: لذا فهو من «الطينة»، ولا يمكن لأحد أن يتهمه بالعداوة ولا السلفية، إنه يصنف «الرموز» ويسميهم فقط «طبقة مثقفة»، لكن مثل «باروك الشعر» يستعيرها أصلح فيبدو (قمرأ) كل مثقف خطف نظرية وجعل منها «كليشة» ويحسب أن ليس في البشرية من يحسن علمه ومعرفته، وكل ما لدى (المسكين) نقل حرفي لتجارب في الغرب قد تنفع وقد لا تنفع، لكن (الطبيب البيطري) لا يملك سواها، فهو يعمل وفق شعار (تريد أرنب خذ أرنب، تريد غزال خذ أرنب) شخص نسخ من الماركسية مثل النعجة «دولي» مهمته سب الإسلام وأهله بأقذع وأقبح الصفات، ثم ماذا؟ خذوا الماركسية والا فانتهم...

آخر: إذا لم تسمعوا لي فانتهم جامدون متمصبون، وكل ما عندكم ثابت ومطلق، ولا خير في كل ما عندكم، ولن تتقدموا شبراً حتى تتوجوني ملكاً ثقافياً عليكم.

والسؤال: أهذه مهمة المثقف أو المثقّب؟

المثقف في كل مكان في العالم (رائد) والرائد -كما يقول المصطفى عليه السلام- لا يكذب أهله، ومثقفونا للأسف أو الكثير منهم، ليسوا من هذه الطينة،

أوصياء على أمة (قاصرة) يريدون أن يقودوها ليس بالإقناع ولكن بالسب والشتم
وكيل التهم، مع اجترار كل قيل في أوروبا في القرون ١٧، ١٨، ١٩ .

يا إخواننا: الدنيا تتغير يومياً، ومجتراتكم صارت قديمة، ورائحة «العفن» تفوح
منها، لا يكفي أن يقع الواحد منكم على «نظرية» ثم «يلطشها» ويتاجر بها وكأنه
جامنا يجر «الأسد من ذيله»... افهموها يا عالم!!

قراءتنا للغرب فيها حَوْلٌ

القراءة للغرب أو الشرق تحتاج لرؤية سليمة وتفسير صحيح، الكثير من
قراءتنا تفتقد السلامة والتفسير الصحيح، ذات يوم في أواخر أيام الدولة العثمانية
صار الكل يتحدث عن الغرب ونهضته، هذا يذكر سبباً وغيره يذكر غيره، فقال حاكم
عثماني: سأقوم بنفسي وأذهب إلى أوروبا وأتي بالخبر اليقين.

ذهب الرجل وعاد ليقول: أبشروا، لقد وجدتها. فماذا وجد؟ قال: وجدت أننا
نربي لحانا وهو يحلقونها، وتحضر النساء اجتماعاتهم ونحن نمنعن، ونلبس
الطربوش الأحمر ولا يلبسونه.

وهذه الرؤية سليمة صحيحة، ولكن لا علاقة لها بالتقدم أو التخلف، هذا يشبه
قول رجل رأى ساعة كبيرة معلقة على حائط نظيف مصقول، وأخرى قديمة ونسخة
قذرة مملوءة بالغبار، لم تمسها يد منظف، تشتغل ولكن دون ضبط، تشتغل ساعة
وتستريح أخرى، مرة تقدم ومرات تؤخر، فجاء من يقول: كل ما ترون يعود للحائط
وبسببه، إنها رؤية «أحول» يرى الواحد اثنين.

د. محمد الجابري^(١)، تكلم في الهوية فقرر أشياء خاصة في الغرب، فنحن

(١) صحيفة الشرق الأوسط في ١٣/٢/١٩٩٧ م.

نخطئ إذا اعتقدنا أن الغرب قد (تحرر) من خلفياته الثقافية والدينية. وإن كان اليوم يظهر العلمانية والبرغماتية.

وسنكون مخطئين إذا جردنا الغرب من ذاكرته الثقافية والدينية، فهذه الذاكرة تعمل بصورة واعية في رجال الكنيسة والمتطرفين في الغرب كله، وهي تعمل بصورة «لا واعية» في العلمانيين والليبراليين مثلاً. وهي ما تزال تعمل في تفكير الصحافيين والمحللين، ومثلهم صناع القرار من السياسيين الليبراليين العلمانيين... أهـ.

هذه رؤية يمكن أن تفسر لنا الكثير من المواقف مثل مناصرة إسرائيل ضد قضايانا، ومثل قضية الرسوم المسيئة، ومثل التحريض ضدنا وعلينا بمناسبة ودونها، محاولة الوقوف من كل ما ينفعنا موقفاً غير مشجع بما في ذلك الموقف من الحداثة -كما تقدم- الموقف من الديمقراطية وتقديم العلمانية عليها، نقل بعض الصناعات، كل ذلك يمكن فهمه إذا سلمنا بما قدمه (الجابري) فإن قلنا بأن الغرب هو الإشعاع الحضاري والتقدم وحامل مشعل الحضرة، وكل من يقف في وجه مشاريعه فهو رجعي ظلامي متعصب، وهو «الموال» الذي نسمعه يوماً من «بني علمان».

الإنسان يغير ملابسه وبيته، لكنه لا يغير ثقافته وقناعاته الطريقة نفسها، هذا التشنج ضدنا، وهذا الاصطفاف مع عدونا لا بد له من سبب، والسبب ثقافي ممزوج بقناعة دينية، وإن كانت (القشرة) علمانية ليبرالية براغماتية... فهل يعجب هذا التفسير عشاق الغرب والوكلاء الدائمون؟

د. غليون وقوانين عامة

لا أخفي ولا أكتفم إعجابي الشديد بشجاعة د. برهان غليون (الأستاذ بجامعة السوربون)، فهو لا يجامل أحداً ولا يوافق لأحد، ولا يتهيب من رد أحد، في كتابه الجاد الجيد «اغتيال العقل» يتحدث عن بعض القوانين «الاجتماعية» فيذكرها بصراحة (موجعة) وخصوصاً حين يهاجم «الحدائث الرثة» والحدائثين، فلا يترك صفة إلا وصفها ووصفهم بها، وأقترح دراسة كتابه «اغتيال العقل» في طبعاته المتأخرة -من السادسة فما بعدها-.

يذكر من القوانين -ليس من التشريع- أن الاستبداد يفضي إلى تخلف العقل، وتخلف العقل يؤدي إلى تخلف التربية، وتخلف التربية يقود إلى (نقد التراث الديني) وهكذا نظل ندور في حلقة مفرغة، ننتقل من المشكلات الثقافية إلى السياسية والاجتماعية والتاريخية، دون حسم لأي منها^(١)... أهـ.

هذه قوانين أجدتها منطقية، ويفضي بعضها إلى بعض، مثل: النصر يقود للنصر، والهزيمة تقود إلى هزيمة.

الاستبداد -وهو طاعون يقتل الكرامة- يحجر على كل شيء من الكلمة إلى النكتة إلى الفرح، فيتخلف العقل ويجمد، فيؤدي ذلك إلى انحطاط وتخلف التربية، فالاستبداد يخيف الناس، ويحولهم إلى مخلوقات كأنها دجاج في مدجنة، أو غنم في حظيرة، فإذا تخلف المجتمع عقلياً وتربوياً وخاف من الحاكم المستبد، يبعث عما يسميه «الأكراد» خنجر بتين، تضرب الخنجر بالقش، فتكون العملية سلام بسلام، لا حساب ولا عقاب ولا يحزنون، فيتحول الناس الخائفون من البعيب المستبد ليشغلوا بنقد التراث الديني، وهذا بالضبط ما يفعله الحدائثيون والعلمانيون،

(١) اغتيال العقل، الطبعة السادسة، ص (٥٥) .

(خنجر بتين) أضرب بالتراث وأهل التراث، وكن «دون كشوت» جديد، لكن إياك ثم إياك أن تقول للمستبد (على عينك حاجب)؛ لأنه قد يقلع عينك ويحلق حاجبك.

اقرأ الخطاب الحدائي العلماني تجد صدق ما قاله د. غليون، منتقد المستبد له ثمن غال كبير، لكن نقد التراث الديني يجعل من صاحبه «بطلاً» في نظر بعض من أبنائنا، وبطل الأبطال في نظر الغرب، والمحصلة لكل ذلك (فشه خلق) ومجارية «طواحين» أو عفاريت، والنتائج سليمة ومضمونة، أما نقد السيد المستبد فيمكن أن يوصل لقطع الأعناق أو الأرزاق، أو الاثني معاً، فلماذا المجازفة؟

قوانين أخرى

يذكر د. غليون قوانين أخرى، فعندما تصاب أمة أو جماعة «بصدمة» كبيرة بحيث تفقد ثقتها بنفسها، فتصبح على استعداد لرؤية كل «الميوّب في تاريخها» وكل المحاسن في تاريخ غيرها، وعندما تنتقل من الدراسة الموضوعية المحددة إلى اتهام النفس أو الواقع السيئ أو التاريخ أو التراث، فهذه المواقف لا تقدم في شيء، بل تحرم الأمة أو الجماعة من الرؤية الواضحة والسليمة، وتدفع بها إلى «الفرق» أكثر فأكثر^(١)... أهـ.

الذي أشعر به أن د. غليون يدرس حالنا مع «الصدمة» الغربية وما فعلته وما زالت تفعله في «البعض» درس الظاهرة جيداً دون انحياز أو تشنج. فوصل إلى أن الصدمة إياها جعلت بعض الناس يتشكك بتاريخه فلا يرى فيه بقعة «بيضاء» والتفت إلى الناس وراء البحار، فرأى كل شيء لديهم جيداً رائماً، ولو كان في حال «توازن» ونظر للغرب وهو يجتاح كل القارات ويستعمرها، ويسترقها وينهب

(١) المرجع السابق، ص (٦٤).

خيراتها، وهو عمل بري شنيع، لكن الصدمة وقوتها أريكته وجعلته لا يرى في الاستعمار شيئاً قبيحاً، بل العيب كل العيب في الشعوب التي جرى استعمارها واستعبادها .

قضية نقل عشرة ملايين من الأفارقة بالقوة إلى أوروبا وأمريكا وضرب الرق عليهم ومعاملتهم كحيوانات، خلال نقلهم واستعبادهم، هذه جريمة تسود وجوه أجيال بكاملها .

قضية ثالثة كيف عامل «البيض» الهنود الحمر وقتلوهم بالملايين، ونشروا الأمراض بينهم، كل ذلك يعجز بعض الناس «عندنا» أن يقول فيه كلمة، لدينا «أبطال» لا شغل لهم سوى تسويد صحائفنا وتبيض صحائف غيرنا، عشق قاتل، وجلد للذات أقتل وأسوأ .

إن سب الأمة وتاريخها وحضارتها ونقدها حتى «كسر العظم» لن ينهض بها مطلقاً، فالمرضى إذا زرتهم وقلت: ما شاء الله، شكلك في تحسن وكلامك في تحسن، وحركتك في تحسن، هنا تتحسن معنوياته، ولكنك لو عيبست بوجهه وقلت: شكلك لا يعجبني وصوتك لا يعجبني، وحركتك ثقلت، فماذا تنتظر من المريض؟

إن بعض الناس يمارسون هذه الهواية، ويعتبرونها من (النقد البناء)، ويذكروني هذا النقد بقريب لي كان يملك (فرساً) مرضت، فعرضها على معالج فكواها فماتت، فحزن مالكها وقال لذلك الطبيب ما هذا، فتلقى جواباً لم يحلم به أحد (يا أخي، أحمد الله، فلو لم أكوها فيمكن أن يحدث لها أي شيء) قال الرجل بألم وحسرة: وهل هناك شيء بعد موتها؟!؟

ربما يقول قائل: لقد صعدت من النقد، وقد تكون بالفت، وأنا أقول «قد»، لكني ما إن أطلع على مجلة أو صحيفة للقوم «إياهم» حتى أتحمق من وجود لسانين،

لسان يضرب بالأمة وتاريخها وحضارتها ودينها، ولسان أنعم من التحرير يتحدث عن القوم خلف البحار، وكانهم مخلوقات جاءت من المريخ، ومن لا يصدق فليقرأ للدكتور أحمد البغدادي وفؤاد العجمي وحازم صاغية وأمثالهم، فهم يعيشون معنا بأجسادهم، أما قلوبهم وأرواحهم فهي تسرح في لندن وباريس ونيويورك، وبينما الصواريخ وقنابل (جهنم) تتساقط على أهلنا في العراق. كان بعضهم يكتب لنا عن «وجه أمريكا المشرق» بينما يصرخ أمثال نعوم تشومسكي وباتريك سيل ويستنكر تلك الحرب الظالمة ويصف المسؤولين عنها بأنهم «مجرمو حرب».

يا سبحان الله، صبي أمريكي يسلم ويتخذ له اسم «محمد بن الله»، وعندما يسأل ما هي أمتيتك فيقول أن يتحرر الشعب الفلسطيني وتصير له حكومة. وعن رغبته في العمل مستقبلاً فيقول: أريد أن أكون مصوراً؛ لأن الصورة للمسلمين مشوهة، ومن أمانيه، أن يحج ويقبل الحجر الأسود، ويتعلم العربية ويحفظ الكثير من السور القرآنية.

صبي عمره (١٢) سنة هذه أحلامه، ورجال أصحاب معالي هوايتهم شتم الأمة بمناسبة ودونها، تزلفوا ونفاقاً للغرب، ولسان حالهم يقول: (نحن هنا، فلا تنسوننا من أفضالكم ودعمكم، أدام الله عزكم وتفوقكم!).

المنافقون وعبادة الذات

المنافق شخصية «نرجسية» يعبد ذاته «المتورمة»، يستخدم في ذلك كل القيم، الدين والأخلاق وكل شيء، و المنافقون اليوم يتكاثرون كالذباب ويتساقطون على المنافع الشخصية كما يتساقط الذباب على القمامة والجيف، والمنافق مستعد ليغير رأيه كما يغير ملابسه ولا أقول أحذيته.

وكنت نقلت عن الكاتبة «غريس هالسل» يلاحظ الهوامش (١٢، ١٣) أخباراً عن اجتماعين لمناققين زاد عددهم -لا يارك فيهم ولا في أعدادهم- عن (٦٠٠) من (٢٨) دولة، يناهقون لإسرائيل واليهود، لكن «غريس» ذكرت القليل من اهتماماتهم وما قرروه، وبعد أن انتهت من الكتاب، وجدت الدكتور (يوسف الحسن) له كتاب عنوانه (البعد الديني في السياسة الأمريكية) والكتاب رسالة دكتوراه طبعت أربع طبعات آخرها (٢٠٠٥م) ووجدت الكاتب يذكر المؤتمرين «للمناققين» وما تقرر فيهما، فأحببت أن أضيف ذلك.

مؤتمر "بال" للفترة من ٢٧-٢٩ آب ١٩٨٥م

جاء في المؤتمر: عن الوفود المجتممين هنا، من دول مختلفة، وتمثل كتائب متنوعة، في هذه القاعة الصغيرة نفسها، التي اجتمع فيها منذ (٨٨) عاماً مضت الدكتور (هرتزل) ومعه وفود المؤتمر الصهيوني الأول، والذي وضع اللبنة الأولى لإعادة ميلاد دولة إسرائيل وقد جئنا معاً للصلاة ولإرضاء الرب، ولكي نعبر عن التضامن مع إسرائيل، ونحن ندرك اليوم، وبعد المعاناة المريرة التي تعرض لها اليهود، أنهم ما زالوا يواجهون قوى «حاقدة ومدمرة» مثل تلك التي تعرضوا لها في الماضي.

ونحن كمسيحيين ندرك أن الكنيسة أيضاً لم تنصف اليهود طوال تاريخ معاناتهم واضطهادهم. وعن اليوم نتوحد في أوروبا بعد مرور (٤٠) عاماً على الاضطهاد - الهولوكس - لكي نعبر عن تأييدنا لإسرائيل، ونتحدث عن الدولة التي تم إعداد ميلادها هنا في «بال» ونحن نقول (أبدأ.... ولا رجعة للقوى التي يمكن أن تسبب في استرجاع أو تكرار هولوكست جديد من الشعب اليهودي).

ونحن نهنئ دولة إسرائيل ومواطنيها على الإنجازات العديدة التي تحققت في فترة وجيزة، تقل عن أربعة عقود، ونحن نحضكم على أن تكونوا أقوياء في الله، وعلى أن تستلهموا قدرته في مواجهة ما يمترضكم من عقبات، ونناشدكم (بحب) أن

تحاولوا تحقيق العديد مما تصبون إليه، وعليكم أن تدركوا أن يد الله وحدها هي التي ساعدتكم على استعادة الأرض، وجمعتكم من منفاكم طبقاً للتنبؤات، التي وردت في النصوص المقدسة، وأخيراً فإننا ندعو اليهود كافة في جميع الممورة بالهجرة إلى إسرائيل، كما ندعو كل مسيحي أن يشجع ويدعم أصدقاءه اليهود، في كل خطواتهم الحرة التي يستلهمونها من الله (البعد الديني ص ١٢)... أهـ.

ويلاحظ على هذه القرارات عدم ذكر السيد المسيح، فقد غاب ذكره نهائياً، ربما لأن اليهود يقولون إنه موجود في أسفل جهنم في... يفتي، كذلك غاب من البيان ذكر الشعب الفلسطيني وما يعانيه.

وتذكر رجال «النفاق» الهلوكست، كما تذكروا معانات اليهود، لكنهم لم يقولوا من كان خلفها؟

كذلك يدعون كل اليهود للهجرة، لكنهم كزعماء للنفاق لم يقولوا سبب ذلك: لأن هذا يزعج اليهود وإسرائيل، فالسيد المسيح متى عاد قتل الكفار ورماهم وبالبلايين في حضرة كبيرة، ومنهم اليهود، وكل من لا يؤمن بالمسيحية.

المنافقون تجاهلوا كلياً الشعب الفلسطيني، ولو صدر هذا البيان من «الكنيست» الإسرائيلي لكان أرق وأنعم، ولذكر الفلسطينيين ودعاهم للسلام - كما هي العادة -.

إن المنافقين الذين يعتقدون أن عودة السيد المسيح حانت، وأن المعارك الكبرى أوشكت وسوف يقتل السيد المسيح الملايين وتصل الدماء إلى رؤوس الخيل كل ذلك جرى «لحسه» وسؤال أخير: هل كان المجتمعون في «بال» رجال دين يؤمنون بالعلمانية أم كانوا شياطين «سياسة» بملابس رهبان؟

الخاتمة

في آخر كتاب لي عنوانه «مطابخ الكره والعنصرية» طرحت تساؤلاً، وأحب أن أعيده: (نحن وأمريكا عشق دائم، أم طلاق بائن)؟

بعض أبنائنا عاشق «متيم» - حمانا الله من العشق- لأمريكا وما يصدر عنها، بينما ينظر الكثير لها كصانع لذلنا وقهرنا، والمؤيد الأول والأكبر لعدونا والقاتل لأحلامنا، والمخيب لأماننا.

● أمريكا التي «تحلم» بحكم العالم وبناء إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس، وتعجز أن تقول لإسرائيل «لا» فأى إمبراطورية هذه؟!

● أمريكا لديها «جرعة» كبيرة من القوة، في مقابل جرعة «هزيلة» من العدالة، وكل من يطمع أن يحكم العالم فالمطلب الأول والأهم أن تكون «جرعة العدالة» هي الأعظم والأكبر والأهم.

● أمريكا ترفع «العصا» وشعارها «العصا لمن عصا». العصا - يا جماعة - تناسب راعي الفئم والبقر والخنازير، لكنها لا تناسب من يسوس الناس ويريد إنشاء إمبراطورية، ومن يتطلع لحكم العالم عليه أن يعطي وليس أن ينهب، يناصر الفقير لا أن يدعم القوي الظالم.

● أمريكا تتاجر بالكلام، تتحدث عن حقوق الإنسان وهي تقتلته وتعذبه في العراق وأفغانستان وغوانتامو، وتشر السجون السرية في العالم، ولها ألقم طائرات لا تنقل سوى «المخطوفين» والمرحلين سرّاً وعلانية.

- أمريكا تستبيح القوانين والمعاهدات الدولية وتستهيئ بها، وتطالب غيرها بالالتزام القانون الدولي وإلا ...
- أمريكا تزرع جيوشها حول العالم وتمنحهم الحصانة من الحساب والعقاب، فيضلمون ما يحلو لهم، فيمرغون سممة بلدهم في التراب، دون خوف ولا حساب ولا عقاب.
- أمريكا تدعي أنها حاملة رسالة ربانية في دولة علمانية، فتصير «الرسالة، مضحكة.
- أمريكا صاحبة أكبر ميزانية عسكرية في العالم تتجاوز (٤٠٠) مليار دولار، تحاسب دولة مثل الصين على توسعها في ميزانيتها العسكرية كما تحاسب غيرها!!
- أمريكا تفسد البيئة ولا تبالى، تقدم الرشوة لحكام فاسدين ولا تبالى، تعمل انقلابات عسكرية ضد منتخبين ولا تبالى، تنهب الخيرات ولا تبالى.
- أمريكا تفرض «العولة» وتطالب الدول بحرية دخول البضائع، وفي ذات الوقت تقفل حدودها أمام البضائع الأوروبية والصينية واليابانية.
- أمريكا تخيف الحكام وترهبهم ليسيروا وفق أجندتها وإلا ...
- أمريكا تعلن الحرب على «الإرهاب» فتفتح أكبر سوق للإرهاب في العالم.
- أمريكا تمنع الخطف لكنها تمارسه يومياً في كل مكان.
- إن الظلم والفساد والعنصرية و التحيز تضرب في أعماق السياسة الأمريكية، ومن هذا حاله فليس مؤهلاً لقيادة العالم.
- إن الإيمان بالأساطير والخرافات ومعارك يأجوج ومأجوج واهرمجيدون وأمثالها يصلح أن يكون حاكماً لدولة متخلفة، لكنه لا يصلح لدولة علمانية تتطلع لحكم العالم كله.

● إن من يمجز أن يفرض «أمراً» ولو صغيراً على دويلة مثل إسرائيل، كيف يطمع بحكم العالم كله، والسيطرة على مقدراته؟

● أمريكا «سوبرماركت» كبير فيه بضائع وأفكار من كل شكل ولون، فيه أفكار متضاربة، ولوبيات متصارعة، وأحلام متاضدة، وكل يطمع في تنفيذ ما عنده، وعلى العالم أن يصبر على قيادة من نوع فريد، يمكن أن تقوده إلى حرب كونية لا تبقي ولا تذر؛ لأنها وجدت في أساطير قديمة «هلوسات» غير مفهومة فراحت قيادتها الأصولية تفسرها كما تشاء، وتنفذ سياسة تقوم على هذه الأساطير. والفصل الأول من الكتاب حاول توضيح هذه القضية.

● أمريكا تحلم، ولا ضريبة ولا منع على الأحلام، لكن بعض الأحلام مثل بعض أنواع الحب (ومن الحب ما قتل) بعض الأحلام الأمريكية، تريد أن تعود بالعالم إلى حقبة الاستعمار، ولكن مع بعض التجديد بالوسائل، وهذا أمر تجاوزه التاريخ وتطور العالم ويتجاهله كلياً.

● الاستعمار شجرة مرة ماتت، أو وحش مفترس شاخ وهرم، فمن يستطيع أن ينفخ فيه الروح ويعيده للحياة، ولو تحت أسماء جديدة وعناوين براقية؟ الأمر أكبر من طاقة أمريكا؛ لأن الساقط لا يعود، والميت لا يمكن وليس بقدرة أحد أن يرد له الروح.

● في الفصل الثاني حاولت بسط هذه القضية حسب ما تسمح به المساحة وربما أكثر من استدعاء الشهود، وحشد النصوص، كي أصل لما أريد دون قفز فوق الحقيقة، ولا تلاعب بنص، ولا تفسير متمسف.

● قد أكون أطلت وقد أكون بالفت، ولكن حجم «القضية» قد يتطلب ذلك أو يسمح بذلك على الأقل حسب قناعاتي المتواضعة.

● لقد وجدت قيام تحالفات «أصولية» طائفية عنصرية بين كتل مثل اليمين الأمريكي المسيحي، واليمين المحافظ الأمريكي الجمهوري مع الأصولية اليهودية، والكل يجعل أمريكا في خدمة إسرائيل وأحلام إسرائيل، والدفاع عن جرائم إسرائيل، والكل يصب ضدنا ويفتال أحلامنا، ويصادر تقدمنا، ويحاول أن يجعل منا هنوداً حمراً أو صفراً أو سوداً.

● حاولت ما استطعت كشف ذلك وبأقلام أناس ليس منا، بل جلهم من وراء البحار ومن «الطينة الغربية».

● أخيراً وجدت تحريضاً وتحريضاً ضدنا، رصدت الظاهرة، وحاولت أن أجد لها تفسيراً، بعد تقديم نماذج منها وعنها، وكان بودي أن أطيل الوقوف هنا، لكن للضرورة أحكام، فاختصرت قدر الاستطاعة، ولدي «بضاعة» جيدة استخدمت بعضها، وأخرت الكثير.

● وجدت بعض أبنائنا قد انحاز كلياً ضد أمته وتاريخه ولغته، بينما يستعمل لهجة حريرية الملمس، حين يتكلم عن وجه أمريكا المشرق، ولا أنكر ولا أخفي أن حديث بعض أهلنا يوجعني ويؤلني، فهذا النضر فشل في أن يقدم سوى نوعين من القصائد.

النوع الأول: هجاء مر أمر من الحنظل فينا وفي كل ما لدينا، هجاء يذكرنا بالشاعر «الحنطيئة»، حين هجا الكل حتى نفسه وأهله.

النوع الثاني: قصائد غزل تذوب رقة وعذوبة لأناس وراء البحر يحتقروننا، ويشتموننا، وينصرون عدونا علينا بالحق والباطل.

هذا الفريق من أبنائنا سجل فشلاً ذريعاً، شاخت رموزه وتوالت هزائمه، ولم يدخل معركة إلا هزم فيها، وجبراً للخواطر وتقديراً للبعض أعطى

للبعض مناصب وصحفاً، فصارت وسيلة «نواح ولطم الخدود»، من يطلق عليها يمتد ليس في تاريخنا صفحة بيضاء، وليس في تراثنا كلمة نافعا وكل ما عندنا من مخلفات القرون ومن سقط المتاع، وكل ما يأتي مز وراء البحار فهو الخير المطلق، والعلم النافع، والخلق الحسن.

ليس هذا نوع من «المسخ» ونوع من الهزيمة التي لا تبقي ولا تذر!!

● قد أتهم بأني قسوت على بعض أهلنا، نعم، ولكن ذلك من باب العتب، فالإنسان لا ينتظر الإنصاف من عدوه، لكن يوجعه الانحراف من أهله، يوجعني أن أقرأ لكاتب العلماني منا فإذا به يقول إن القرآن لا يستعمل «العقل» إلا بالمعنى اللغوي القديم، وهو الربط المادي مثل (عقال البعير) وأستعرض الآيات فأجدها كلها لا تستعمل العقل هذا الاستعمال، وأجد الكاتب الغربي المنصف لا يقول بهذا وغيره، فأحزن أشد الحزن لهذا «التلاعب» وانعدام الأمانة العلمية من أساتذة هي جامعات، وأصحاب ألقاب!!

وأقرأ موشحات هجاء لبعض أبنائنا تصور تاريخنا وكأنه راع يحمل العصا ويسوق أمامه قطعاً من الفنم.

● إن الأمم لا تهض ولا تستهض بالسب والشتم، ومن يفعل ذلك بأمرته وتاريخها وتراثها، تصد عنه وقد تلعه، وترميه بعيداً، فيزيده ذلك تشنجاً وتعصباً، ويرمي الأمة كلها بالمعوق والجعود، وهو العاق الجاحد المنحاز ضد أمته وكل ما تملك.

● وأرجو وأمل من أبنائنا أن يفكو ارتباطهم بالفريب البعيد، فقربهم والتصاقهم بهذا الفريب سيزيد من كربهم وعزلتهم، والأمة بملايينها تستطيع الاستغناء عن هذا النفر «القليل»، فهل باستطاعتهم الاستغناء عن أمتهم، ورميها بكل عيب ونقيصه؟؟

● يطلبون منا الابتعاد عن الإسلام، وهذه إسرائيل وأمريكا كلها تعود للدين وتتحكم بها أصوليات تفوح منها رائحة (العفن)، لكنهم لا يرون ذلك، رئيس أكبر دولة علمانية في العالم يتحدث رئيسها فيقول: الله أخبرني، الله أمرني، سأدخل الجنة بسبب كذا... هذه الهلوسة مقبولة، وكل من يقول قال الله وقال الرسول يجب أن يخاط فهمه حتى يسكت!

● في أمريكا العلمانية اليوم تستدعى نصوص عمرها ألوف السنين، وعفاريت تصعد وأخرى تنزل لتعلن تقسيم «بابل» إلى ثلاثة أقسام، فترسم خرائط في أمريكا لثلاث دول في العراق، ويصمت تجار العلمانية صمت أصحاب القبور!

● كاني أسمع معترضاً مشفقاً: ألا تكفينا معارك العراق وأفغانستان والسودان وفلسطين لنفتح معارك جديدة؟

وأقول: لقد شبعنا وأتخمننا معارك وهزائم، ابتداءً من معارك كمال أتاتورك العلمانية التي سالت بسببها الدماء، إلى معارك مراهقين أمثال الحبيب بورقيبة، إلى المعارك الناصرية التي سلمت لإسرائيل كل فلسطين بأرخص ثمن، إلى حروب البطل القومي العربي «صدام».

هذه المعارك أشعلها مراهقون غير مؤهلين، فتوالت علينا الهزائم، ثم جاء الإخوة من «بني عمان» ليمطرونا بقصائدهم على النمط «الحطيثي» والغزل بالغرب وما يفعل على النمط «النواسي» وتفزله بالخمير والغلمان.

فمن المسؤول عن هذه الحرب السفهية العبيثة؟

● وانتهاء ففي العراق معركة أديرت من قبل صدام أسوأ إدارة، فلما سقط النظام، وجاء من يخلفه، نشر القتل والسلب والنهب، وظهر الخطر المحدق بالعراق وخطر تقسيمه إلى ثلاث دويلات «كسيحة»، وعلت شارات الحرب الطائفية، وتساءل

الناس: هل ستحسم المعركة عسكرياً ويفضل الميليشيات، أم سيتغلب الحل السياسي؟

وفي وسطور قليلة - وقد قدمت التفصيل- ينبغي أن يكون الحل سياسياً لأسباب:

١- وجود المحتل الأمريكي الذي سيتدخل في المعركة كي تطول، وتنتهي دون نصر لطرف أو هزيمة لآخر (لا غالب ولا مغلوب).

٢- إن القوى فيها تكافؤ، وإلحاق طرف الهزيمة بآخر غير وارد في المنظور القريب.

٣- الأسلحة متوفرة في العراق، فقد فتح الجيش الأمريكي مخازن الجيش العراقي للسلاح وسمح لكل من يريد أخذها؛ لذا لا يوجد بيت ولا مسجد ولا حسينية ولا كنيسة دون سلاح، والحكومة تعرف ذلك وتعترف به.

٤- النفوس مشحونة والأيدي على الزناد، والقتل والتهجير على الهوية.

٥- إن تدخل بعض دول الجوار يطيل القتال ولا يسمح بالحسم العسكري.

٦- لكل ذلك، فالحل في العراق يجب أن يكون سياسياً، وأبادر للقول هناك أناس داخل العراق وخارجه يريدون استمرار القتال حتى قيام الساعة، وهم يتفرجون.

٧- وأذكر بما فعله صدام مع شاه إيران حين وجد أن الحرب مع الأكراد لا يمكن حسمها؛ لأن الشاه سخر جيشه لنصرة الأكراد، فاضطر «صدام» للبحث معه عن حل سياسي، وبدأت مساومات انتهت باتفاق الجزائر فالقى جميع المسلحين سلاحهم في يوم واحد، وانتهت ثورة عمرها سنوات.

٨- إن حرب العراق الطائفية لن تخرج عن نطاق الحرب اللبنانية التي انتهت: (لا غالب ولا مغلوب).

٩- بالأمس ومنذ أواخر العهد العباسي كان الشيعة والحنابلة يتقاتلون، اليوم اختلفت الأمور، ففي العراق اليوم أكثر من (٢٧) مليوناً، والمهزوم لا يستطيع الهرب: لأن أحداً لن يقبله أو يستقبله ولن ينتصر طرف على طرف، وإذن فالحل العسكري ممتذر، إلا إذا انحاز الجيش الأمريكي كاملاً إلى طرف.

١٠- لذا أطلب من كل عاقل محب للعراق وأهله أن يرفع شعار: نريد حلاً سياسياً سريعاً في العراق قبل تفتته إلى ثلاث (أمبراطوريات متهالكة) خرائطها رسمت في أمريكا قبل الهجوم على بغداد وينتظر بعض الناس في بغداد وواشنطن التنفيذ، ورسم الحدود، كما رسمت في «سايكس بيكو» وأمثالها.

١١- في العراق اليوم من يماس كل أنواع الظلم، وينتشر فرق «الموت» باسم «المظلومين» ويمارس أحقر أنواع التهجير الطائفي والسؤال: أهكذا تبني الدول، أم هكذا تعالج الأمور؟

١٢- يحلو للمنتفعين من «صقور المليشيات» أن يطلبوا ليل نهار بدمجها بالشرطة والجيش، وقد أدمج الكثير منها فأفرخت «فرق الموت»، وإن استمر الأمر كذلك فإن الجيش والشرطة معاً ستتحول إلى مليشيات، وسوف يعم القتل على الهوية والتهجير، ولا يبقى من العراق شيء، وسيترحم العراقيون على الجيش الأمريكي وما يفعله في سجن أبي غريب، وحتى سجون غواتامو فهل من مستمع؟

١٣- يعيش البعض (الفيدرالية)، وينظم فيها قصائد، كتلك التي كانت تنظم بحق «صدام»، وحسب علمي المتواضع فال المطلوب هو أن يابى نطق «بلا عدادات»، يخصص لكل مليشيه أنبوب أو أكثر، ولكل حزب ولكل رئيس عشيرة، وكل فيدرالية وأنتم بخير.

١٤- إن العراق يعاني من مشكلات ليس بمقدوره منفرداً أن يحلها... وأساس هذه المشكلات «الاحتلال» وما جره على العراق، وما يفرضه يومياً.

فالأمر يكمن بحرصون على التدخل في كل القضايا العراقية، الصغيرة قبل الكبيرة، وكلها ينظر لها من وجهة المصالح الأمريكية.

أما الأمر الآخر القاتل، فكل قضية، مهما صغرت وأريد قتلها، وعدم البيت فيها، يحيلها الأمريكان إلى لجنة أو أكثر فتموت، بحيث لا تخرج من هذه اللجان، وليس من حق أحد التفتيش عن حل حتى تقول اللجان كلمتها، ولو بعد يوم القيامة؛ لذا كثرت المشكلات وتعقدت، حتى صار الحال كخنفسة دخلت كومة صوف فلم تعد تعرف كيف تخرج، ولا متى ستخرج؟

ويزيد القضية تعقيداً التناحر الداخلي، وتدخل جيران العراق بقوة، حتى فقد العراقيون قدرتهم على التحرك، وحل مشكلاتهم، والتقليل من متاعبهم، والشكوى لله أولاً وأخيراً.

بريمر وعام في العراق (مذكرات بريمر)

عين الرئيس بوش السفير المتقاعد (بول بريمر) مبعوثاً إلى العراق، قضى ما بين الشهر الثالث من عام ٢٠٠٢م حتى حزيران عام ٢٠٠٤م، وكان آخر وظيفة شغلها (سفيراً متجولاً لمكافحة الإرهاب).

كتب مذكراته مستعيناً بحاسوب ومحمول وبرجل صاحب خبرة؛ فأخرج المذكرات بعد أن سقط أو أسقط منها رسائل مهمة تبادلها بريمر مع المرجع آية الله الستستاني، عبر وسطاء ذكر بعضهم، ورسائل لزوجته في أمريكا تصور ما كان يعانيه من ضغوط وصلت إلى حد البوح بأنه (محيط) وأنه سيكون (كيش فداء)؛ لأنه كان يعيش ما يسميه (هاجس الإرهاب) وكل قضية ينظر لها من هذه الزاوية؛ لذا عاش يحارب بكل ما لديه من قوة ضد سحب أي قوات أمريكية من العراق، والأمر الآخر ذكره بشجاعة بأنه كما يعمل وفق سياسة (فرق تسد)، وقد ظل يلعب على الفرقاء الكبار في العراق محاولاً كسب طرفين ضد الطرف الثالث، فإذا كان لطرف عربي سني أو شيعي أو كردي مطلب، فهو يحاول كسب طرفين ضد الثالث، لاعباً بمهارة على التناقضات، مخوفاً كل طرف بأنه يخسر إذا تشدد، أو لم يساير السياسة الأمريكية.

وكان شجاعاً حين يصرح أكثر من مرة أنه يمثل قوة (احتلال) وأن الكلمة الأولى له، ونسيان ذلك والتغني بالديمقراطية، لكنه يذكر بأنهم ما أنفقوا الملايين وضحوا بأبنائهم ليفعلوا كذا أو يرضوا بكذا.

كان خلف حل الجيش العراقي والشرطة، ابتداءً أصدقاء حثوه على ذلك، لكنه راح يمتدّر بأن الجيش حل نفسه، وقد سمى الأطراف الكردية والشيوعية التي أسعدها ذلك فقالت: إنه أفضل عمل قام به في العراق، خلال فترة وجوده.

وإن كان الواقع يشهد بأنها الأسوأ، والأكثر سواداً... يسجل - دون مواربة- اهتمامه واهتمام حكومته بالمحافظة على (وزارة النفط) لأنها تحوي الكثير مما يهمهم، ويسكت عن حرق وإتلاف (١٤) وزارة، كما يصمت عن ذكر لفتح مخازن الجيش العراقي، والسماح لكل من يريد أن يأخذ من السلاح ما يريد، ولم يذكر مصير هذا السلاح والذي قُطع وبيع (خرده)، وأن العائد كان له مع بعض المتنفذين (الجدد) ببغداد .

سأكتفي بذكر بعض القضايا، فالمذكرات استهلكت (٤٩٥) صفحة، نسقها «محترف» ليخرجها بحيث لا تسيء لصاحبها ولا لحكومته، وهذه بعض القضايا:

نحن قوة احتلال

١- بريمر: نحن قوة احتلال ولن نتحایل على ذلك. قالها في الاجتماع الأول مع العراقيين وكررها أكثر من مرة^(١).

بينما يصرح عراقيون (منتقمون) أن القوات الأمريكية قوات تحرير.

حل الجيش العراقي ومحاربة إعادته

٢- محاربة تأسيس الجيش العراقي: يذكر بريمر أن الأكراد والشيعة رحبوا بحل الجيش العراقي وأمروا أتباعهم بالتعاون مع (التحالف) منذ تحرير العراق، ولا يمكننا المخاطرة بفقدان تعاونهم^(٢).

(١) المذكرات، ص (١١٩، ٣٠) .

(٢) المذكرات، ص (٨١، ٧٨، ٧٥) .

بريمن يمتن بوقاحة

٣- يمن بريمر على الجيش العراقي الذي حله قائلاً: نحن سندفع للأشخاص الذين كانوا قبل أسابيع فقط يقتلون الشبان الأمريكيين، لكن ذلك ثمن (يجب تحمله)^(٣).

الجيش العراقي كان يحارب في بلده جيشاً جاء من وراء البحار، وخرب العراق، وقتل وما يزال، فمن هو الغازي ومن هو المغزوف؟ وأخيراً: ما هذا الكرم الحاتمي يابريمر؟

مأساة الوضع في العراق

٤- يصور بريمر الوضع في العراق في منتصف عام ٢٠٠٢م قائلاً^(٤): الكهرباء دون المستوى القياسي، وفيها الكثير من الأخطاء، ومرفق الماء والنظام الصحي يشكل وصمة عار في بلد من أخصب المناطق في العالم، أما نظام المواصلات والاتصالات فهو من نوعية ما في العالم (الرابع) وليس الثالث، وبالإجمال فالبنية التحتية للعراق أسوأ مما هي عليه في البلدان الأخرى، أما المدارس ٨٠٪ في حالة يرثى لها -كما تقول اليونيسيف- وبعض الفصول الدراسية يحشر فيها (١٨٠) طالباً، ويوجد كتاب واحد لكل (سنة) طلاب في المتوسطة^(٥).

من مآسي العراق

٥- يذكر بريمر أن المياه تتسرب وتضيع، والمجاري تعمل بطاقة ٢٠٪، والجديد أن النفايات ترمى بنهر دجلة والفرات، ويقدر تصريف ٥٠٠.٠٠٠ طن من النفايات - غير المعالجة- ترمى في دجلة والفرات^(٦).

(٣) المذكرات، ص (٨٢).

(٤) المذكرات، ص (٨٥).

(٥) المذكرات، ص (٨٧).

(٦) المذكرات، ص (٨٧).

البحث عن أسلحة لا وجود لها

٦- أسلحة الدمار الشامل: يذكر بريمر بفضب أن حكومته أرسلت (١٤٠٠) فرد بين مدني وعسكري يقودهم شخص اسمه (بيل) يحسن العربية ومختص بأسلحة الدمار. وقد أقامت الحكومة الأمريكية أكبر محطة في العالم (محطة بغداد)، ومهمتها البحث عن أسلحة الدمار الشامل، لكنها لم تجد شيئاً.

يخاطب بريمر (بيل) قائلاً: إن البحث عن الأسلحة مهم، لكن الواجب علينا أن نهاجم من ينسفون عريقتنا ويقتلون جنودنا، ويخربون خطوط الكهرباء، وأنابيب النفط، فجنودنا من المستبعد أن يقتلوا بأسلحة الدمار الشامل، لكنهم يتعرضون يومياً للتفجير على أيدي الإرهابيين، والواجب العثور على هؤلاء والقضاء عليهم، وهو من الأولويات... يقول بريمر: إن (بيل) لم يبد مقتنعاً^(٧).

وبالمناسبة فإن هؤلاء وغيرهم كثير يبحثون عن نسخة من (توراة) قديمة كانت في منطقة (الكفل) في جنوب العراق واختفت، والبحث مازال جارٍ عنها، وقد تكون وصلت (إسرائيل)، مع الكثير من التحف التي سرقت من المتحف العراقي، ومنها ألوف الألواح المكتوبة والمنقوشة بالخط المسامري، التي لا تثمن بثمن.

ستعيشون بكرامة

٧- السفير بريمر ينثر وعوداً لكن دون قبض... يخاطب العراقيين قائلاً: ستعيشون بكرامة وبسلام وازدهار، مستقبلكم مليء بالأمل والكرامة، وإن كان من الصعب الحفاظ على الكرامة، عندما تسيطر قوات (أجنبية) في شوارعكم بصرف النظر -عن حسن نواياها- لكن في الأشهر التالية سيقل عددها^(٨).

(٧) المذكرات، ص (٤١) .

(٨) المذكرات، ص (١٧٨) .

الذي حصل حتى الآن عشرات الألوف من المتقلين، وصل عدد القتلى اليومي (١٠٠) فاكثُر ولا ماء ولا كهرباء ولا بنزين ولا غاز للطبخ (وستعميشون بكرامة وسلام وازدهار)!

علماً بأن خطة (بريمر) ضد سحب أي جندي أمريكي من العراق، وقد حارب بكل قواه لإبقاء الجيش الأمريكي وزيادته.

وصدق الله «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» (الصف: ٢-٣).

الائتلاف هو السلطة هنا

٨- بريمر الذي يبدو أحياناً أنعم من الحرير، ويتحدث عن الاحتلال وأنه ضده، ولا يوجد في العالم من يقبله، ومع ذلك ينسى كل هذا فيقول: - وهو يخاطب وزراء عراقيين- أنتم الآن مسؤولون... لكن عليكم أن تعلموا من كبار مستشاريكم في الائتلاف بشأن مبادرات سياسية كبرى (مقترحة) أحببتكم ذلك أم كرهتم، بالطبع ليس من الممتع أن تكون خاضعاً للاحتلال، ويمكنني أن أضيف أو أن تكون المحتل، فالائتلاف هو (السلطة السيدة هنا)^(٩).

الطائفة السنية وقياداتها

٩- شهادة صريحة: كان بريمر يدور في زيارات على الوزارات العراقية، وزار وزارة (العدل) وكان الوزير (هاشم الشبلي) في استقباله وبعد مباحثات قال بريمر^(١٠): كان الشبلي بالنسبة لي برهاناً على أن (الطائفة السنية) تضم قادة مهمين لمستقبل العراق، وغير ملوثين بالبعثية.

(٩) المذكرات، ص (٢٠٥).

(١٠) المذكرات، ص (٢٠٧).

شهادة مع أن سياسة بريمر كانت قد دمرت كل سلطة أو وجود للعرب السنة، وسلمت كل شيء لغيرهم، وهمشتهم وأقصتهم إقصاءً كاملاً.

بل إن بريمر راح يشيع أن الشيعة والأكراد يشكلون ٨٠% من سكان العراق^(١١)، وهو تقدير لا صحة له.

البحث عن مفقود غير موجود

١٠- الأسلحة المفقودة: يذكر بريمر أن (د. ديفيد كاي) جاء للعراق مع مجموعة في بداية (تشرين الأول) من عام ٢٠٠٢م، ثم قدم تقريراً لمجلسي النواب والشيوخ الأمريكيين جاء فيه^(١٢): لم يكن يمتلك (صدام) -عند اندلاع الحرب- آلافاً من الأطنان من الغازات السامة أو الرؤوس الحربية لإطلاقها، من تلك التي قالت أجهزة الاستخبارات الغربية، إنه يمتلكها... أهد.

ويبدو أن هذه كانت فتاعة السفير (بري默): لذا ذكرها دون تعليق وكأنه يستكر البحث عنها، وحين يسأله الرئيس بوش عن عمل (المخابرات) يخبره بصراحة أنه غير راض، فهي ما تزال تبحث عن الأسلحة التي لا جدوى من البحث عنها وتترك أموراً أهم وأكبر.

النفط النفط

١١- النفط النفط: يتحدث السفير بريمر عن شاب عراقي لقبه (خشب) قام وعمله بحماية مصفاة حين آزاد غوغاء نهبها، حتى جاء جنود أميركان وسيطروا على المصفاة القديمة^(١٣).

(١١) المذكرات، ص (٨٧) .

(١٢) المذكرات، ص (٢٣٧) .

(١٣) المذكرات، ص (٨٢) .

بريمر هزه هذا الموقف فقال: أنت رجل شجاع، لكننا بحاجة إلى أكثر من هذه الشجاعة العنيدة، فصناعة النفط بمثابة دم الاقتصاد العراقي، وسيموت الاقتصاد إذا لم يتدفق، فالعراق يملك ثاني أضخم احتياطي نفطي في العالم أي نحو (١١٢) مليار برميل... أهـ.

وهنا أستذكر ما قاله مسؤول أمريكي: لو كانت الكويت تشتهر بزراعة الموز لما أرسلنا جيشنا إلى هناك.

وحين سقطت بغداد كان أول شيء فعله الجيش الأمريكي إرسال دبابات لحراسة وزارة النفط، بينما تركت (١٤) وزارة للنهب والحرق وإحرقت مكتبة الأوقاف، وحاول باتريك سيل الصحفي البريطاني أن يحرك الجنود الأمريكيين فلم يتحرك أحد، ونهب المتحف العراقي ولم يتحرك أحد، ومع ذلك يريد الأمريكان إقناع العالم أنهم جاؤوا لنشر الديمقراطية وليس من أجل النفط!!

خطأ حل الجيش العراقي

١٢- اعتراف صريح: يكرر بريمر موضوع حل الجيش والشرطة، وكل مرة يملأ بأمر، لكنه يصرح بأنه واحد مساعدية (والت): ارتكبنا الخطأ المميت بتسريح القوات العراقية، ويبدو أن البناتاغون يمهّد الطريق لتصحيح ذلك الخطأ.

لكنه يدرك خطورة ذلك على التحالف الثلاثي -الأمريكي الكردي الشيعي- لذا فهو يقول: إننا إذا أعدنا وحدات من الجيش القديم، فإننا نعرض هذا التعاون للخطر، وربما ندفع الشيعة إلى معارضة الائتلاف^(١٤)... أهـ.

أما اليوم فهناك مفاوضات جادة من أجل إعادة الكثير من الضباط.

(١٤) المذكرات، ص (٢٠٢).

ود مفئود: دعوأ الكل وحضور ءمسة

١٣- دعوأ الكل وحضور ءمسة فقط: بين بريمر ومجلس الحكم ود مفقود، وتهجم من قبل بريمر بمناسبة ودونها، وقد دعاهم إلى عشاء خاص بمناسبة عيد الشكر، لكن لم يحضر سوى ءمسة فقط (أكراد وشيعة فقط)^(١٥).
ظل بريمر يتهم مجلس الحكم بالتكاسل وعدم الفاعلية، وعدم الرغبة بالعمل، وهي كل مناسبة يسمع المجلس ما يهز البدن!

ءنا من أجل الحرية وليس النفط

١٤- ءنا من أجل حرية العراق: السفير بريمر نسي مقولته عن جيش بلاده، وراح يتحدث قائلًا^(١٦): ذكرت العراقيين بأن شبابنا وشاباتنا اجتازوا نصف العالم للموت من (أجل حرية العراق) علينا أن نضم ما هي المخاطر التي تواجهنا اليوم، إننا نواجه تحدياً لمستقبل العراق، هل سيحكم القانون العراق؟
وهنا أستعيد ما قاله المسؤول الأمريكي: لو كان الكويت تزرع الموز لما أرسلنا جنودنا للقتال فيه.
فحرية العراق آخر ما يشغل بال السياسة الأمريكية، وأدلهم على مكان أفضل، فالحرية تقتل يومياً في فلسطين، وفي بلاد كثيرة رأسمالها أنها موالية لأمريكا عاشقة لإسرائيل.
فلماذا هذا التذآكي، ولماذا لم يذهب جيشكم إلى كوبا أو كوريا الشمالية مثلاً؟
ولماذا الإصرار على إرسال جيش إلى دارفور ومنع ذلك عن فلسطين؟

(١٥) المذكرات، ص (٣٠٢) .

(١٦) المذكرات، ص (٤١٣) .

إن حفنة كان يطلق عليهم حتى أمس «مجانين» استولوا على الحكم في أمريكا، وجلهم بين
مهوس دينياً أو منقوط سياسياً، أو إسرائيلي عشقاً. فهل قدر الشعب الأمريكي أن يحكمه
مجانين ومهوسون وإسرائيليون يحملون الجنسية الأمريكية «بالغلط»؟

هل من مصلحة الشعب الأمريكي أن يحكمه مخرفون وعشاق أساطير، يلوكون ليل نهار حديثاً
عن يأجوج ومأجوج، ومعارك هرمجيدون الكبرى، حيث يُقتلُ ثلثُ البشرية، ليعود السيد المسيح
ويحكم العالم ألف عام؟

هل قَدَّرُ العالم -والعراق منه- أن تتحكم به عصابة مخرفه تعتقد بوجود تقسيم العراق؛ لأنه
ورد في (رؤيا يوحنا) أن بابل تقسم ثلاثة أقسام؟

إن هذه العصابة المجنونة ستدفع العالم نحو حرب كونية جديدة، لا تبقي ولا تذر، كي يعود
السيد المسيح مجدداً.

يشتمل هذا الكتاب على جملة من القضايا منها:

- ١- الأساطير والهوسات التي تنتشر في أمريكا كما ينتشر «الإيدز» في العالم.
 - ٢- يُبرِّزُ الأطماع الاستعمارية الأمريكية في العراق والمنطقة.
 - ٣- يكشف عن أطماع الشركات الكبرى، ابتداءً من شركات النفط إلى شركات صنع الأسلحة.
 - ٤- الشحن الصهيوني والتحريض المستمر ضد العرب ومنطقتنا.
- كل ذلك مؤيد بنصوص من مؤلفات أمريكية وغربية، مع الكثير مما تتناقله الصحف،
فالقضية جد، والعالم قد يتعرض لحرب أو حروب طاحنة سببها هذا «المزيج» من الأساطير
والهوسات والأطماع والشحن المتواصل، والتحريض الذي لم يعرف له العالم مثيلاً.

ISBN:3-136-54-9960



ORD:00066-1

موضوع الكتاب: ١-حرب العراق ٢٠٠٣م
٢-العراق-تاريخ-الاحتلال الأمريكي

موقعنا على الإنترنت:

<http://www.obeikanbookshop.com>